شرفنامه

في تاريخ سلاطين آل عثمان
ومعاصريهم من حكام إيران وتوران

الجزء الثاني

ألفه بالفارسية: شرف خان البدليسي



ترجمه إلى العربية
محمد علي عوني

راجعه وقدّم له
يحيى الخشّاب

شرفنامه

في تاريخ سلاطين آل عثمان ومعاصريهم من حكام إيران وتوران

ألفه بالفارسية : شرف خان البدليسي

ترجمه إلى العربية
محمد علي عوني

راجعه وقدم له
يحيى الخشاب

الجزء الثاني

دار الزمان

عنوان الكتاب: شرفنامه

الجزء الثاني : في تاريخ سلاطين آل عثمان

ومعاصريهم من حكام إيران وتوران

تأليف: الأمير شرف خان البدليسي

ترجمة: محمد علي عوني

الطبعة الأولى: عام 1962

الطبعة الثانية: 2006

الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا: ص.ب 5292

هاتف: 00963 11 5622363

00963 92 806808

E.mail: sherzad@mail2world.com

موافقة وزارة الإعلام بالطباعة رقم ٩٠٠٤٠ تاريخ ٢٠٠٥/٩/١٢

تنويه

سيجد القارئ الكريم في هذه الطبعة الجديدة من كتاب شرفنامه – الجزء الثاني – انه قد تم إضافة أربع فقرات إلى بداية الكتاب وهي:

١ – محمد علي عوني: نشأته – حياته – أعماله.

٢ – مقدمة وتمهيد للمرحوم العلامة محمد علي عوني

٣ – ترجمة المقدمة الفرنسية للكتاب للمستشرق الروسي (ف. زرنوف) الذي طبع في روسيا عام ١٨٦٠م بمبادرة منه أيضاً.

٤ – مقدمة علمية حول أحدث الآراء والمباحث في الكرد وكردستان كان قد أعده أيضاً المرحوم محمد علي عوني للطبعة الفارسية من الكتاب.

لقد تعذر علينا ضم هذه المواد، الهامة، إلى الطبعة السابقة بسبب عدم علمنا بها، فهي لم تكن موجودة في النسخة التي توفرت لنا وتم التحضير على أساسها في تنفيذ تلك الطبعة. وحقيقة نحن لا نعلم فيما إذا كانت النسخة الأصلية من الطبعة العربية الأولى للكتاب، الذي طبع في مصر، قد ضمت هذه المواد أم لا، إذ أن النسخة التي كانت بين أيدينا عبارة عن نسخة فوتوكوبي للكتاب ولا نعتقد أن الناسخ هو من قام باستبعاد تلك المواد منها لان لا شيء يدعوه إلى القيام بذلك، وحتى تسلسل أرقام الصفحات لا تشي بذلك أيضاً.

لقد دفع هذا الأمر أبناء المرحوم محمد علي عوني (الأستاذ عصام، والأستاذة درية) إلى توجيه العتاب لنا وعدّوا ذلك نوعاً من التقصير بحق واحداً من أهم الشخصيات الثقافية الكردية في العصر الحديث، خدم الشعب الكردي بكل ما أُوتي من ثقافة ومعارف وأفنى عمره في البحث والتنقيب في بطون الكتب وأمهات المصادر التاريخية عن الخيوط التي يمكن من خلالها رسم ملامح شخصيته التاريخية ودوره في بناء حضارة شعوب المنطقة.

ونحن إذ نعتبر ذلك العتاب أمراً مشروعاً بسبب عدم علمهم بحقيقة الأسباب التي أفضت إلى ذلك، نتوجه إلى الأستاذ عصام عوني بكل الشكر والثناء والتقدير الذي أرسل لنا هذه المواد وساهم معنا في تصحيحها وإعدادها لهذه الطبعة. متمنين للأخوة القراء أن نكون قد أضفنا من خلال هذه المواد شيئاً جديداً إلى معلوماتهم، خاصة لجهة المواد التي تتعلق بسيرة حياة المرحوم محمد علي عوني وقصة إعداد كتاب الشرفنامه للطباعة في مصر والأشخاص الذين شاركوا في هذا العمل الذي استغرق منهم الكثير من الوقت والجهد المضني فإلى روحهم جميعاً ألف تحية وتقدير.

الناشر

دمشق في ٢٠٠٧/٧/٩

محمد علي عوني

نشاته ـ حياته - أعماله

ولد محمد علي عوني عام 1898، في مدينة سيورك، أكبر محافظة كردية في جنوب شرق تركيا . حين أتم دراسته الابتدائية والثانوية كان والده عبد القادر عوني مفتياً بسيورك، ولم يتبوأ هذا المنصب الديني الرفيع إلا لأنه ككثير من أجداده وأفراد عائلته كانوا قد عرفوا طريقهم إلى الأزهر الشريف الذي كان ولا يزال يتمتع بمكانة كبيرة في قلوب المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي وكان كمنارة لانتشار اللغة العربية وعلوم الشريعة والفقه والإسلام السني، خاصة بعد أن حول صلاح الدين الأيوبي الأزهر من مؤسسة لتدريس المذهب الشيعي لمؤسسة تدرس مذاهب السنة. كما أنشأ فيها نظام الأروقة لكل الجماعات والنحل والاثنيات وكان رواق الأكراد من أهم هذه الأروقة. حيث كان يصرف عليه بسخاء عن طريق الأوقاف التي أوقفها الأمراء والأميرات، مثل "زينب خاتون" عليه، وقد ألغت ثورة 1952 هذا النظام.

أرسل الوالد عبد القادر عوني ابنه إلى مصر هرباً من بطش واضطهاد السلطات التركية للطلبة الأكراد، ليكمل دراسته في الأزهر الشريف الذي نال منه الشهادة العالية التي تعادل الآن الدكتوراه.

وبعد تخرجه عين في الديوان الملكي في عهد الملك فؤاد الأول ليشرف على قسم الوثائق والفرمانات الخاصة بتاريخ مصر منذ عهد محمد علي باشا والمدونة باللغة التركية القديمة – العثمانية، وأشرف على توثيقها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.

كما أنيطت إليه مسئولية الإشراف على ترجمة الوثائق الخاصة بأسرة محمد علي باشا . كان محمد علي عوني يتقن عدة لغات شرقية "التركية، الكردية، الفارسية، العربية" كما كان يتقن اللغة الفرنسية. وقد مكنته معرفته بهذه اللغات وإطلاعه الواسع واتصالاته مع المفكرين والمستشرقين المهتمين بالشرق أن يصبح من أهم المتخصصين في ترجمة الكتب التاريخية القديمة والتي تستدعي بالإضافة إلى معرفة عدة لغات، معرفة كيفية مقابلة الأسماء القديمة للمدن والأشخاص

بالأسماء الحديثة، كذلك تحويل التقاويم القديمة في اللغة العربية والفارسية والتركية إلى السنوات الميلادية والهجرية.

كان محور اهتمامه عند انتقائه الكتب التي ترجمها أو ألفها، هو التعريف للقارئ العربي بتاريخ الشعوب الأصلية في المنطقة، العرب – الفرس – الكرد. والتعريف بإسهامهم في تأسيس الحضارة الإسلامية والثقافة العربية.

ركز محمد علي عوني على تعريف القارئ العربي عن طريق الترجمة بثلاثة مؤلفين يعدون من أوائل من سلطوا الأضواء على تاريخ شعوب المنطقة. لقد بدأ اهتمامه بالمؤلف شرف خان البدليسي الذي كتب عام 1004 هـ - 1597 م، كتابه الشهير "شرفنامه" باللغة الفارسية، رغم انه من أصل كردي، لأنها كانت اللغة الأكثر انتشاراً. ويتناول الكتاب تاريخ الشعب الكردي والإمارات الكردية التي حكمت منذ صدر الإسلام لغاية تاريخ التأليف، كما كتب عن تاريخ الشعب الفارسي والشعب التركي.

وطبع ونشر كتاب شرفنامه الجزء الخاص بالأكراد في القاهرة عام 1939 باللغة الفارسية.

وعهد لمحمد علي عوني بمهمة تحقيقه والإشراف على طبعه. كما قام بكتابة مقدمته باللغة العربية وأضاف إليها ترجمته من الفرنسية إلى العربية للمقدمة التي كان كتبها المستشرق الروسي "ف. فيليانوف" حين طبعت ولأول مرة النسخة الفارسية في الغرب عام 1860، في سانت بطرسبورغ في روسيا، ثم أكمل محمد علي عوني هذا بكتابة مقدمة علمية ذكر فيها أحدث الأبحاث التي ظهرت عن تاريخ الشعب الكردي وكردستان.

ثم كلفته لجنة الألف كتاب في مصر بترجمة كتاب "شرفنامه" من الفارسية إلى العربية. وقد نشرت وزارة التربية المصرية عام 1958 هذه الترجمة بعد وفاته، وأشرف على طبعه وقدم له الدكتور يحيى الخشاب أستاذ اللغة الفارسية في جامعة القاهرة.

كما ترجم إلى العربية الجزء الثاني من كتاب "شرفنامه" الخاص بتاريخ الشعب الفارسي ونشر أيضاً فيما بعد.

وفي عام 1936 قام بترجمة وتحقيق والتعليق على كتاب "خلاصة تاريخ كرد وكردستان، من أقدم العصور حتى الآن" للمرحوم محمد أمين زكي بك الوزير

العراقي الأسبق الذي ألفه عام 1931. وقد استطاع محمد علي عوني، بفضل الإمكانيات المتوافرة له الإطلاع على آخر الاكتشافات الأثرية والأنثروبولوجية....الخ، من إثراء هذا الكتاب القيم بمعلومات جديدة وتوضيحات ومقارنات وحواشي ضرورية ومفيدة للقارئ العربي.

وفي عام 1945 ترجم إلى العربية وراجع كتاب "تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي" ثم ترجم كتاب "مشاهير الكرد" لنفس المؤلف. وفي الثلاثينات ألف بالعربية كتاب "القضية الكردية، ماضي الكرد وحاضرهم" ونشره باسم مستعار: د. بله ج شيركوه. لكي لا يحرج القصر الملكي الذي كان له علاقات جيدة مع تركيا.

كما كتب محمد علي عوني سيرة الأسرة التيمورية وهي من أصل كردي وتاريخ نزوحها إلى مصر ولم تنشر هذه الدراسة بعد.

وعندما خطبت الأميرة فوزية، إلى شاه إيران رضا بهلوي، كلف القصر الملكي محمد علي عوني تدريس اللغة والحضارة الفارسية للأميرة فوزية، وقد أعطاها أربعين درساً في الفارسية ومنحه شاه إيران وساماً فارسياً رفيعاً تقديراً له علاوة على وسام النيل الذي منح له من مصر.

وفي الأربعينيات من القرن الماضي كلفته لجنة الألف كتاب بترجمة الجزء العاشر من "سياحة نامه" للرحالة التركي "أوليا چلبي" الخاص بوصف مصر والسودان والحبشة الذي كتبه حوالي عام 1660 م، ورغم مرور أكثر من نصف قرن على هذه الترجمة فإنها لم تنشر إلا في بداية عام 2004 م عن دار الكتب.

وقد كان محمد علي عوني معجباً جداً بهذا الرحالة، وكان مطلعاً على كل أعماله، وقد استفاد من وصفه للشعب الكردي ولكردستان، الذي خصص له مجلدين، كما استفاد من وصفه للشعب الإيراني والشعب التركي.

كما شعر بحب وانبهار أوليا چلبي لمصر فأراد محمد علي عوني ورغم مرضه الشديد في آخر أيامه أن يضيف حبه وانبهاره لمصر إلى حب أوليا چلبي لها وترجم هذا العمل الضخم ليتعرف عليه أبناء مصر وقراء العربية بعد أن قامت بنشره دار الكتب بعد سنوات طويلة من التغيب.

تزوج محمد علي عوني "زينب محمد الرفاعي" وهي مصرية من صعيد مصر وأنجبت له ولدين وبنتاً.

توفي محمد علي عوني في يوليو 1957، ودفن في سفح جبل المقطم في حديقة المغاوري البكتاشية التي تطل على مقبرة المتصوف الإسلامي "عمر بن الفارض" وفي السبعينيات أهدى أولاده مكتبته الشرقية بكتبها النادرة إلى عدد من أساتذة اللغات الشرقية بجامعة القاهرة وأهدوا بعض مخطوطاته ومنها القاموس العربي الكردي إلى المجمع العلمي الكردي في بغداد الذي ألغته الحكومة العراقية قبل نشر القاموس.

مقدمة و تمهيد

لما كانت "شرفنامه" من اجل الكتب التي تبحث بإسهاب ليس له نظير، عن ماضي الأكراد وتاريخ شعوبهم و قبائلهم، وعن الإمارات الوطنية التي قامت بكردستان من صدر الإسلام لغاية تاريخ التأليف سنة (١٥٩٦) هجرية.

و لما كان الشعب الكردي ذو التاريخ المجيد والصفات الممتازة في الجاهلية والإسلام، فقد أهمله إهمالاً كبيراً، كثيرٌ من الكتّاب والباحثين الشرقيين في العصور الأخيرة التي هي بحق عصر النهضات القومية والوثبات الوطنية، رغماً من أن له أثراً كبيراً في تأسيس الحضارة الإسلامية و تدعيم أركان الثقافة العربية التي هي تراث جميع الأمم الإسلامية بقدر ما لها من الآثار والتأليف في عالم الفنون العربية والمعارف الإسلامية.

و أظن أن هذا لا يخفى على كل منصف بحاث ومتأمل دقيق في مصادر الحضارة الإسلامية، و في دواوين ما يقال عنه "الثقافة العربية" كالتواريخ الكبرى المؤلفة في القرون في الإسلام، لا سيّما كتب التراجم التي هي في الحقيقة تاريخ للفنون والعلوم وسجل عام للخدم الجلّى التي قام بها أبناء الأمم الإسلامية في سبيل الحضارة الإسلامية وللثقافة العربية.

و نظراً لاصطباغ النهضات الشرقية كلها بل وتشبعها بالروح القومية البحثية ليس من الناحية السياسية فقط بل من جميع النواحي والجوانب، بحيث يقتصر كتّاب كل قوم وأدباؤهم على نشر فضائلهم دون الأقوام الآخرين من إخوانهم في الدين والوطن. ونظراً لعدم انتباه علماء الأكراد ومشايخهم وذوي الرأي والفضل فيهم إلى هذه النقطة مع إكثارهم من التأليف والنشر في مواضيع مختلفة بلغات غير لغتهم كالعربية والفارسية والتركية بل الفرنسية والإنكليزية، مما أدى إلى نسيان ما للأكراد من تاريخ مجيد وما لهم من خدم جلّى للحضارة الإسلامية. كما أنه أفضى تقلص ظل اللغة الكردية الجميلة ذات الأنغام الموسيقية الحساسة في أغلب المدن الكبيرة بكردستان كالموصل وديار بكر وسنندج وماردين التي تسود فيها اللغات غير الوطنية، مما يجعل السائح غير المدقق يعتقد بعدم كردية هذه البلاد الكبيرة، ويطلق لفظ الكرد على العشائر وسكان القرى فقط، دون أهالي هذه المدن التي أغلبيتها الساحقة من الأكراد دماً ولغة وعادات، بالرغم من انتشار اللغات العربية والفارسية والتركية إلى جانب اللغة الكردية.

فبناءً على هذه الأسباب تولدت لديّ رغبة قوية في البحث عن تاريخ الأكراد وجغرافية بلادهم في بطون الكتب الخطية الملقاة في زوايا الإهمال والنسيان في دور الكتب بالقاهرة والآستانة وغيرهما. فعثرت ذات يوم في (كشف الظنون) على بعض الأسماء في تواريخ الأكراد مثل (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، و تاريخ شرف خان البدليسي، والروضتين في أخبار الدولتين (النورية والأيوبية)، والسيرة الصلاحية)، إلى غير ذلك من الكتب المؤلفة في القرون الوسطى في الإسلام بالعربية والفارسية لغتي الفنون والعلوم حينذاك.

ثم علمت من بعض العارفين أن كتاب "شرفنامه" مطبوع في روسيا منذ سبعين عاماً أي سنة (١٨٦٠) وأنه تُرجم من الأصل الفارسي إلى اللغة الفرنسية، و هو كتاب قيّم متداول بين المستشرقين لا يستغني عنه المشتغلون بتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط وجغرافيتها لأنه فضلاً عن كونه تاريخاً خاصاً للأكراد، فإنه دائرة معارف تاريخية وجغرافيّة للشرقين المذكورين اللذين صارا مسرحاً للكثير من الوقائع والحوادث الكبرى كهجرات التتار والتركمان المدمرة التي أدت إلى سقوط الخلافة العباسية، وقيام دويلات وطوائف ملوك تحت حماية التتار وآل سلجوق كالآق قوينلية والقره قوينلية ... الخ.

وفي صيف سنة (١٩٢٢) سافرت إلى حلب الشهباء فبينما كنت أبحث مع أحد أصدقائي الفضلاء المتشبعين بروح إحياء القومية الكردية من الوجهتين العلمية والاجتماعية، حول هذا الموضوع الهام تذكرت هذا الكتاب فذكرت له أنه مطبوع في روسيا. و إذا به يبشرني هو بدوره بوجود نسخة خطية في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب، فاستعرتها حالاً وشرعت في نسخ القسم الأكبر والأهم الذي يتعلق بالأكراد وكردستان، تاركاً القسم الأقل والأخير الذي سمّاه المؤلف (خاتمة) في تواريخ آل عثمان وملوك إيران وطوران.

و لما رجعت في أواخر السنة المذكورة إلى مصر أطلعت حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ فرج الله زكي الكردي ناشر الكتب العالية الإسلامية، على ما نقلته من النسخة الحلبية من كتاب شرفنامه طالباً منه طبعهُ. فأخبرني بأنه كان منذ مدة متشوقاً لطبع هذا السفر النفيس، وأحضر النسخة المطبوعة بروسيا لإجراء الطبع عليها من نسخة الأمير ثريا بك بدرخان الخطية، فلما سمع بوجود نسختنا الخطية أيضاً، زاد شوقه وقوى عزمه، واعتمد على الشروع في طبعه.

(خطتنا في المقابلة و المراجعة)

سبق أن قلنا إننا حصلنا على ثلاث نسخ من الكتاب، ولما تكرم الأستاذ الفاضل الشيخ محي الدين صبري الكردي المتضلع في اللغة الفارسية وآدابها القديمة والحديثة واشترك معنا في المقابلة والمراجعة، فقد شرعنا نحن الثلاثة في مقابلة النسخ الثلاث على بعضها البعض بجد ونشاط، متخيرين الكلمات، والجمل الزائدة عن النسخة الروسية المطبوعة، الموجودة في إحدى النسختين الخطيتين، أو في كلتيهما، أو في (كشف اختلاف النسخ) المطبوع مع النسخة الروسية.

ثم قام الشيخ فرج الله زكي الكردي المشار إليه، فضلاً عن تبرعه بطبع هذا الكتاب على نفقته الخاصة، فقد قام أيضاً بالتصحيح المطبعي. وأما أنا فقد تكلفت أيضاً بتحقيق الأعلام الواردة في الكتاب من مظانها لاشتغالي السابق بالجغرافية التاريخية لتركية آسيا، و لا سيّما لولاياتها الشرقية. و هكذا استمررنا مدة سنة كاملة في المراجعة والمقابلة والبحث والتنقيب مع الاجتماع كل أسبوع مرة واحدة في منزل حضرة الشيخ فرج الله زكي الكردي. فرج الله الكروب عنه و عنّا جميعاً. و هاكم القاعدتين اللتين جرينا عليهما أثناء المقابلة.

١- اعتبرنا الأصل الذي يطبع عليه الكتاب النسخة الروسية المطبوعة، فما كان متفقاً على فائدته من الزيادات في النسختين الخطيتين أثبتناه في الصلب، وما لم يكن كذلك جعلناه حاشية، مشيرين إلى النسختين، أو إلى الواحدة منهما حسبما يوجد.

٢- و كذا أدرجنا في الصلب جميع ما اتفقنا على فائدته من الزيادات في (كشف اختلاف النسخ) المذكور، مشيرين إليه في الحواشي، فمن ذلك أننا أدخلنا في صلب الكتاب الفصل الخاص (بأمراء كلباغي)، بالرغم من أنه ليس من الكتاب بدليل عدم وروده في البيان الذي ذكره المؤلف في مقدمة كتابه عن الأبواب والفصول. هذا وإنّا اعترفنا بفضل خالد الذكر المسيو (ف. فيليانوف زرنوف) العالم والمستشرق الروسي صاحب الفضل الأوفر في طبع كتاب "شرفنامه" و نشره لأول مرة في الغرب.

نثبت هنا ترجمة المقدمة الفرنسية التي كتبها المبرور المشار إليه، قيامه بطبع الكتاب بسان بطرسبورج في يناير سنة (١٨٦٠ حاذفين منها ما يتعلق بحياة المؤلف المأخوذة من السيرة التي كتبها المؤلف نفسه صفحة (٥٧٣)، ليعلم مقدار المجهود الطويل الشاق الذي بذله هذا العالم، و غيره من زملائه المستشرقين من علماء الغرب، في البحث عن هذا الكتاب، و الحصول على نسخه المتعددة من بلاد الشرق، ومكاتب عواصم الغرب، وفي طبعه باللغة الفارسية، التي ألف بها الكتاب، ثم في ترجمته إلى الفرنسية، و نشرها في عالم البحث والتنقيب.

و ليعلم أيضاً أولو الفضل والأدب من الشرقيين، وذوو الجد والنشاط من الكرد في إحياء ما للآباء والأجداد من المآثر من مواطني الأكراد، خصوصاً الأعضاء المؤسسين لجمعية الارتقاء الكردية (يانه ي سَرْكَوْتن) ببغداد كيف يكون البحث والتنقيب عن تراث الأمة الكردية التعيسة بأبنائها، المظلومة بعلمائها، وأدبائها، ومشايخها، الذين تركوا لغتهم الوطنية الأصلية، في التراسل و التخاطب والتأليف، وعكفوا على لغات الأمم التي تنكر اليوم حق الحياة على أمتهم البائسة، يؤلفون فيها الكتب، والمؤلفات في مواضيع مختلفة.

وعسى أن يكون طبع هذا الكتاب باعثاً للروح الكردية في نفوس القوم، فينشطوا لترجمته إلى اللغة الكردية، وغيرها من اللغات التي يفهمها الآن المتنورون من الأكراد . كما أنني آملُ أن تكون هذه المقدمة المترجمة من الفرنسية، مثالاً للجد و النشاط يحتذى به في البحث، والتحقيق للجمعية المحترمة المذكورة فيما اعتزمت عليه من إحياء الآداب الكردية، وتعميم اللغة الكردية، ونشرها بين المتعلمين في التخاطب، والتراسل، وفي عالم المطبوعات، والتأليف، والعمل على توحيد اللهجات الكثيرة المختلفة، باختلاف القبائل، والشعوب من الأمة الكردية في الشمال، والجنوب، والغرب، والشرق حتى اللورستان، وفي طريقة البحث عن المخطوطات التي تخصّ الأكراد وكردستان في الشرق، والغرب الملقاة في زوايا الإهمال والنسيان.

وإنّا ما إذا لقينا تعضيداً من القراء، وتشجيعاً من ذوي الجاه، والعلم من الأكراد، وغيرهم من محبي الشرق والشرقيين من قراء اللغة العربية، سنتطفل على ترجمة هذا الكتاب القيّم النادر، إلى لغة الضاد . ليرتشف الناطقون بها من صافي بحاره الفياضة.

على إنّا مستعدون لتقديم ما يمكن تقديمه من المساعدة، و المعاضدة من الوجهتين الأدبية، والعلمية لمن يقوم بترجمته إلى العربية، من أعضاء الجمعية المذكورة الأفاضل. وذلك كالتجارب والمعلومات التي حصلنا عليها أثناء المقابلة، والمراجعة، والإشراف على الطبع، وأثناء تنقيبنا عن الأعلام التاريخية، والجغرافية، التي كتبنا عن أغلبها تعليقات بقدر الإمكان. ثم أعددنا فهرسين لهما، حالت بعض الموانع في آخر ساعة، دون إلحاقهما لهذه الطبعة الفارسية. هذا و إننا كنا نود، تتميماً للفائدة وإرشاداً للباحثين الكرد وكردستان، إثبات الكشف الإفرنجي المحتوي على (١٧٣) اسماً من أسماء الكتب، و المؤلفات الباحثة عن الكرد وكردستان، بلغات غربية، وشرقية مع الإشارة إلى سنوات طبعها، ومحل نشرها . تكرّم بإرساله حضرة الأمير ثريا بدرخان فنأسف على عدم تيسر ذلك الآن، ونشكره على ذلك، كما نشكر شقيقه حضرة جلادت بدرخان على اشتراكه معنا في المقابلة، مدة من الزمن في صيف سنة (١٩٢٦) (م. عوني).

(ترجمة المقدمة الفرنسية لكتاب شرفنامه الفارسي)

المطبوع في روسيا في يناير سنة (١٨٦٠م)

(شرفنامه) كتاب يبحث عن تاريخ قبائل، وأسُر كردية مختلفة، منذ الأزمنة القديمة، لغاية سنة (١٠٠٥هـ) (١٥٩٦م).

أما مؤلف هذا الكتاب فهو شرف خان ابن شمس الدين أمير ايالة بدليس، التي هي بالرغم من صغرها، من أجلّ إمارات كردستان قدراً، وأرفعها شأناً (هنا ذكر المرحوم صاحب المقدمة تفاصيل حياة المؤلف، ووالده، وجده، ناقلاً ذلك حرفياً من السيرة التي كتبها المؤلف بنفسه تحت عنوان (ذيل)، ضربنا صفحاً عنه اكتفاءً بما هنالك. راجع صفحة (٥٧٣)).

أكمل (شرف) تاريخه عن الأكراد في سنة (١٠٠٥هـ) في عهد خضوعه للسلطان محمد التركي، وهو نفسه يذكر هذا التاريخ، في عدة مواضع من كتابه. أمّا الوقت الذي بدأ فيه (شرف) التأليف، فمن الصعب تعيينه بصورة قطعية، وإذا حكمنا على ذلك بما أورده في المقدمة، فيجب أن تكون الرغبة في التأليف عنده، قد وُجدت قبل ذلك بزمن طويل. حيث ساقه ميله الطبيعي للتاريخ، الذي درسه درساً عميقاً، إلى أن يؤلف مؤلفاً تاريخياً في موضوع لم يسبق لأحد غيره أن عالجه من قبله. ولكن خطة التنفيذ، التي لم تكن قد تقررت في ذلك الوقت، والمشاغل التي كانت لا تفارقه قط، منعتاه من التفكير في ذلك تفكيراً جدياً. فلم يبدأ العمل ويختار تاريخ قومه أي تاريخ الأكراد موضوعاً لتأليفه المنشود، إلا بعد ذلك بزمن طويل. حينما أخذ يذوق طعم الراحة، والسكون، ويلوح لي أنه يوجد مسوغ للظن مع المسيو (وو) بأن (شرف) لم يباشر العمل إلا بعد أن أعاده السلطان مراد إلى منصب أجداده.

و قد ألّف كتاب شرفنامه من المعلومات المستقاة من مصادر شرقية متعددة، ومن روايات الشيوخ الثقاة. وأخيراً من مذكراته ومحفوظاته. انظر مقدمة المؤلف ص٨ ج١.

أما القيمة العلمية لهذا التاريخ الكردي، فليست محلاً للنزاع قط، ومع أنه قد مضى عليه ثلاثمائة سنة، وهو موجود فلم يعمل في الشرق عملٌ منذ ذلك التاريخ يمكن أن يقارن به. وإذا وضعنا كتاب (شرف) جانباً (وذلك بفضل نشأته واضطلاعه على أحوال بلاده كأمير كردي) لم يعد لدينا في الحقيقة من تاريخ الأكراد، إلا شذرات

مشتتة في كتب مؤلفين من مختلف البلدان في مختلف العصور. وهذه الشذرات بالرغم عن كونها كثيرة حقاً، لا تعطي شيئاً كاملاً يحسن السكوت عليه. و لا يمكن قط بهذه القصص المتفككة، الوصول إلى تجديد بناء تاريخ متسلسل الحوادث لشعب، كالأكراد، يتشعب إلى قبائل كثيرة متعددة لكل منها تاريخها الخاص.

و قد أورد (شرف) في كتابه، علاوة على الحوادث التي أمكنه جمعها من التواريخ العربية، والفارسية، والتركية، جانباً كبيراً من الحوادث الجديدة بإسهاب لا بأس به، ورتّب الجميع على حسب القبائل، حيث سدّ بذلك فراغاً كبيراً في تاريخ شعوب آسيا، وهنا يظهر فضله العظيم.

أما المعلومات الخاصة بالجغرافية، وبعلم طبائع الأمم وأوصافها، التي عرف المؤلف كيف يدخل قسماً صالحاً منها في مجرى تاريخه، فقد أفادت في رفع قيمة التأليف الأدبية.

وأمّا الانتقادات التي يمكن أن نتوجه بها إلى (شرف) بصفته مؤلفاً، فمنها اثنان أساسيان: فالأول يتعلق بأصل التأليف، وقواعده. والثاني يتعلق بالأسلوب، وكل الحوادث، والوقائع التي ورد ذكرها في تاريخ الكرد. وكان يجب أن تُرتب على طبقتين، تمتاز إحداهما عن الأخرى تمام الامتياز. فإحداهما الجديرة بالاعتبار تحتوي على التفصيلات، التي لا توجد مذكورة في أي مكان آخر، وهي الروايات، والقصص التاريخية، التي جمعها المؤلف من أفواه الأكراد، ووصف الوقائع التي شاهدها بنفسه، فكتاب شرفنامه من هذه الجهة مَعين لا ينضب. والثانية تشمل الحوادث المستقاة من مؤلفات الكتّاب، والمحررين الآخرين. و قد كان (شرف) قليل الاحتياط، والتيقظ عند سرد حوادث هذا القسم. ففي بعض الأحايين، كان يخلط الوقائع، ويغلط في ضبط الأعلام، ويقع في فوضى لا مفر منها، وهنا لا يمكن قط الاعتماد عليه، هذا من جهة الأساس. وأمّا الأسلوب، فمع أنه بسيط — إذا استثنينا استعماله لكثير من الأشعار، وقليل من الجمل المفخمة المطنطنة المقبولة لدى الذوق الشرقي، مع أنه بعيد عن أن يكون جيد الصناعة — تصادف فيه غالباً على عبارات قليلة الصحة، فعند طبعي للأصل اعتنيت بأن ارمز بنقطة استفهام (؟) إلى الفقرات، والكلمات، التي ظهر لي فيها شك من أي نوع كان. وسأورد عنها شروحاً وافية في التعليقات التي سأدرجها في آخر الكتاب (تأليفي).

و لا يجب مع ذلك تعليق أهمية كبيرة على الانتقادات، التي قمت بها الآن لأن التفريط القليل في التدقيق الكامل، الذي وقع فيه (شرف خان البدليسي) أثناء سرده للحوادث، هو عيب شائع لدى أكثر المؤلفين الشرقيين، الذين ليس عندهم

ﻓﻲ الحقيقة شعور بالدقة، التي لا بدّ منها ﻓﻲ جميع المباحث العلمية، حيث يكتبون من الذاكرة التي يعتمدون عليها كثيراً. أما من جهة الأسلوب، فإن الإهمال البارز فيه يمكن التجاوز عنه بالنسبة لرجل كـ (شرف خان) قضى معظم حياته ﻓﻲ مزاولة المناصب العالية، و ممارسة فنون الحرب، والقتال.

و نُسخ (شرفنامه) ﻓﻲ الشرق على العموم منتشرة قليلاً. والسبب ﻓﻲ ذلك بسيط جداً، وذلك لأن تاريخ الأكراد، وهي الأمة التي لم تُحدث تأثيراً كبيراً جداً ﻓﻲ تاريخ آسيا، لا يفيد الشرقيين إلا فائدة ضئيلة، ومع ذلك (فشرفنامه) حاز مكاناً لا بأس به ﻓﻲ قاموس أسماء الكتب، والفنون للحاج خليفة الشهير بكاتب جلبي (انظر كشف الظنون طبع فلورجل رقم ٢١٣٥ – ٢١٤٤). فهذا المؤلف الكبير لدى تأليفه كتاب (جهانما) ﻓﻲ الجغرافيا. و كذلك زين العابدين[1] الذي ألف كتاب (رياض السياحة) استقيا من شرفنامه معلومات كثيرة تتعلق بالأكراد.

و قد تُرجم (شرفنامه) أيضاً ﻓﻲ آسيا، ويعرف له ترجمتان تركيتان، قام بإحداهما رجل يدعى (سامي)، بإشارة أمير كردي يسمّى مصطفى بك (راجع مورلي الفهرست التوصيفي للمخطوطات التاريخية العربية، والفارسية، المحفوظة ﻓﻲ مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية لبريطانيا وايرلندا، لندن ٨٥ ص ١٤٥-٦٢ حاشية ٣))، ويسمّي الحاج خليفة كتاب (شرفنامه) بـ (تاريخ شرف خان البدليسي).

أمّا ﻓﻲ أوروبا، فأول من ذكر هذا التاريخ الكردي، فهو (ديربلو)، الذي قد تكلم عنه ﻓﻲ مكتبته الشرقية، ﻓﻲ مقالتين عنوان إحداهما تاريخ (شرف خان البدليسي)، و الأخرى (تاريخ الأكراد) (راجع مايسترخت)، هاتان المقالتان ليستا إلا ترجمة حرفية من قاموس الكتب، والمؤلفين للحاج خليفة المشهور.

السير (جان مالكوم) هو على ما يظهر أول أوروبي كان يملك نسخة من كتاب (شرفنامه) أخذها من زعيم كردي من قبيلة محيزي (تحت اسم تاريخ الأكراد، ويعرف بكوردين كورونيك لفون شرف)، و هذه النسخة موجودة الآن ﻓﻲ الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وايرلندا (انظر الفهرست). و من الغريب جداً أنها تحتوي على تكملة، بشكل ملحق لتاريخ حاكم أردلان مكتوبة سنة (١٢٢٥هـ)، (١٨١٠م) (انظر كتالوج مورلي و ماريلو). و قد أكثر (مالكوم) من ذكر (شرفنامه) ﻓﻲ تاريخه الفارسي المنتشر سنة (١٨١٥)، حتى أخذ عنها بعض مقتطفات

---

[1] – ﻓﻲ مقتطفات الآسيوية ج٣، ص٥٠، انظر مخطوط المتحف الآسيوي ص١٥٩.

قصيرة، بدون أن يوجّه إليها أهمية خاصة، ولا يعطي تفصيلات صحيحة، عن محتويات هذا التأليف[1].

و لم تضطر أوروبا للاعتراف بقيمة (شرفنامه) العلمية، حيث لم يكتسب هذا الكتاب أهمية في نظر الفئة المتنورة فيها، إلا في سنة (١٨٢٦). و إني أسمح لنفسي هنا بإعلان هذه الحقيقة، و هي إن فضل أداء هذه الخدمة للعلم راجع إلى روسيا، و علمائها الباحثين (انظر دورن المجموعة الآسيوية الجزء الثاني)، و كان المسيو (فراش) أول من رفع صوته لصالح هذا التاريخ الكردي سنة (١٨٢٦)، فقد نشر عنه تحليلاً قصيراً، ختمه بتمنيه أن يرى ظهور ترجمة مثل هذا الكتاب المهم في تاريخ آسيا، حيث قال: (بترجمة هذا الأثر النفيس تصبح لدينا نافذة تنير لنا تاريخ آسيا). و في هذه السنة نفسها، نشر المسيو (وولكو) مذكرته على التاريخ الفارسي، المعنون أيضاً (بشرفنامه) مصحوبة ببعض المعلومات عن المؤلف (الجريدة الآسيوية، جزء٨ سنة ١٨٢٦، ص ٢٩١ و ٢٩٢)، و بعد ذلك بمدة، فكّر المسيو (شارموا) الأستاذ بمعهد اللغات الشرقية في سان بطرسبورج، بناءً على نصيحة المسيو (فراش فرايهين) في الشروع في نشر و ترجمة (شرفنامه) (انظر فراش، حياة الشيخ صفي الأردبيلي)، و لم يمنع هذا العالم المستشرق إلا أسباب صحية، من أن يخرج للناس عملاً لو أتمه لكان بلا شك لفت أنظار العلماء إليه.

و في هذه الأيام الأخيرة، لما لقيت دراسة لغة، و تاريخ، و جغرافية كردستان، تقدماً عظيماً بفضل المجهودات العلماء، و السيّاح لم يلبث (شرفنامه) أن صار موضوعاً للمباحث الخاصة، و زاد عدد الذين استفادوا من هذا الكتاب المهم زيادة عظيمة، و ظهر له تحليلات ذات سعة كافية.

أورد المسيو (كاترمر) في (تاريخ منغول، فارسي، باريس ٣١٩ – ٣٢٩) بعض فقرات من (شرفنامه). كما أن مقالة مستقلة خُصصت لهذا التاريخ الكردي في

---

[1] - يسمي هذا الكاتب الإنجليزي شرفنامه (تواريخ أكراد) و يسمي المؤلف (شرف الدين) أما عنوان (تواريخ أكراد) فهو العنوان المعطى للكتاب في أوروبا و آسيا. و كذلك يسميه مسيو ريخ الذي زار كردستان بعد مستر مالكوم بعشر سنين (راجع وصف إقامته في كردستان و منظر نينوى القديمة طبع لندن سنة (١٨٣٦) جزء أول ص ١٠٩، ٢٤٧، ٣٠٢، ٣٨٠) أما اسم (شرف الدين) فلا يمكن اعتباره غير صحيح رغماً عن كون المؤلف نفسه في كل مجرى كلامه يسمي نفسه شرف فقط فما الاسم الأول إلا جزأ من الثاني فإذا نطقنا بكلمة شرف فتحتها كلمة (الدين) مستترة و يتابع مورلي في فهرسته مالكوم فيسمي المؤلف الفارسي دائماً شرف الدين و الشيء نفسه يتكرر في فهرست المخطوطات الشرقية، سان بطرسبورج.

فهرست المخطوطات الشرقية بالمكتبة القيصرية في سان بطرسبورج (انظر سان بطرسبورج سنة ١٨٥٢، ص ٢٩٥).

و ذكر الدكتور (بارب) في اثنين من تعليقاته المنشورة في (زايت زوتجس برختي) في فلسفة التاريخ، خلاصة وجيزة من كل محتويات (شرفنامه) لغاية خاتمته، التي تتعلق في الأصل بتاريخ تركيا و فارس. و يمكن أن يعتبر التعليق الثالث، الذي كتبه المؤلف المذكور و ظهر أيضاً في (زايت زوتجس) إنه تكملة لما كتبه أولاً و هو (تاريخ خمس أسر كردية) يحتوي على ترجمة كاملة لكل الجزء الأول. و قد حلّل المسيو (مورلي) في فهرسته لشرفنامه مضيفاً إليه القبائل، و الأعلام المحرفة، مقولة من الترجمتين التركيتين، لنفس الكتاب الموجودتين في المتحف البريطاني.

و كتب المسيو (ليرسن) في مباحثه عن الأكراد تعليقاً صغيراً على تاريخ الكرد، ذكر فيه معلومات غريبة، استعارها من هذا الكتاب، و قد صرّح أخيراً المسيو (كونيك) بهذا الرأي (و نشر المخطوط المذكور ليسد فراغاً كبيراً و يدفع احتياجاً حقيقياً).

و قد فكرت طويلاً، فوجدت أن طبع (شرفنامه) لن يكون فقط عملاً مفيداً بل سيكون عملاً ضرورياً، للحالة التي عليها الآن علم التاريخ، بالنسبة للأكراد. فانتهيت أخيراً إلى مباشرة هذا العمل، عازماً على نشر النسخة الفارسية (الأصل)، مع ترجمة لها مضافاً إلى ذلك تعليقات و شروح فلسفية تاريخية، و جغرافية. و الجزء الذي أُصدره الآن، يحتوي على كل كتاب (شرفنامه) ما عدا الخاتمة. و هو القسم الأكبر قَدراً، و شأناً في التاريخ الكردي، لاشتماله على تاريخ كل قبيلة على حدتها، و ينتهي بتاريخ حياة المؤلف الذي كتبه بنفسه.

أمّا الخاتمة فستدخل في الجزء الثاني، و ها أنا أُوضح في بضع كلمات الطريقة التي اتبعتها في نشر الأصل.

حصلت على أربع مخطوطات من الكتاب المذكور:

١- مخطوط المكتبة القيصرية في سان بطرسبورج، المنسوخ سنة (١٠٠٧هـ) بعد تأليف الكتاب بسنتين، و الذي اطّلع عليه المؤلف نفسه.

هذا المخطوط القيم، ذكره المسيو (فراش) (انظر دورن) كما هو مذكور و موصوف في فهرست المخطوطات. غير أنه يوجد فيه نوعاً ما نقصٌ كبير. لأنه يبدأ من وسط الفصل الذي يبحث عن تاريخ قبيلة (محمودي)، و ينتهي عند الفصل

الذي يختص بالبحث عن تاريخ قبيلة (سياه منصور). (انظر الجزء الأول من الأصل ص ٣٠٤ – ٣٢٤).

٢- مخطوط مسيو (خانيكوف)، و قد اشتراه هذا العالم المستشرق سنة (١٨٥٤)، أثناء إقامته بفارس، بصفته قنصلاً عاماً لروسيا، من بلدة ديلمكان مركز ولاية (سلماس)، و راجعه على مخطوطين آخرين جاء بهما من مكتبة (يحيى الخان) الخاني، حاكم أكراد أذربيجان. هذا و قد تفضل المسيو (خانيكوف) الذي يعترف الكل له بالهمة المستنيرة في سبيل العلم، بإعارتي مخطوطه هذا طيلة مدة الطبع. و نسخة (خانيكوف) هذه كتبت في ديلمكان من مخطوط منسوب للمؤلف بتاريخ سنة (١٠٠٧هـ) نقلها رجل يدعى محمود رضا بن صابر علي الكربلائي بأمر من المدعو (روشن أفندي) فأتمّها في (١٩ شعبان سنة ١٢٥٢هـ، ١٨٣٧م) و هاك صورة جانب من القصة الموجودة في نهاية المخطوط[1].

قال المؤلف[2] قد فرغ عن تحريره و تصحيحه و تنقيحه على يد مؤلفه الفقير و مصنفه الحقير المحتاج إلى رحمة الله الملك الجليل الباري شرف بن شمس الدين الروجكي الأكاسري حفظه الله تعالى عن زلات القلم، و مقولات الرقم في أواخر شهر محرم الحرام سنة (١٠٠٧) من الهجرة النبوية الشريفة (صلى الله عليه و سلم) ببلدة بدليس حفظها الله عن التلبيس. و قد وقع الفراغ من هذا الكتاب بعون و نصر الله، الملك الوهاب على يد أضعف العباد، و أقصر عن الجماد، محمد رضا بن كربلائي صابر على الساكن في قرية ديلمكان يوم الثلاثاء في قرب الضحى في التاسع عشر من شهر شعبان المعظم.[3]

و يوجد في أمكنة كثيرة من هذا المخطوط آثار لختم (روشن أفندي)، و الكتابة المنقوشة على هذا الختم، مكونة من عبارة فارسية هذا نصها: (تجلى الله ناكاه آيد، اما بردل آكاه آيد) التجليات الإلهية تأتي عفواً، و لكن تأتي للقلب اليقظ. و في وسط الختم اسم (روشن) و سنة (١٢٥١). أمّا مخطوط (خانيكوف) فعدد أوراقه (٢٥٠)، و منسوخ جميعه بيد واحدة، و يمتاز بوضوح الخط، و تقارب السطور.

---

[1] – وهذه الدعوى تؤيدها الحكاية الآتية الموجودة في نهاية المخطوط المذكور.

[2] – وقع تصحيحه و تنقيحه على يد مؤلفه و مصنفه أدام الله تعالى أيام دولته و رفعته في أواخر شهر شوال سنة (١٠٠٧هـ) ببلدة بدليس حفظها الله من تلبيس الإبليس.

[3] – من الصعب أن يقرر بناء على كلام محمد رضا هذا، ما إذا كان نقل صورته عن نسخة خط المؤلف نفسه أو عن مخطوط آخر على صورتها أو عن أخرى منقولة عن الأصل. و على كل حال فإن المخطوط الذي ذكره رضا محمد لا يمكن أن يكون هو نفس الموجود في المكتبة القيصرية بالرغم عن الأمر الذي يستحق الملاحظة – إن الاثنين كتبا في سنة (١٠٠٧)، إلا أنه فضلاً عن اختلاف التاريخ الذي كتب فيه المخطوطات يجب أن يلاحظ أن تراجم النسختين ليستا مطابقتين لبعضهما غالباً.

٣- مخطوط المتحف الآسيوي العلمي القيصري بسان بطرسبورج نمرة (٥٦٧)، على أساس (روسو) القديم. هذا المخطوط عدد أوراقه (٦٠٥)، و خطه قليل الجودة، لكنه يُقرأ تماماً. كان قد أرسل إلى المسيو (روسو) كما يدل على ذلك تعليق مكتوب بخط يده على الصحيفة الأولى (من بادا خان حاكم ساو جبلاق بقرب بحيرة وان)، و لكن لم يذكر فيه لا تاريخ النسخ، و لا اسم الناسخ. حتى أن المخطوط نفسه غير كامل، ففي أخره أربعة سطور ناقصة. و هذه هي النسخة التي قُدّمت إلى المسيو (وولكو) ليكتب تعليقه الذي أدرجه في الجريدة الآسيوية.

٤- مخطوط المتحف الآسيوي نمرة (٥٧٦) أحضره من فارس، البارون (بودو) هو عبارة عن قطعة مكونة من مائة صفحة، و يبدأ بهذه الكلمات: (كه ايوان كيوان با وجود علومكان)، (انظر الجزء الأول المقدمة ص٤). و تنتهي هذه الكلمات: (سبحان بيك و سلطان أحمد بيك). (انظر تاريخ أمراء سويدي جزء أول ص ٢٥٧).

و المخطوط على جانب كبير من جمال الخط الجيد، و في حالة سيئة من الحفظ جداً، و يظهر أنه قديم، و التعليقات التي بالهامش في أول الكتاب و أخره، مملوءة بالأحاديث و بشذرات تبحث في مواضيع دينية. و توجد صورة حديثة جداً للفصل المشتمل على تاريخ حكّام أردلان و (هذا الفصل موجود قبل ذلك في المخطوط مجلداً مع الورقة الأخيرة)، و يوجد في هذه النسخة نقص في موضعين على جانب كبير من الأهمية و الاعتبار: أولهما، يبدأ بهذه الكلمات: محمدي خان الشهير. إلى هذه الكلمات: و شايسته رفعت آن كس آست. (انظر الجزء الأول ص ١٢٩ – ١٥٩) والثاني يبدأ بهذه الكلمات: آثار شجاعتش. إلى كلمات: وبنج بسرداشت. (انظر الجزء الأول ص ١٩٩ – ١٩٧) و غير ذلك فليست جميع الأوراق مثبتة في مكانها.

و أظن أن نسختين من هذه المخطوطات الأربعة فقط كاملتان: نسخة المسيو (خانيكوف) و نسخة المتحف الآسيوي رقم (٥٧٦)، بالرغم عن أنهما تنقصهما أربعة فصول "إذا أخذنا في ذلك بفهرست المواد التي أوردها المؤلف في المقدمة". وبما أن هذه الفصول التي تتعلق بوجه خاص بتاريخ حكّام (زرزا، استوني، طاسني، طرزا) مذكورة في المقدمة، و لكنها لا توجد في صلب المخطوطات التي وصفناها، أو التي هي معلومة لنا، فيمكن كما يظهر لي أن المؤلف لم يؤلفها قط، إمّا لعدم حصوله منها على مواد كافية، و إمّا إن الزمن لم يسعفه، فعدل عن كتابتها، بل قد ذكر أسمائها على نية إدراجها في مؤلفه فيما بعد. إلا أنه لم يتمكن

من ذلك. و هذا هو أقوى الاحتمالات، لأن (شرف خان) لم يقيد نفسه على العموم، باتباع الطريقة التي وضع نظامها في المقدمة تماماً. و هذا ما يمكن الحكم به عند مقارنة فهرست المواد الموجودة في المخطوطات، مع الفهرست الذي وضعتهُ بناءً على النص في أول الكتاب.

يحتوي مخطوط المتحف الآسيوي رقم (٥٧٦)، في القسم الثاني (فرقه دويم) من الباب الثالث (صحيفة سيم)، بعد الفقرة الباحثة عن (أمراء ما هي دشت) إلى المكان الذي يجب أن يوجد فيه تاريخ أمراء (بانه) و أمراء (طرزا) (الذي ينقص من جميع المخطوطات)، على تعليق مستقل على أمراء (كلباغي) (راجع نسخة السير جان مالكوم فهرست مورلي صحيفة ١٤٩). هذه التغييرات، و الأحوال عزّزت اعتقادي بأن هذا المكان من الكتاب، طرأ عليه أخيراً تغييرات من جانب المؤلف نفسه، حيث لم يكن كاملاً، و مع ذلك فإن كل هذا لم يكن إلا فرضاً، و لا يمكن أن تحلّ هذه المسألة حلاً يرتاح إليه الضمير، إلا عندما يعثر على مقدار كبير من نسخ كتاب (شرفنامه).

و إنّي لا أتوسع في الكلام على الأربع مخطوطات التي عندي، أكثر من هذا لأني سأكتب عما فيها من الاختلاف في آخر الجزء الثاني من الكتاب. أمّا التعليقات التي ستظهر بعد ذلك، فستساعد أيضاً على تقدير قيمة كل مخطوط تقديراً عادلاً.

هذا و قد اخترت لنشر هذا الكتاب مخطوط المكتبة القيصرية و لم يكن هذا الاختيار صعباً، لأنه من الطبيعي أن ترجّح النسخة الرواية التي صحّحها المؤلف نفسه. و فضلاً عن ذلك فقد حصلت على إذنٍ من جانب مدير المكتبة المذكورة، يمنحني بكل لطف، الاستعانة بهذا المخطوط. و بما أن اللائحة الداخلية للمكتبة لا تسمح بإعارة الكتب لأي شخص في منزله، فقد وجدت نفسي مضطراً لمراجعة مخطوط (خانيكوف)، على مخطوط المكتبة في نفس المكتبة، و لتمام الدقة راجعت كل بروفة على الأصل. و النقص الذي في مخطوط المكتبة القيصرية، أكملته من مخطوط (خانيكوف) الذي هو – كما تولدت لدي القناعة – أصحُ و أتمُ جداً، من مخطوط المتحف الآسيوي، و يمتاز عنه امتيازاً كبيراً بكونه روجع مرتين.

و أمكنة النقص مشار إليها بعلامة ()، حيث استُعملت هذه العلامة على العموم للدلالة على جميع الكلمات التي لا توجد في نسخة المكتبة، و توجد في النسخ الأخرى. و هي أمّا عبارة عن حذف بسيط من الناسخ، أو هي بعض كلمات ضرورية لاستقامة المعنى. و مخطوط (خانيكوف) هو الذي ساعد بالأكثر بمعظم

الكلمات المذكورة. و ها أنا أقدم الكتاب للطبع، كما هو بدون تغير في الرسم و الإملاء.

فلذا لا يوجد إلا قليل من إشارات الإملاء في طبعتي هذه. و لم استعمل همزة الإضافة (ۀ)، إلا في الأمكنة التي وضعت فيها في الأصل المخطوط. و قد كنت محترساً بنوع خاص عند قيد الأعلام التي يفيض بها كتاب (شرفنامه) و التي أحدثت مشكلة عظمى للطابع. و لكي أكون محافظاً بقدر ما يمكن على هذا المبدأ، فقد فضلت أن أحافظ على رسم الكتابات المختلفة في الأسماء الخاصة التي استعملها المؤلف، أو الناسخ. هذا هو السبب في أننا نرى اختلافاً كبيراً في كتابة اسم قبيلة كقبيلة "زوكي" فتارة تكتب هذه الكلمة هكذا، و أخرى هكذا "زوژكي"، و طوراً "روجكي"

هذا و أني أحفظ لنفسي الفرصة لأن أوضح في تعليقاتي، التي سأصدرها فيما بعد صور الكتابات التي يتراءى أنها غير صحيحة. و التغيير الوحيد الذي سمحت لنفسي بإجرائه، هو أن أضع مكان التاء المربوطة، أو المدورة، في الجمل الفارسية البحتة تاء مربوطة مفتوحة، مثل رسم (حيات) بدلاً عن (حياة)[1]، و صححت أيضاً أخطاء الناسخ البديهية جداً، و يوجد منها أحياناً في مخطوط المكتبة حيث خطه لم يكن جيداً دائماً، ففيه صحائف كاملة كتبت بسرعة و بدون عناية. و في هذا التصحيح جعلت رائدي المخطوطات الأخرى. و كانت معاونة مخطوط (خانيكوف) لي في ذلك معاونة لا تقدر بثمن. أمّا التصحيحات التي يمكن أن تُحدث بعض الشك في نفوس القرّاء فسأبينها في التعليقات[2]، هذا و أن بعض العلامات أثناء النشر، و الطبع، تحتاج إلى بعض الإيضاح: فلبياض هكذا (   ) ترك في المحلات التي وجدت هكذا في الأصل. أمّا البياض بالنقط .... فتدل على أنه يوجد حذف في بعض الجمل و العبارات. و قد استعملت هذه العلامة في المحلات التي لا يوجد فيها بياض في الأصل، و لكن المعنى يدل بالضرورة على وجود حذف. على أنّي لم أتمكن من إكمال النقص بمعاونة أي مخطوط آخر. أمّا علامة القوس المربع، و تدل إمّا على الكلمات التي أضفتها، و إمّا على البياض الذي ملأته باجتهادي اعتماداً على مؤلفين غير (شرف خان) مثل (ابن خلكان)، و(عبد الرزاق) و غيرهما، الذين اعترف المؤلف نفسه أنّ رواياته و قصصه من مؤلفاتهم. و لم أعمل ذلك إلا نادراً في الأحوال التي يظهر لي فيها أن الكلمات

---

[1] - و مع ذلك فقد بقي بعضاً سهواً كما ترى أن كلمة جيهت كتبت في بعض المحلات (جهة).

[2] - قد علمنا بعد البحث أنها لم تنشر .

المضافة ضرورية، لا بد منها سواء لأجل استقامة المعنى، أو لتصحيح عبارة مغلوطة، ربما تكون نشأت من يد الناسخ. أما التصحيحات الأخرى المفصلة، و الشروح المدعمة بالأسباب و الأدلة، التي قمت بعملها فقد أبقيتها لتعليقاتي العامة.

و قبل إتمام هذه المقدمة التي أرجو من القارئ أن لا يتلقاها إلا كنظرة عامة لخطتي في طبع الكتاب، و نشره – أرى من الواجب الضروري أن أضيف هنا من باب المعلومات، قائمة ببيان النسخ الخطية لهذا الكتاب، الموجودة في أوروبا، و التي اعلم بوجودها .

يوجد بخلاف النُسخ الأربع المذكورة، التي ساعدتني على نشر هذا الكتاب على هذا الشكل، و التي تملكها روسيا . أي موجودة بها – ثلاثة مخطوطات أخرى واحد في فيينا (النمسا)، ملك الدكتور (بارب) و آخر (بلوندرة) ملك السير (جان مالكوم)، و هو جزء من مجموعة الجمعية الآسيوية الملكية لبريطانيا العظمى و ايرلندا (انظر كتالوج مورلي ص ١٥١)، و ثالث في باريس، و هو مكتوب بخط جميل جداً و جزء من مجموعة (دوكروا) رقم (٨٨) (انظر وولكو تعليقات جرنال ازمانك سنة ١٨٢٦ جزء ٨ ص ٢٩١ تعليق ٢ تاريخ المغول و الفارس لكاترمر ص ٣٠١). و المتحف البريطاني لا بد أن يوجد فيه نسخة من كتاب (شرفنامه)، و هي نسخة المسيو (ريتش) التي تحصّل عليها في كردستان، حيث أنها انتقلت إليه مع سائر المخطوطات (انظر حكاية ريتش عن إقامته بكردستان جزء أول ص ٢٤٧ و حاشيته الناشر بارب ص ٥) و المتحف البريطاني كما قلنا سابقاً يملك أيضاً ترجمتين تركيتين لشرفنامه و قد عُمل عنهما تحليل قصير بواسطة المسيو (ريو) (انظر كتالوج مورلي ١٤٥ و ١٤٦ و حاشية ٣).

سان بطرسبورج يناير سنة ١٨٦٠ الإمضاء: ف. فه. ليامينوف زرنوف.

مقدمة علمية

(أحدث الآراء و المباحث في الكرد و كردستان)

"كردستان أو مملكة الأكراد"، قطر كبير، و إقليم واسع، يقع معظمه في تركيا، و قسم غير قليل منه في إيران، و الأقل منه يكُون القسم الشمالي لبلاد العراق الحالية. سُمّي باسم العنصر الغالب من السكان و هم الكرد.

و إنك لا تجد الآن هذا الاسم الجغرافي الواقعي بين الأسماء الجغرافية، و الإدارية التي أحدثتها أهواء السياسة التركية.

كما أن الولاية التي كانت تدعى (كردستان) في تركيا، و كذا (ايالة كردستان) الحالية بإيران، لا تشمل كل البلدان، و المدن الآهلة بهذا الشعب القديم الكبير، و لا تحيط بجميع أجزاء الحدود القومية لكردستان الحقيقية.

و من الصعب جداً تحديد هذا القطر الشاسع تحديداً قومياً دقيقاً، لجملة أسباب منها: استيطان عدد غير قليل من التركمان، و الفرس، و العرب، في مختلف أدوار التاريخ بكردستان، و اختلاطهم بالشعب الكردي. و منها انتشار الأكراد أنفسهم في غير كردستان من الأقطار المجاورة، مختلطين بالعناصر الأخرى اختلاطاً كبيراً. و منها ما أحدثته التقسيمات الإدارية، و السياسية التي جرت عليها الدول الإسلامية الكبرى من الخلط، و المزج، بين العناصر، و تغيير معالم الحدود القومية، و الوطنية. و منها و هو الأهم، عدم قيام المتعلمين الأكراد بإنماء العاطفة القومية بمفهومها الحديث المطابق للعلم، و المنطق، و عدم تعهدهم باللغة الكردية، و بالتغذية بالتأليف، و النشر، و استعمالها في التراسل، و التكاتب. مما أدى إلى تقلص ظل اللغة الوطنية في أغلب المدن الكبرى بكردستان و انكماشها إلى الجبال، و الوهاد قاصرة على من يتحدث بها، دون غيرها من سكان القرى، و رُحّل السهول، و الوديان.

و على كل حال فيمكننا — استناداً على معرفة غالبية السكان باللغة الكردية الوطنية، و التحادث، و التخاطب بها، دون التراسل، و المخابرة — أن نحدد كردستان تحديداً قومياً، و تاريخياً دقيقاً فنقول:

إن كردستان تمتد شمالاً من جبل آرارات، الفاصل بين الحدود الإيرانية والروسية و التركية، الجغرافية و السياسية، و الحدود الوطنية و الجنسية للكرد،

و الفرس، و الأرمن، إلى جبال حمرين الفاصلة بين العراق العربي، (ولايتي بغداد و البصرة)، و بين العراق الكردي، أو كردستان العراقي (ولاية الموصل القديمة) جنوباً. و من أقصى لرستان ببلاد العجم شرقاً إلى ولاية ملاطية بتركيا غرباً.

فعلى هذا تكون جميع الولايات الشرقية من تركية آسيا، ما عدا ولاية طرابزون، و جزء من ولاية أرضروم، كردية داخلة في حدود كردستان، كما أن القسم الجنوبي من ولاية تبريز الحالية، و جميع ايالة كردستان و لورستان في بلاد العجم أيضاً، داخلة في هذا القطر الواسع، لأن الأغلبية الساحقة من قطّان المدن، و سكان الجبال، و رُحّل السهول، و الوديان، في هذه البلاد المحددة تقريباً من العنصر الكردي دماً، و لغة، و تقاليد، و عادات، بالرغم من انتشار اللغات التركية، و الفارسية، و العربية بجانب اللغة الكردية الوطنية، في كُبريات مدن، وعواصم كردستان المقسوم بين ثلاث دول شرقية: تركيا و العجم و العراق.

الحدود

وعلى هذا التقدير يكون تحديد كردستان بالضبط، والتفصيل كما يأتي، من الشمال جمهورية أرمينية الخاضعة لروسيا، ومقاطعات أرضروم، وقارص، ومقاطعة طرابزون التابعة لتركيا، ومن الشرق ولاية أذربيجان الإيرانية، والعراق العجمي، ومقاطعة فارس، ومن الجنوب خوزستان الإيرانية، والعراق العربي، بادية الشام (لواء دير الزور)، ومن الغرب نهر الفرات، وبعض الولايات الشرقية من الأناضول[1].

طبيعة الأرض و المناخ

تحيط بكردستان الجبال الشامخة من كل الجهات، سوى القسم الجنوبي الغربي، فهذا القسم لا يحوي إلا هضاباً كثيرة، تجري فيها العيون الدافقة، وسهولاً غير قليلة ترويها الأنهر. و أكثر الجهات صلاحاً للزراعة هي القسم الجنوبي و الجنوب الشرقي حيث حوض الفرات، ودجلة وروافدهما مثل الزاب الأكبر، والأصغر، ونهر الخابور[2].

و أعلى الجبال الشامخة في كردستان هي الواقعة في الشمال الأقصى، و هي مكسوة بالغابات الكثيفة، و الغنية، و محاطة بوديان خصيبة غير قليلة، فلذا تراها دائماً آهلة بالسكان صيفاً، شتاءً، و حافلة بالقرى، و المدن، بخلاف سلسلة

---

[1] - التحديدات الجغرافية والتسميات الإدارية تعود إلى الفترة التي كتب فيها الكاتب هذا البحث والبعض منها تغيرت وأصبحت مختلفة عما كانت عليه في تلك الآونة. الناشر.

[2] - ربما يقصد المؤلف نهر الخابور الذي يقطع الحدود العراقية - التركية بالقرب من مدينة زاخو. الناشر

الجبال الفاصلة بين الحدود التركية، و الإيرانية، فإنها جرداء لا غابات فيها، و لا كلأ. حيث تتكون من صخور صلدة بركانية، ذات أخاديد، و هوات سحيقة، مما يجعل اقتحام هذا القسم الجبلي شيئاً مستحيلاً على اشد الجيوش بأساً، و إقداماً. و مع ذلك فإن أكثر الأنهار، و المياه، تنبع من هذه الجهات كالفرات و فرعيه، و الدجلة و روافدها. فكل هذه الأنهار تجري نحو الجنوب ما عدا نهر القطور فرع نهر الكر، الذي يصب في بحر قزوين. و هناك بعض مياه، و نهيرات عديدة تصب بعضها في بحيرة وان الشهيرة. و البعض الآخر تصب في بحيرة أورمية الكائنة ببلاد العجم على شرقي البحيرة الأولى.

الكرد خارج كردستان

بالرغم من أن تحديد كردستان و تميّزه عن غيره من الأقطار، و البلدان، هو بحسب العنصر الكردي السائد من السكان. فإن هناك قبائل عديدة، و طوائف كثيرة من الأكراد، تعيش خارج كردستان بصورة جماعات منعزلة مستقلة – فمثلاً في سوريا الشمالية بين الاسكندورنة، و حلب، في سهل عمق الخصيب جماعات كبيرة من الأكراد، يبلغ عددهم مائة ألف نسمة تقريباً. و كذا توجد بعض القرى الكردية البحتة شرقي حلب. و توجد أيضاً في جهات كثيرة من الأناضول جماعات كردية كبيرة في سهول قونية، و هضبة سيواس، و جورم، و سهول أضنة. كما أن الولايات الجنوبية من القفقاس، تسكنها جماعات كبيرة من الأكراد، يقدّر بعض العارفين عددهم بنصف مليون. هذا و إن أكثر قبائل مقاطعتي خراسان، وسجستان، الواقعتين في شرقي إيران من العنصر الكردي الخالص. حتى أن بلاد الأفغان و البلوج أيضاً تحتوي على جماعات كبيرة من الأكراد الرحّل.

تعداد السكان

اختلفت الآراء و تضاربت التقديرات في عدد الأكراد عموماً، و سكان كردستان خصوصاً. نظراً لعدم وجود أي إحصاء نزيه دقيق، قامت به الحكومات التي تولت الأمر في كردستان من قديم الزمان. فمثلاً ذكر المرحوم شمس الدين سامي الأرناؤوطي في كتابه التركي (قاموس الأعلام)عدد الأكراد ب (٢,٥٠٠,٠٠٠) تقريباً كما إن الأنسكلوبيديا الإنكليزية ذكرت في بحث شائق عن الأكراد، و كردستان، عدد عموم الأكراد بما يقارب الثلاثة ملايين. و ورد في دائرة المعارف الإسلامية باللغة الفرنسية، أن عدد عموم الكرد كان قبل الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٤) يقدر بثلاثة ملايين أيضاً.

و لا شك في أن كل هذا بعيد عن الحق، و الحقيقة، بعد السماء عن الأرض. و السبب في ذلك كله: هو أن اغلب السيّاح، و الكاتبين، عن الكرد، و كردستان، أي عن هذه البلاد الواسعة الأرجاء المحددة آنفاً تحديداً قومياً دقيقاً، لم يعتبروا سكان المدن، و العواصم الكبيرة، في هذه البلاد من الأكراد. لانتشار اللغات التركية، و الفارسية، و العربية فيها بجانب اللغة الوطنية الكردية. و لإظهار القائمين بالأمر بكردستان، ما يوجب اعتقاد الغرباء عن البلاد، و الجاهلين بالتاريخ من أهلها، ذلك واقعين تحت تأثير الدعاية التي كانت و لا تزال تنتشر تحت أسماء مختلفة و وسائل عديدة.

و هكذا اعتبروهم من أبناء هذه اللغات غير الوطنية، قاصرين إطلاق لفظ الكرد على سكان الجبال، و رحّل السهول من القرويين، و رجال العشائر، دون هؤلاء المتوطنين في المدن، و البنادر، الحاملين أصول، و قواعد ثلاث مدنيات كبيرة من أقدم المدنيات الشرقية، و هي مدنيات الآشوريين، و الميديين، و الكيانيين الذين هم العناصر الأولى للشعب الكردي الحالي.

فلذا جاء تقريرهم لعدد الكرد ناقصاً، و تحديدهم لتخوم كردستان صغيراً، غير متفق مع الحقائق التاريخية، و الإثنولوجية، و سائر الاعتبارات القومية. فلذى تؤيده المصادر الكردية القديمة، و تعضده المباحث التاريخية الدقيقة، المدعمة بالسيّاحات الطويلة، المتغلغلة في أنحاء جميع البلاد التي انتشر فيها الشعب الكردي، ابتداءً من أنقرة، و لغاية خراسان. هو أن سكان كردستان حسب التحديد السابق لا يقل عن (٨,٠٠٠,٠٠٠) ثمانية ملايين نسمة. بما فيهم اللور في لورستان، و الكلهر في كرمنشاه، و همدان. و إذا حسبنا أبناء الجنسيات الأخرى القاطنين في كردستان، على أكثر تقدير بمليون نسمة، يكون صافي عدد الأكراد في كردستان و خارجه، سبعة ملايين تقريباً و إليك البيان:

١,٥٠٠,٠٠٠	في بلاد العجم
٢٥٠,٠٠٠	في روسيا
٤,٥٠٠,٠٠٠	في تركيا كلها
٥٠٠,٠٠٠	في العراق
٢٥٠,٠٠٠	في سوريا كلها
٧,٠٠٠,٠٠٠	سبعة ملايين المجموع

الأصل و اللغة

اختلف العلماء في أصل الأكراد، شأنهم في كل ما يتعلق بهذا الشعب الشرقي القديم، فذهبت طائفة من علماء الأجناس البشرية (إثنولوجيا) إلى أن الكرد من حيث السلالة قبائل آرية، سكنت في فجر التاريخ بكاردوكيا منطقة (وان، بدليس)، و اعتصمت بالجبال المطلّة على آشورية القديمة، حرصاً على الحرية، و الاستقلال اللذين يعشقهما هؤلاء الجبليون بالفطرة.

و دليل هذه الفكرة، هو ما ذكره المؤرخ اليوناني القديم (إيكسينفون) في كتابه عن تقهقر العشرة آلاف يوناني سنة (٤٠١) قبل الميلاد، من بلاد العجم، إلى الشمال. من أنهم مرّوا في طريقهم إلى البحر الأسود في المنطقة الممتدة من جبال رواندوز، لغاية جبال درسيم، و أرزنجان بأمةٍ ذات بطش، و جلادة تسمى كاردوخ. و لا شك في أن هذه الكلمة حرّفها اليونان من كلمة الكرد. فالشعب الكردي إذن، موجود في هذه الجهات من نحو ثلاثة آلاف سنة بنفس هذه الصفات، و السجايا، التي امتازت بها القبائل الكردية منذ القديم. و هناك فكرة أخرى أحدث من الأولى، و هي أن الكرد ليسوا هؤلاء الكردوكيين، فقط بل هم أقدم منهم من اليونان بكثير. و ذلك لأن البحث العلمي الحديث، أدى إلى أنه كان يوجد في فجر التاريخ، في الجبال المشرفة على آشورية، و في ميديا القديمة أمةٌ تدعى بالجوتو، و معناها المحارب. فنقلها الآشوريون إلى لغاتهم بلفظ جاردو، أو كاردو، و هو نفس الاسم الذي استعمله استرابون الجغرافي القديم، لتوضيح اسم كارداسيس، و أنّه و أن كانت هذه الأمة (على ما يظن) في الأصل تورانية، إلا إنّها اندمجت في فجر التاريخ في الأمم الآرية المحيطة بها، فأصبحت من أقدم الآريين الذين كانت لهم مدينات، و آثار، امتازت بين سائر المدينات الآسيوية الغربية، كمدينات الآشوريين، و الحيثيين، و السوزيين، و العيلاميين، و البابليين.

و يظهر أن هذه الأمة التي احتفظت نوعاً ما باستقلالها السياسي، أثناء قيام الإمبراطورية الآشورية، قد اتحدت بعد سقوط نينوى مع الميديين، الذين هم إحدى شعوب هذه الأمة المحاربة التي امتدت سلطتها إلى الجنوب أيضاً إلى غاية إقليم فارس و خوزستان. لأن المدنية التي قامت في جهة كرمنشاه، و همذان، هي من نوع المدنية التي خلقتها (الجوتو)، في الشمال في كاردوكيا و ميديا، و في آشورية أيضاً. و ذلك لأن قبيلة الكلهر الحالية تعتقد و تؤيدها الآثار التي وُجدت في بلادها، بأنّها من نسل (جودرز) التي تترجم بزعيم (الجوتو) كما أن الجوران "كوران" (أي أكراد العراق و بلاد العجم)، يعتقدون أيضاً بأنهم من ذرية "جودرز بن

كيو" الذي كان له ابن يسمى "رحام" أرسله بهمن الكياني لتخريب القدس، و أسر اليهود. و رحام هذا هو الذي اشتهر في الكتب العربية بـ (بخت نصر) الذي تولى العرش فيما بعد و سُمّي من خلفوه من سلالته من الملوك بالجوران. و منقوش على بعض الأحجار في بيستون بقصر شيرين، أن جودرز بن كيو هذا كان شخصاً حقيقياً (راجع مجلة الجمعية الآسيوية ٩ – ١١٤).

فعلى كلا التقديرين فالأمة الكردية بشعوبها الأربعة (كرمانج، كوران، لور، كلهر) من أقدم الأمم الآرية التي أنشأت حضارة زاهية في هضبة إيران، و البلاد المحيطة بها. و سادت على سائر إخوانها من القبائل الآرية الأولى، و أصبحت بذلك اللغة الكردية لغة عامة تتكلم بها جميع تلكم القبائل الآرية في إمبراطوريتهم الممتدة من منابع الدجلة، و الفرات، لغاية خليج فارس، و كانت عاصمة هذه الإمبراطورية (اكباتان) في جهة كرمنشاه. و سمّيت اللغة بلغة البهلوان أو البهلوانان أي لغة الأبطال. و لا شك في أن هذه ترجمة كلمة (الجوتو) أو (الجاردو) بمعنى المحارب البطل. و يؤيد هذا أيضاً معنى كلمة بطل في الفارسية و هو (كَرد)، كما ورد في شهنامة، و أيضاً لا يزال بين القبائل الكردية في كل الأنحاء، اعتقاد عام بأن لفظ الكرد لم يطلق على هذا الشعب إلا لفرط الشجاعة، و البسالة اللتين امتازوا بهما في كل أدوار التاريخ.

فاللغة البهلوية هذه هي أصل اللغة الكردية الحالية المتشعبة إلى اللهجات الأربعة و هي الكرمانجية، و الكوارنية، و اللورية، و الكلهرية. و أقرب هذه اللهجات إلى البهلوية هي اللورية، نظراً لقرب مكان الألوار، من مركز البهلوية الأولى، و لعدم تأثر الألوار كثيراً بالكلدانيين، و بالآشوريين. ثم تليها الكلهرية، فالجورانية، و الكرمانجية. إلا أن الأخيرتين تأثرتا كثيراً باللغتين الآشورية، والكلدانية. و لتوضيح هذه المسألة العويصة ننقل هنا خلاصة ما كتبه صاحب جغرافية ملطبرون منذ مائة سنة تقريباً، بيان معنى كلمة (إيران = يران) حسبما هو شائع في الشرق (إيريانة – آريانة) كما هو معروف في الغرب و في تطور اللغات الإيرانية التي استعملت بين الأمم الآرية ذات المدنيات الكبيرة قال: (إن الأقدمين كانوا يفرقون بين الآريين، و الأسقوثيين (التتار)، لما كانوا يميزون بين كلمتي توران، و إيران. حيث أنّه مكتوب على مباني اصطخر كلمة (آريانه)، و هي عين اسم آريانة، الذي كان معروفاً لليونان. غير أن بعضاً من علماء اليونان، لم يكونوا يطلقون هذا اللفظ إلا على شرقي إيران الحالي (خراسان وأفغان). و لكن أبُ التاريخ هيرودوت نص على عموم إطلاق لفظ إيران على جميع البلاد شرقيها، وغربيها، حيث أن أهل ميديا كانوا يسمّون آريين بلا شك.

و إن أقدم لغات آريانة هي لغتا زند و بهلوان. أمّا اللغة الزندية، فهي كانت لسان الكتب الدينية و الإيرانية القديمة المسمّاة زنداوستا، حيث كانت تسود هذه اللغة في المناطق الشمالية من هضبة إيران، ابتداء من بخارى، لغاية أذربيجان. و لا مانع من أن تكون هذه اللغة مقدسة عند المجوس، في هذه العصور الأخيرة، كلغة السنسكريت التي هي مقدسة عند علماء الهنود. و يؤيد هذا أن بين هاتين اللغتين القديمتين كثيراً من الأصول المشتركة.

و أمّا اللغة البهلوية أي لغة الأبطال، و المحاربين. فالظاهر أنها كانت مستعملة في العراق العجمي، و ميديا الكبرى، و عند البرثة أيضاً (إقليم فارس). و ذهب بعضهم إلى أن هذه اللغة، هي اللغة الوحيدة التي كانت تستعمل في قصور، و دواوين الملوك، الذين هم من نسل تيروس. نعم أن فيها كثيراً من الكلمات الكلدانية، و الآشورية، بفعل الجوار، و السلطان. ثم أن كتب المجوس ترجمت منذ القديم من الزندية إلى البهلوية.

و توجد بهذه اللغة أيضاً كتابات منقوشة من عهد الساسانيين. و هذا دليل بأنها كانت مستعملة في الدواوين في عهد الساسانيين أيضاً. إلا أنهم رفضوا تدريجياً (من سنة ٢١١ لغاية سنة ٦٣٢م) استعمال لغة البهلويين الذين ورثوهم في المجد، و الحضارة. فذهبوا إلى جبال البرثة، و أدخلوا في جميع البلاد الإيرانية الخاضعة لهم حينذاك بأمر ملوكي، و قوانين صريحة اللغة الفارسية (لغة إقليم فارس). و هذه أسهل من البهلوية كما أن الأخيرة أسهل من الزندنة.

و لما استولى العرب على البلاد الإيرانية كلها، و قضوا على دولة فارس في القرن السابع الميلادي، فقدت هذه اللغة بهجتها و رونقها، في سنة (٩٧٧م) في عهد الديالمة. و لما أرادوا أن يحيوا إحدى اللغات الإيرانية القديمة ذات الحضارة الزاهية، وقع اختيارهم على أقربها إليهم عهداً، و أحدثها نشوءاً، و هي لغة فارس السابق ذكرها. إلا أنهم وجدوها قد تغيرت أحوالها، و مُسخت مسخاً كاملاً باختلاط كثير من الكلمات العربية الدخيلة. و لكن الشعراء، و أرباب الخطابة و البيان، انتخبوا من هذه اللغة، و غيرها من اللغات الإيرانية القديمة، مثل الزندية و البهلوية (الكردية القديمة) لهجة سهلة الألفاظ، كثيرة الكلمات، عذبة الأصوات، و سمّوها باللغة الفارسية الحديثة. و هذه هي الشائعة الآن في بلاد العجم. و أمّا الفارسية القديمة، فقد بقيت بفضل كتاب شهنامة للفردوسي، و كتب المجوس الدينية المحفوظة في الكتب القديمة، و بين رجال الدين من المجوس فقط (راجع

المقالة الخامسة و الخمسين من تخطيط آسيا من كتاب ترجمة جغرافية ملطبرون العربية ص ١٢١).

يتلخص من هذا كله بأن الأمة الكردية من أقدم الأمم الإيرانية، التي أسست حضارة زاهية في هضبة إيران الكبرى، فامتدّ سلطانها من وادي السند شرقاً، إلى وادي الفرات غرباً، و سادت لغتها الكردية باسم اللغة البهلوية أو البهلوانان أي الأبطال، و المحاربين، في جميع بلدان الإمبراطورية الإيرانية الأولى، التي قضى عليها الاسكندر المقدوني. فأعقبتها بعد مدة من الزمن ملوك الطوائف، الذين يقال لهم في التواريخ الفارسية الإشكائيين، الذين هم أخذوا حيناً من الدهر يتطاحنون و يتنازعون السيادة الإيرانية العليا، إلى أن تغلب ملك إقليم فارس (مقاطعة شيراز) على سائر ملوك الطوائف الإيرانية، فأسس إمبراطورية إيرانية ثانية دعيت فيما بعد بالساسانية. و أصبحت كلمة فارس مترادفة مع كلمة إيران، تطلق على كل ما هو إيراني قديماً، و حديثاً. مما أدى إلى وصف الإمبراطورية الإيرانية الأولى بالفارسية، مع أنها كانت كردية بهلوية. لأن الأمة الفارسية مع عراقتها في الحضارة الإيرانية، و المجد الفارسي، فإنها أحدث عهداً من شقيقتها الأمة الكردية، التي سبقتها في تأسيس الحضارات الإيرانية الأولى.

محمد علي عوني

مترجم تركي و فارسي بديوان جلالة الملك بمصر

و ها هي أسماء المصادر التي استعنت بها في جمع هذه العجالة و كتابة التعليقات على الأعلام الواردة في شرفنامه:

مسالك الأبصار – التعريف بالمصطلح الشريف – صبح الأعشى – معجم البلدان – مراصد الإطلاع – قاموس الأعلام التركي- الإنسكلوبيديا الإنكليزية – دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية – و غيرها من الكتب التاريخية الجغرافية التركية، و الفارسية، و بعض مذكرات، و رحلات كردية خصوصية.

تمهيد

هذا الجزء هو كما يقول المؤلف «خاتمة» للجزء الأول. قصد به أن يؤرخ للفترة بين سنتي ٦٨٨/١٢٨٩ و ١٠٠٥/١٥٩٧، متناولاً السلاطين العثمانيين ومعاصريهم من حكام إيران وآسيا الوسطى.

وتضمنت هذه الفترة حوادث ذات خطر بالنسبة للعالم الإسلامي.

تناولت في العهد العثماني حكم السلاطين ابتداءً من السلطان الغازي عثمان إلى أول عهد السلطان محمد خان الثالث (١٠٠٣/١٥٩٤-١٠١٢/١٦٠٣).

وتناولت في إيران الأسرات التي تعاقبت على الحكم من الإيلخانيين والجلائريين والجوبانيين وآل المظفر وأسرة إينجو والسربداريين ثم ملوك كرت والقراختائيين وأمراء لرستان والطغاتيموريين ثم الصفويين.

وتناولت من دول الأكراد أصحاب بدليس وخلاط وحكارى ووان ووسطان وچوله مرك وأردلان وشهر زور والعمادية وزاخو وأصحاب جزيرة ابن عمر وجبل الجودي وفنك.

وتناولت في آسيا الوسطى حكم الجنكيزيين وتيمور وخلفائه ثم شيباني خان وأسرته. وقد شهدت هذه الفترة أعظم الحكام المسلمين من غير العرب، شهدت في تركيا سليمان القانوني وسليم الأول والثاني، وشهدت في إيران الشاه إسماعيل الصفوي وطهماسب، وفي آسيا الوسطى تيمور. وفيها تبلور الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة إلى حروب كانت أس التدهور الذي آلت إليه آسيا الوسطى بل وتركيا وإيران كذلك. وفيها قامت الخلافة العثمانية بعد أن كانت سلطنة فرضها على الناس حاكم قوي، وأخذت فكرة الولاء لخليفة المسلمين تجذب المسلمين ليقفوا صفاً واحداً تحت العلم العثماني، ونجح العثمانيون، لفترة طويلة، في التستر وراء فكرة الخلافة لاستعباد أمم أرقى حضارة من الترك أنفسهم. وفيها قامت الدولة الصفوية بفكرة اتخاذ التشيع مذهباً رسمياً لإيران ووقفت بذلك عقبة أمام فكرة جمع المسلمين طرا تحت لواء الخليفة العثماني. وفي عهد الصفويين بدأ تطلع الإنجليز إلى إيران، ووفد على طهماسب سفير الملكة إليزابيث، ملكة بريطانية، المستر أنتوني جنكنسون

Antony Jenkinson بوصفه مندوباً عن شركة تجارية تتاجر مع روسيا، كما حدث الاتصال بالبرتغال بشأن الخليج.



وتناول شرف خان بإسهاب نشأة الأسرات الحاكمة. فعل هذا في التحدث عن نشأة الدولة العثمانية وعن تيمور ثم عن الأسرة الصفوية. وحرص بصفة عامة على أن يكشف ما غمض من صلة بعض الحكام بالبلاد التي علوا فيها.

وهو حين يتحدث عن نسب العثمانيين وصلتهم بالحكم، قبل أن تصير إليهم السلطنة، لا يعدو ما يذهب إليه المؤرخون العثمانيون.



ويذهب في حديثه عن قيام الأسرة الصفوية إلى انتساب الشيخ صفي الدين إلى الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه في ثماني عشرة بطناً. والمؤرخون المحدثون يشكون في هذه النسبة. فيذهب ڤامبري[١] إلى أن إسماعيل الصفوي من أصل تركي وأن الذين ينسبون صفي الدين إلى الإمام السابع بقصد إضفاء القداسة عليه ليسوا إلا من محترفي الرياء. ويذهب عباس إقبال إلى أن هذا النسب الذي درج على ذكره مؤرخو العصر الصفوي لا يمكن التسليم به بأية صورة، وأن أحداً من المؤرخين قبل عهد السلطان طهماسب الأول وفي عهد الشاه إسماعيل وأجداده لم يشر إليه.[٢] وعندنا أنها نسبة موضوعه لتثبيت دعائم الحكم الصفوي في نفوس السذج من المسلمين وكانوا كثيرين في ذلك الوقت، بين أولي الأمر أنفسهم.

ويشير شرف خان إلى رسائل تبودلت بين شيباني خان والشاه إسماعيل فيقول (ص١١٢): «وفي اليوم الثاني عشر من ذي الحجة عام ٩١٦/١٥١١ بلغ

---

[١] صفحة ٢٦٤ من: History of Bokhara، طبعة لندن سنة ١٨٧٣، تظهر قريباً ترجمة عربية لهذا الكتاب قام بها الدكتور أحمد الساداتي الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة. وقد أكملنا الكتاب بإضافة فصل عن تركستان بعد الاحتلال الروسي لها.

[٢] تاريخ إيران، الجزء الثاني، ص ٢٥٣.

مسامع الشاه إسماعيل وهو في مصيف خرقان أن جيش الأوزبك العتاة غزا إقليم كرمان فبادر الشاه إلى إرسال القاضي نور الله ابن أخي القاضي عيسى الصدر مرة كما أرسل الشيخ محي الدين المشهور بشيخ زاده اللاهجي مرة أخرى إلى بلاط شيبك خان[1] يحذره من الاسترسال في الإغارة على بلاده وارتكاب الأعمال الشنيعة. فرد شيبك خان بإرسال الأمير كمال الدين حسين الأبيوردي إلى البلاط الشاهي ومعه خطاب إلى الشاه متضمناً شيئاً غير قليل من التهور».

وقد أورد ڤامبري في تاريخ بخارى نص خطاب شيباني خان إلى الشاه إسماعيل نقلاً عن مخطوط تاريخ سيد راقم[2] (ص١١٠) وفيه يقول:

«يا سلطان إيران، علمت بتأييدك لمذهب الشيعة المقيت وبانسياقك وراء عواطف وآراء هي من رجس الشيطان، فتبصر في عاقبة عملك وتبرأ من هذه الفتنة الباغية وارجع إلى إجماع أهل السنة، وإلا فثق بأن نار الفتنة التي أيقظتها سوف تكويك، وإني محذرك مرة أخرى بأنك تسير في طريق الضلالة فارجع إلى طريق الإيمان القويم وإلا سقطت إلى الأبد في يدي الشيطان. فإن أبيت أن تستمع إلى نصحي فاعلم أني قادم إلى إيران بجند لا حصر لهم فأستولي بهم على قلعة أصفهان وأجعلها صعيداً جرزاً مهما كلفني ذلك من القتال. أجل إن عقابي لهو العقاب الشديد وسوف لا ينساه أهل إيران حتى يوم الدين».

ويذكر المخطوط رسالة أخرى رداً على رسالة الشاه إسماعيل إلى ملك الأوزبك (شيباني خان) الذي توغلت جنوده جنوبي خراسان وسارت إلى كرمان

---

[1] هو شيباني خان مؤسس الأسرة الأوزبكية واسمه محمد شاهي بك أو شيبك خان، من نسل أحد أولاد جوجي بن جنكيز واسمه شيبقان أو شيبان، وأولاده يعرفون بالأمراء الشيبانيين. وهم لا يمتون بصلة إلى قبيلة بني شيبان العربية. (تاريخ إيران، عباس إقبال ج٢، ص٢٥٥).

[2] فارسي، للأمير سيد شريف راقم، يتحدث عن تاريخ تركستان وخراسان وإيران وهندوستان من سنة ١٣٠٠/٧٠٠ حتى سنة ١٦٠٤/١٠١٣، ثم أكمل حتى سنة ١٦٤٥/١٠٥٥ يعرف باسم تاريخ راقمي وتاريخ نامه' راقم وتواريخ سيد شريف راقم وتاريخ تيمور وجنكيز مير شريف راقم. طبع طبعة حجرية على هامش 'تحفة الأحباب في تذكرة الأصحاب' بمدينة طشقند سنة ١٣٣٢ (ص ٧-٢٥٧ هامش). انظر مجلة دانشكده' أدبيات، الجزء الأول السنة ٨ سنة ١٣٣٩، طهران. (عدد خاص بمخطوطات دانشكده' أدبيات). والإشارة هنا مأخوذة عن ڤامبري في تاريخ بخارى (ص٢٦٧).

يحذره من بغيه ويطلب إليه العودة إلى بلاده، فلم يكن من شيباني خان إلا أن رد الرسول مرسلاً معه الكشكول (نصف قشرة ثمرة جوز الهند وفيها يجمع الدرويش الصدقات) وعكاز الدرويش ثم هذه الرسالة التي يقول فيها:

«خذ هذه الهدية فهي تذكرك بما كانت عليه أسرتك، أما أنا فقد ورثت السيف والملك عن جدي جنكيز المشهور فإن لم تقنع بعكاز الدرويش فعليك إثم ما تفعل».

ويذكر هندوشاه[1] أن الشاه إسماعيل رد على شيباني خان حين عيره بأنه ليس من أبناء الملوك برسالة قال فيها:

«إذا كان الملك لا ينتقل إلا بالوراثة فكيف صار إذاً من البيشداديين إلى الكيانيين وكيف صار كذلك إلى جنكيز بل وكيف صار إليك أنت».



ويشير شرف خان إلى الصلات بين العثمانيين والصفويين، وكيف كان فرض التشيع بالقوة في البلاد الخاضعة للصفويين سبباً في النقمة الشديدة التي حملت السلطان سليم الأول على محاربة الشاه إسماعيل، ثم يتتبع العلاقة بين الترك والفرس مبيناً كيف كان تسليم الأمير بايزيد إلى رسل والده السلطان سليمان سبباً في صداقة بين الفرس والترك أيام السلطانين سليمان وسليم الثاني الذي بعث بسفير له إلى بلاط الشاه الصفوي بقزوين.

أما تشدد الشاه إسماعيل لنشر المذهب الشيعي وحمل أهل السنة حملاً في بلاده على التشيع حتى إنه أباح قتل أفاضل الناس ليكونوا عبرة لغيرهم في ذلك فواضح مما يذكره المؤرخون وأوضحه شرف خان (ص١٠٦) حين ذكر أن الشاه إسماعيل دخل إقليم فارس فاتحاً عام ١٥٠٣/٩٠٩ واستقر في دار الملك شيراز هنيهة ثم عمد إلى قتل خطباء كازرون لأنهم كانوا من أهل السنة والجماعة ونهب بيوتهم وأموالهم جميعاً. وقد أدى هذا إلى أن يجد السلطان سليم الأول مبرراً لقتال خصمه محتكماً إلى السيف فكانت واقعة چالدران التي أشار إليها شرف خان (ص١١٩) والتي انتهت بهزيمة الشاه إسماعيل.

[1] تاريخ فرشته ص٢٠٠ ج١.

وأما حادث الأمير بايزيد بن سليمان القانوني (٩٢٦/١٥٢٠-٩٧٤/١٥٦٦) فقد رواه شرف خان بالتفصيل (ص١٥٥-١٥٩). وخلاصته أن بايزيد أحس بأن والده يؤثر ابنه الأصغر سليم فجمع حوله جيشاً وقصد قتال أخيه فلما لم يفلح أخذ يرسل إلى أبيه من يتوسطون لديه لتقديم الاعتذار وطلب العفو ولكن السلطان لم يعف. وانتهى الأمر بأن لجأ بايزيد إلى الشاه طهماسب الأول (٩٣٠/١٥٢٣-٩٨٤/١٥٧٦) الذي أكرم وفادته هو ومن معه من حاشية وجنود ولكن جماعة من حاشية الأمير اللاجئ خشوا أن يسلمهم طهماسب إلى السلطان العثماني فتآمروا على قتله، وأُحبطت المؤامرة نتيجة إفشائها بوساطة لفيف آخر من حاشية الأمير الذي لم يكد يسمع بذلك حتى قتلهم. فلما علم طهماسب بما جرى غضب وأمر بإلحاق الأذى والإهانة بالأمير بايزيد ومن معه فتدفقت الغوغاء وسائر الطوائف الأوباش على منازل هؤلاء اللاجئين وأمطروها بالحجارة والسباب. ولكن رجال الدولة أرسلوا من يمنع المعتدين من التمادي في عدوانهم. وحسب الرسم المتبع قرروا إحضار بايزيد ومن معه في اليوم التالي إلى الديوان الشاهي في حفاوة وإجلال كما أعدوا له ولحاشيته وليمة إظهاراً للاعتذار عما فعل الدهماء. فلما حضر بايزيد وأولاده وحاشيته ومعه جنده إلى الديوان قوبلوا بالحفاوة الواجبة ولكن نائب الشاه وقف فجأة فوق سطح الديوان وأشار بهجوم القزلباش على الضيوف وإلقاء القبض على أنجال الأمير وأفراد حاشيته، وفي طرفة عين كان عشرة آلاف من المقبوض عليهم يسيرون في الشوارع وقد غلت أيديهم إلى رقابهم وأوقفوا على باب ديوان طهماسب حيث أطلق سراح خمسة آلاف منهم بعد أن طلب رؤساؤهم الالتحاق بخدمة الشاه، وأما الباقون من المماليك والإنكشارية وغيرهم فقد قتلوا جميعاً وضمت أموالهم إلى أموال الشاه. والظاهر أن الشاه طهماسب لم يقتل بايزيد حرصاً منه على المساومة عليه وكان يعرف رغبة السلطان سليمان القانوني في تسلمه.

ويذكر البدليسي (ص١٥٨) أسماء الوفد الذي بعث به إليه السلطان سليمان ليطلب تسليم بايزيد.

وبعد مقابلة مع الشاه الذي قبل هدية السلطان قال الشاه: «لقد قبضت على الأمير بايزيد وأبنائه برضا السلطان سليمان وأمره وإني لهذا أرجو أن

يشملني السلطان بالتفاته وإحسانه» ويقول شرف خان إنه يرمي بذلك إلى طلب إعادة بغداد وإيالتها إلى ولده سلطان حيدر ميرزا.

وهكذا لم يفلح الوفد الأول في تسلم الأمير بايزيد. فأرسل السلطان الوفد الثاني وجعل ضمن الهدية التي يحملها مبلغاً كبيراً من المال واشترط ألا يسلم المال للشاه إلا بعد تسليم بايزيد. يقول شرف خان (ص١٥٨): وكان الوفد يحمل كتاباً من السلطان سليمان موشحاً بالخط الشريف السلطاني وبخط السلطان سليم خان (ولي العهد) مؤكداً بالإيمان التي تضمن العهود والمواثيق «بأنه إذا سلم بايزيد مع أولاده إلى رجالنا فلا يكون منا ومن أولادنا عداوة نحو الأسرة الشاهانية الصفوية ولا يلحق أذى بولاية من بلادها المحروسة وأن تقوم قواعد الصلح والسلام دائماً فيما بيننا وأنه إذا لم يصدر منكم ومن أولادكم ما يدل على التباغض والأعمال المنافية للصداقة والاتحاد فإنه لن يحصل منا ومن أولادنا أيضاً ما يدل على ذلك».

وكانت النتيجة أن سلم طهماسب الأمير بايزيد إلى رجال السلطان الذين قتلوا الأمير بايزيد خفية في ميدان الخيل بقزوين.

ويعلق شرف خان على ذلك بقوله (ص١٥٩): «ومن غريب الصدف وقصاص الأيام أن قتل أولاد الشاه طهماسب بعد ذلك على يدي الشاه إسماعيل الثاني (١٥٧٦/٩٨٤-١٥٧٨/٩٨٥) فوراً وفي نفس المكان الذي قتل فيه بايزيد وأولاده».



ويشير شرف خان البدليسي إلى تكوين فرقة الإنكشارية التي كانت عماد الجيش العثماني فيجعل ذلك أيام السلطان مراد الأول (١٣٥٩/٧٦١-١٣٨٩/٧٩١) فيقول (ص٥١): «وفي هذه السنة (١٣٦٥/٧٦٦-٦٦) أخذ السلطان مراد خان خمس الغنائم وذلك حسب أمر قره رستم القرماني كما أنه بموجب فتوى خليل باشا المشهور بچندرلو ألحق الغلمان الذين كانوا يؤخذون ضمن تلك الغنائم بخدمة السلطان الخاصة وألبسوا قلنسوات بيضاء من اللباد وسموا الإنكشارية (يكي چري =الفرقة الجديدة)، فنشأت طائفة الإنكشارية ابتداء من ذلك اليوم».

ويذكر المؤرخون أن قيام الإنكشارية كان في عهد السلطان أورخان (١٣٢٧/٧٢٦-١٣٦٠/٧٦١).

ويلاحظ أن المؤلف لم يذكر أن هؤلاء الأطفال كانوا من أبناء الأسرى النصارى وأنهم كانوا يدخلون في الإسلام ثم ينشئون تنشئة عسكرية على أنهم أتباع للسلطان. واكتفى المؤلف بالإشارة إلى فتوى خليل باشا چندرلو، والفتوى منصبة على جواز إجبار الذميين على تسليم أطفالهم ضمن الغنائم وإدخال هؤلاء الأطفال في الدين الإسلامي. ثم تربيتهم ليكونوا جنداً وغلماناً للسلطان.



وحرص شرف خان في كتابه على أن يبين معنى الحكم وأنه لخدمة الشعب وليس للإثراء فهو يحرص على أن يُشيد بمن مات من السلاطين دون أن تكون له ثروة، لأنه اعتمد على أن ثروة الحاكم هي ثراء أمته لا أن يكون هو ذا مال لا حد له والشعب يئن من الفقر والحاجة. فالبدليسي يتحدث عن السلطان عثمان خان (٦٩٩/١٣٠٠-٧٢٦/١٣٢٧) فيقول (ص٣٢) إنه لما مات لم يجدوا في تركته سوى سيف وجبة وعدة جياد وقطيعين من الغنم. كما أنه يقول (ص١٥٧) عن رستم باشا الوزير إنه كان من ضمن التركة الكبيرة التي خلّفها ثلاثة آلاف فرو من السمور، وقس على ذلك عدد سائر أصناف النقود والأمتعة والأقمشة والجواهر واللآلئ.



ولم يقف شرف خان عند الحوادث السياسية وحدها في تاريخه بل تناول الحضارة في كل مناسبة من كتابه، فتحدث عن العلماء والأدباء. ومن هنا يعتبر تاريخه مرجعاً من مراجع الحضارة الإسلامية بجانب ما يذكر من أحداث السياسة.



وأختم هذه الكلمة شاكراً للصديق السيد عمر وجدي شيخ رواق الأكراد بالجامعة الأزهرية ما كان من وفائه لصديقه المغفور له الأستاذ محمد علي عوني مترجم هذا الكتاب فقد بذل من الجهد ما يستأهل عليه الثناء لتصحيح تجارب هذا الجزء وإعداد فهارسه.

القاهرة ٢٠ أغسطس ١٩٦٢

يحيى الخشاب

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة

في بيان أحوال سلاطين آل عثمان والمعاصرين لهم من ملوك إيران وتوران

غير خاف على ذوي الفضل والعقل وأصحاب الروية والفهم أن عادة المؤلفين والقاعدة التي يجري عليها كثير من المؤرخين ذكر السلاطين في المؤلفات من حيث التقديم والتأخير هو حسب الزمان والترتيب المكاني فحسب. والدليل القاطع والبرهان الساطع على ذلك هو أن سيد الأنام محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان وجوده الفياض مقصود إيجاد العالم، ولكنه مع هذا خاتم الأنبياء والمرسلين. وهناك دليل آخر على صدق هذه القضية هو وقوع سورة (قل هو الله أحد..) التي هي وصف لوحدانية الله عز وجل بإجماع الأمة في آخر القرآن العظيم والفرقان الصمداني الكريم. فليس من المستغرب إذن أن نختم هذا الأثر المتواضع بذكر سلاطين آل عثمان الذين قد تكفلت بسرد أخبارهم المطولات والمختصرات في كل زمان ومكان بأغلب اللغات والألسنة، فقام بها فطاحل علماء التاريخ وفرسان ميدان البلاغة وأبطال الفصاحة والبيان جزاهم الله عن التاريخ خير الجزاء.

هذا ولما كان كاتب هذه السطور أضعف العباد وأحقر الرجال، منذ مدة مديدة وعهد طويل منتظماً في سلك ملازمي هذه الأسرة الملكية العلية، ولا سيما أنه كان من رجال جلالة السلطان الأعظم والخاقان الأكبر المعظم مولى ملوك الروم والعرب والعجم سلطان البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، هادم قواعد الأصنام وعامر مباني الإسلام. مروّج علوم الشريعة ومؤيد الملة المصطفوية مستجمع الفضائل والكمالات، مصنف الرسائل في العبادات، صاحب القرآن ونادرة الزمان المختص بالآية الكريمة: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) أبي المظفر السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وأيد سلطانه

وأفاض على العالمين بره وإحسانه، وكان ذرة من ذرات شعاع شمس تلك السلطنة الباهرة وأحد رجالها البارزين.

أحببت أن أجمع رسالة مجملة على سبيل العجلة والسرعة أضمنها أحوال هذه الأسرة الملكية العالية من يوم نشأتها، مع سوانح عن أحوال الملوك المعاصرين لهم من سلاطين إيران وتوران حتى يومنا هذا بحسب الترتيب التاريخي للوقايع والحوادث فأجعلها خاتمة لكتابي (شرفنامه) وأحمد الله تعالى على إتمامها على أحسن وجه وألطف عبارة حسب المستطاع، ولم أرد فيها أن أجاري علماء البيان وفرسان الأدب والبلاغة من إتيان سجعات منسقة وألفاظ مرصعة بفنون البديع وأساليب البيان وذلك تسهيلاً للقراء من عشاق الأنباء وفنون التاريخ ولكثرة مشاغلي ـ على حد قول القائل: "ألا إن ملكاً ورائي لا يتركني ورأيي". وأملي وطيد في أن أنوار هذه الأوراق المشرقة[1] تسطع في آفاق الشرق والغرب. كالشمس الطالعة، وأن الله سبحانه وتعالى سيحفظ وجهها الفتان من حسد الحاسدين وكيد الفضوليين الجاهلين إنه سميع مجيب الدعوات.

---

[1] هنا فقرة من المديح تركها المترجم لكثرة ما فيها من المغالاة.

القول في أنساب سلاطين آل عثمان العظام ذوي القدر والاحترام وسبب قدوم أجدادهم من وراء النهر وخراسان إلى بلاد الروم

لا يخفى على أهل التحقيق من علماء التاريخ أن الذي يؤخذ من مصنفات نقلة الأخبار ومؤلفات الرواة الثقات هو أن نسب هذه السلالة الملكية الكريمة يرتقي إلى السلطان الغازي عثمان.

وقد ذكر جناب أفصح المتكلمين وأملح المتأخرين القاضي أحمد الغفاري القزويني في كتابه القيم «جهان آرا» أن السلطان عثمان من سلالة إسرائيل بن سلجوق. هذا وأكابر الآفاق يتفقون على أن نسب هؤلاء الأماثل ينتهي إلى الأسرة السلجوقية؛ كما أن عامة علماء العالم وكافة فضلاء بني آدم يجمعون، في هذا اليوم الذي هو يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة سنة ١٠٠٥ هـ على أن السلطان عثمان الغازي قد خطب باسمه في قره حصار صاحب، وقد مضى على ذلك ثلاثمائة وست عشرة سنة وقواعد الدولة والإقبال، ومظاهر السلطنة والملك مستقرة في هذه الأسرة العظيمة يعلو شأنهم يوماً يوماً، والأمل وطيد في أن تدوم أيامهم لآخر الزمان. اللهم استجب دعاء الفقراء.

هذا وتنتهي سلسلة نسب هؤلاء الطبقة العظيمة إلى يافث بن نوح عليه السلام على الترتيب التالي:

السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد ابن السلطان محمد بن ايلدرم بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان اورخان بن السلطان عثمان غازي بن ارطغرل بن شاه سليمان بن آلب قيا بن قزل بوغا بن باي تيمور بن قتلغ بن طوغان بن قسون بن شافور بن بلغاي بن بايسنقر بن توقتمور بن بايسوق بن حمدور بن باقي آقا بن كوك آلب بن أغوز خان بن قراخان الذي يصل في مائة وأربعين بطناً إلى يافث بن نوح عليه السلام.

والسبب في قدوم هؤلاء الأماثل من بلاد ما وراء النهر وخراسان إلى ديار الروم هو ظهور جنكيزخان سنة ١٢١٤/٦١١ في تلك الجهات، فعم الخراب والدمار بلاد ما وراء النهر وخراسان، ونزلت المصائب والويلات على رؤوس الجميع في أنحاء البلاد والقرى وصار الحال كما قال صاحب كتاب «حبيب السير» أن قامت في مدينة مرو التي هي مسقط رأس أجداد هؤلاء الأماثل والنبلاء من آل عثمان، مذبحة كبرى راح ضحيتها آلاف من الناس. وقد بلغ عدد من قتل في نفس المدينة وحدها أكثر من ألف ألف وثلاثمائة ألف على ما سجله وأحصاه السيد عز الدين ورفقاؤه الذين كلفوا بإحصاء الموتى فعملوا لهذا ثلاثة عشر يوماً مواصلين الليل بالنهار.

وقد تملك السيد العجب فجرت على لسانه هذه الرباعية للخيام:

هل الجام مهما تمّ صنعاً ودقة ... يرى كسره من كان منتشياً سكرا

ففيم يرى الخلاق ساقا لطيفة ... ورأسا وكفا ثم يكسرها كسرا[1]

ويقال إن مدينة بلخ كانت على جانب عظيم من السعة وازدهار العمران فكانت تحتوي أحياؤها وقراها المحيطة بها على أكثر من ألف ومائتي جامع تصلى في كل منها صلاة الجمعة، وكان بها أيضاً زهاء ألف وثلاثمائة حمام فيها كل وسائل الراحة. وقس على هذا عدد من كان بها من السكان. ولقد نالها التدمير والتخريب فلم يبق بها ديّار. وكذا فعلوا في خوارزم فقد جمعوا من أهل الصناعات والعمال زهاء مائة ألف واسترقوا شباب النساء والأطفال واستحيوهم ثم عمدوا إلى بقية الناس فأعملوا فيهم السيف حتى أتوا على آخرهم، فيقال إن كل قاتل قد خصه أربعة وعشرون رأساً من القتلى. وكان عدد القتلة أكثر من مائة ألف. وفي بلدة نيسابور قاموا بإحصاء القتلى ما عدا النساء والأطفال فاستغرق ذلك اثني عشر يوماً وبلغ عددهم مليونا وسبعمائة وسبعة وأربعين ألفاً. وكان من بين هؤلاء القتلى من المسلمين الشيخ العطار قدس الله سره.

وخلاصة القول، أن هذه الانقلابات الدامية والكوارث العامة، لما كانت تجري ببلاد خراسان، كان شاه سليمان بن قيا آلب في خدمة السلطان محمد

---

[1] ترجمة النجفي.

خوارزمشاه، أميراً من أمرائه العظام، وخاناً كريماً من خاناته الكرام، وكان ينوب عنه في حكومة ماخان[1] المرو. ففي أثناء ما دب الخلاف والتفرقة بين أمراء الخوارزميين بسبب تلك الإغارات الجنكيزية المدمرة وتدفق سيولها الجارفة، عمد سليمان شاه إلى الرحيل من مرو، ومعه زهاء خمسين ألف أسرة من الترك، عملاً بقوله تعالى: «ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم»[2] إلى ناحية آذربيجان، ومنها أخذ يتنقل بعشائره وقبائله شيئاً فشيئاً إلى أرمينية، وحط رحاله في أخلاط عاصمة أرمينية، وهكذا اتخذ هذه الولاية الفردوسية مركزاً لرايات دولته ومقراً لرئاسة عشائره وأتباعه. ورحل بعد مدة من هنالك عن طريق البستان بقصد جهاد الكفار في حدود الروم، ولما وصل في طريقه إلى ساحل الفرات، وقد شرع في اجتيازه مع عشائره، أدركته المنية إذ غرق في لجة النهر بجوار قلعة جعبر من أعمال حلب فلفظت المياه جسده إلى الساحل فأخذ ودفن في نواحي هذه القلعة.

وكان له أربعة أولاد وهم: أرطغرل، سنقور، كون دو غدي، ودوندار. وكان من نتيجة الخلاف بين الأخوة حول الجهة التي يتوجهون إليها أن تسرب الخلاف أيضاً إلى الأتباع والعشائر. فتوجه أرطغرل مع أحد إخوته وطائفة من العشائر نحو بلاد الروم لغزو الكفار بها. وأخوان آخران منهم ومعهما العشائر والقبائل اعتزما الرحيل عائدين إلى وطنهم الأصلي. وكان السلطان علاء الدين كيقباد بن فرامرز ... ابن كيخسرو ... بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلميش بن إسرائيل بن سلجوق، ملك بلاد الروم. فوصل أرطغرل ومن معه إلى حضرة هذا السلطان في قونية وقيل في آماسية وعرض عليه ملتمسه فعين لهم السلطان علاء الدين أرضاً في حدود كفار تكوربلجك[3]، وهي جبل طومانج، ليسكنوا بها صيفاً وشتاء، فأخذ أرطغرل ومن معه من الخدم والحشم يجاهدون الكفار في تلك الحدود فترة من الزمن.

وكان من جملة قواده الغزاة، بوزاقلو الذي اشتهر بكثرة الأنصار والأتباع بين عشائره وقبائله، ففاق أقرانه في الشجاعة والبسالة والاقتدار في الأعمال والدراية بالأمور. وكان له سبعة أولاد ذكور هم: يوره كير، قسون، ورثق، قره عيسى، اوزار، كوندوز، قوش تمور. فبفضل هذا وأقوامه أقطعهم السلطان

---

[1] كذا، والشائع ماهان مرو.

[2] سورة ٥٩ آية٣.

[3] تكفور حاكم وعامل على الولايات والمقاطعات.

چقرأوه لتكون مشتى لهم. بيد أن ابنه الكبير يوره كير، لما له من الشهامة والخصال الحميدة كالبسالة والسخاء والمروءة والفتوة، قد استولى بالقوة القاهرة على ولايات أذنه وطرسوس وسيس ومسيس[1] بعد أن نزعها من أيدي الكفار الأذلاء؛ فتصرف في قلاع وقصبات تلك البلاد الواسعة الأرجاء، إذ أسندت إليه إدارتها بطريق الإقطاع التمليكي.

وبعد وفاة الأمير يوره كير ولي ابنه رمضان. ومن هذا التاريخ صار يحكم هذه البلاد، آل رمضان الذين سيأتي ذكرهم في محله في هذا الكتاب. وهم مشهورون حتى الآن باسم: حكام أذنه ورمضان أوغلي. وخلاصة القول أن أرطغرل من يوم أن حط رحاله في تلك البلاد ما فتئ يغزو ويجاهد الكفار المخذولين الفجرة فيغلبهم في جميع الحروب والمعارك حتى ذاع صيت شجاعته وبسالته وشهامته. ولقد استشهد من رجاله زهاء أربعمائة وأربعة وأربعين من زعماء عشيرته وأعيان رجاله في سبيل إعزاز الدين ورفع منار شريعة سيد المرسلين. ولما أدركته المنية ولقي ربه باسماً في شهور سنة ١٢٨٨/٦٨٧، تولى مكانه ابنه عثمان في رئاسة العشائر وإدارة البلاد.

القول في بدء أحوال السلطان عثمان الغازي

بعد أن توفي والده شاه سليمان (؟) أرسل عثمان عمه[2] صارويتي إلى خدمة السلطان علاء الدين بقونية ملتمساً منه أن يقطعه على سبيل السنجق قصبة سوكوتجك وطومانج طاغي اللتين انتزعهما من كفار تكور. فأجاب السلطان التماسه وأصدر منشوره السامي بإقطاع الجهات المذكورة إلى السلطان عثمان، ومعه طبل وعلم باسمه يصحب كل ذلك أربعمائة قطعة من الأسلحة مثل السهام والنشاب والأقواس والتروس والمهمات والذخيرة يحملها بالابان چاويش.

---

[1] مصيصة في الجغرافية العربية القديمة.

[2] سبق أن والده أرطغرل وسليمان شاه جده. فليحرر.

وقد ورد في منشور الإيالة الذي رأيته بعينيّ وهو مكتوب باللغة الفارسية؛ ما معناه: إنه لما لعثمان بك الذي هو من شجعان العصر وأبطال الدهر الذي له نسب بأسرتنا العالية إذ كان أجداده وآباؤه مرافقين لآبائنا الأولين حينما قدموا من توران إلى إيران. ومنها إلى أخلاط عن طريق آذربيجان، من الإخلاص والولاء لنا وصفاء الطوية نحونا، فقد وجهنا إليه رتبة الإمارة ومنصبها وجعلناه ممتازاً بين أقرانه وأمثاله بضم ولاية ازنيق وقره حصار إلى إقطاعه طومانج طاغي وسوكوتجوك مع منحه من الخزانة العامرة عتاد أربعمائة نفر؛ ليوزعه على الغزاة والمجاهدين ليبادروا إلى جهاد الكفار...الخ.

هذا وفي سنة ٦٨٨/١٢٨٩: كان استقلال عثمان في حكومته استقلالاً تاماً كما ضم سنجق... إلى أملاكه. وستأتي بقية سيرته وأحواله وأسماء أولاده الأمجاد وأحفاده العظام، حسب السنين بمقتضى ما ذكرناه من الترتيب في الديباجة والخاتمة من هذا الكتاب، بعون الله الملك الوهاب.

سنة ٦٨٩/١٢٩٠: في هذه السنة المباركة السعيدة التي هي مبدأ قيام هذه الأسرة النبيلة مستقلة بالأمر، فتح السلطان عثمان الغازي قلاع بلجك ويار حصار واينه كول ويوند حصاري وينكي شهر بالقوة القاهرة وإعمال السيف البتار. وبعد ذلك توجه السلطان نحو قلعة وبلدة قره حصار صاحبي، واستولى عليها عنوة فنزعها من أيدي كفار تكور؛ ثم قام في أحد أيام الجمعة شخص من التركمان يدعى الفقيه طورسون فتلى الخطبة باسم السلطان عثمان، ثم تبع ذلك تزيين رؤوس المنابر ووجوه الدنانير باسمه وألقابه السلطانية. وفي آخر هذه السنة تزوج السلطان عثمان كريمة دده بالي الذي كان من كبار مشايخ العصر، وذلك على الشريعة الإسلامية والسنة النبوية المصطفوية. ومن الاتفاقات الحسنة أن حدث أن حاكم يار حصار كان قد عقد خطبة ابنته نيلوفر على تكور حاكم بلجك، ففي أثناء حفلة الزفاف فتحت قلعة بلجك هذه على يد السلطان وقتل حاكمها من أتباع حاكم بلجك وأسرت نيلوفر مع جهازها وأموالها فأعطاها السلطان لابنه الكريم السلطان أورخان.

سنة ٦٩٠/١٢٩١: في خامس شهر ربيع الأول من هذه السنة توفي، في قراباغ أران، أرغون بن تكودر أغلن (؟) بن أبقاي خان بن هولاكو خان بن توليخان ابن جنكيزخان الذي كان سلطان إيران.

وفي شهر رجب من هذه السنة، خف أُخوه كيخاتو الذي كان حاكم ولاية الروم، إلى آذربيجان على جناح السرعة حينما سمع ما حل بأخيه. وذلك بطلب من الأمراء الذين طلبوا أن يحضر على الفور. فلما بلغها خرج بعض الأمراء طوعاً ورغبة منهم، وبعضهم عن ضرورة وكراهية عن طاعته ومتابعته. وتمكن هو من إخراج بعض الأمراء الكبار من مناصبهم وأعطاها لغيرهم عقوبة لهم.. ثم أطلق المبشرين والرسل في الأطراف من الولايات، يعد الناس فيها بالعدل والإحسان ورد الظلم والعدوان. وفيما هو كذلك، جاءت الأنباء السيئة من جانب بلاد الروم فأقضّت مضاجع كيخاتو الذي بادر إلى النهوض إلى هناك تاركاً أمور المملكة إلى نائبه سنكتور نويان. وفي أثناء غيابه هذا، دبر بعض القواد والأمراء فتنة هوجاء ضده، وقد أخذوا يستعدون لها.

سنة ٦٩١/١٢٩٢-١٢٩٣: في أوائل هذه السنة عاد كيخاتو مظفراً من بلاد الروم التي كان قد ذهب إليها في السنة الماضية، إلى إيران سالماً وجلس على عرشه مرة أخرى بكل عظمة وجلال. وعلى خلاف ما كان يتصوره المخالفون له والمؤتمرون به، أخذ يعاملهم باللطف والسياسة ويشملهم بعطفه وإحسانه، فأسند منصب أمير الأمراء لآقبوقا بهادر، وأسند الوزارة للخواجة صدر الدين أحمد الخالدي الذي كان في الأصل من سلالة قضاة زنجان ولقبه بصدر جهان. كما نصب أخاه الآخر وهو الخواجة قطب الدين أحمد قاضياً للقضاة، وولاه نظارة أوقاف الممالك المحروسة كلها. وكان كيخاتو باتفاق آراء المؤرخين أسخى وأكرم أولاد هولاكو؛ فقد وزع جميع الخزائن التي كان قد ادّخرها آباؤه وإخوته على الأمراء والخوانين والقواد؛ كما أنه وزع الجواهر والأحجار الكريمة التي كان السلاطين السابقون يعتبرونها مثل جوهر القلب يحتفظ به في الصدور على السيدات والبنات قائلاً: إن هذه النفائس والجواهر تليق بمثل هذه الضعيفات ليقين بها أنفسهن من غوائل الدهر؛ وإلا فلا فائدة لها قط. سواء أكانت مكنوزة في الخزائن أم كانت في قاع البحار أو في جوف المناجم. وسيأتي تفصيل أحواله ومآل أمره في السنوات الآتية.

سنة ٦٩٢/١٢٩٢-١٢٩٣: في هذه السنة كف صدر جهان وزير كيخاتوخان أيدي الأمراء والقواد عن التصرف في الأمور الإدارية والمالية كما استبد في التصرف في مهام المملكة وشؤون العسكر والرعية من غير أن يشركهم في شيء من ذلك، مما حمل كلاً من حسن وطايجو من جملة أمراء كيخاتو الكبار على أن يثيروا جمعاً من أعيان تبريز وأعلامها ضد الوزير قائلين لهم أن

يرفعوا إلى سدة كيخاتو أن صدر جهان يتصرف في أموال الدولة برأيه وحده مهملاً مصلحة الجيش وما يلزم له من العتاد والذخيرة في السفر وأثناء القتال. بيد أن كيخاتو لم يصغ إلى هذه الوشاية لأنها مجرد سعاية فأصدر فرماناً جديداً يتضمن وضع البلاد كلها ابتداء من شاطئ نهر آمويه حتى حدود مصر تحت تصرف صدر جهان. وهكذا جعل مصير أعدائه من الوشاة المذكورين في قبضته، فخرج الوزير من لدن سيده شاكراً بعد أن قبّل الأرض بين يديه، وبادر إلى وضع القيود والسلاسل الثقيلة في أرجل هذه الجماعة ليعلمهم أقدارهم وليريهم بأسه، وبعد بضعة أيام جعل الرحمة والغفران شعاره، فبادر إلى فك القيود عنهم وإطلاق سراحهم.

سنة ٦٩٣/١٢٩٣-١٢٩٤: في هذه السنة ظهر العجز في خزانة الدولة بسبب إسراف كيخاتوخان في الإنعام على الأشراف والأعيان وكثرة إنفاق صدر جهان الأموال من الدرهم والدينار في وجوه البر والإحسان. وذلك لأن كيخاتو لم يكن معتدلاً في الإنفاق والبذل؛ مما اضطر صدر جهان إلى مد الأيدي إلى الغير وطلب المساعدة منهم لمعالجة الحال. فإذا بعز الدين مظفر بن محمد بن عميد الذي كان في طليعة الأشرار الماكرين يعرض عليه أن المصلحة تقتضي استعمال الجاو «وهو صكوك من الورق يقوم مقام السكة» حسبما كان مستعملاً في بلاد الخطا ومملكة القاآن بدل الذهب والفضة؛ حتى يتسرب كل هذين الصنفين إلى الخزانة فيكون ذلك للدولة عماداً ورصيداً. وفي الوقت نفسه لا يتأذى أحد من ذلك. وقد راق هذا الاقتراح لصدر جهان الذي كان وقتئذ مديناً بأكثر من خمسمائة تومان وليس له رصيد، وفي كل لحظة يزيد الدين بازدياد وجوه الصرف، فقبل الاقتراح وبادر إلى رفعه بواسطة پولاد چنكسانك سفير القاآن، إلى سدة كيخاتو خان. فصدر أمر المطاع بإبطال المعاملة بالذهب والفضة، وألا يشتغل بالذهب أحد سوى رجال السلطان من المذهباتية والصاغة والقصبجية، وذلك في أغراض صناعية فقط لا تجارية، وأن يبنى في كل بلاد السلطان وأقاليمه الفسيحة مصانع لعمل الجاو أي القماش الخاني الذي يقوم مقام النقود والعملة الرسمية فبنيت في آذربيجان وعراق العرب والعجم وفارس وخوزستان وديار بكر وعربستان وخراسان والروم تلك البيوت والمصانع. وذلك بإنفاق مبالغ طائلة عليها وعلى من يعمل بها من الرجال. و «الجاو» هذا قطعة من الكاغد مربعة الشكل أو مستطيلة مكتوب عليها بضع كلمات بالخط الخطائي. وفي طرفي هذه الكلمات نقشت الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولفظ «إيرنجي دورجي» الذي كان

الخاقان الخطائي قد لقب به السلطان. ثم رسمت دائرة على الورقة المذكورة التي كانت قيمتها تتفاوت بين نصف درهم وعشر دراهم. وكان منقوشاً عليها عدة سطور مضمونها أنه بتاريخ ثلاث وتسعين وستماية أجرى السلطان تداول هذه الورقة المباركة المسماة بالجاو في جميع البلاد، فمن أقدم على تغييرها أو تبديلها يعرض نفسه وأهله من النساء والأولاد والأقرباء لعقوبة شديدة.

ولما شاع هذا الخبر وانتشر بين الناس استولى الهم على الناس وساورهم القلق وإن كان قد تصدى بعض الشعراء لإنشاد القصائد والمقالات إرضاءً للسلطان واستجلاباً لعطف صدر جهان نذكر منها بيتاً واحداً معناه: إذا سار الجاو في المعاملات فإنه يضفي البهاء على الملك الخالد.[١] فخلاصة القول إن عملة الجاو هذه نفذت في يوم من أيام ذي القعدة من السنة المذكورة بمدينة تبريز واضطر أهل السوق بضعة أيام للتعامل بها في البيع والشراء. ثم نفذ صبر طائفة من أهالي تبريز على تحمل هذا الضرر اللاحق بهم، فآثرت الرحيل على الإقامة. وطائفة أخرى، ولو أنها كانت تفتح دكاكينها خوفاً من سطوة الحكومة ورجالها، إلا أنها كانت تخفي السلع والأمتعة ولا تظهرها. فضج الناس من الحالة وقلقوا أشد القلق واجتمعوا يوم الجمعة ونادوا بالويل والثبور وجهروا بالشكوى والتذمر صائحين بالسخط واللعن على عز الدين مظفر الذي تسبب في هذه المصيبة العامة، وقد أراد الدهماء والأوباش البطش به. وفي رواية أنهم فتكوا به فعلاً، فأرسلوا روحه الشريرة إلى أسفل السافلين. فاضطر الأمراء والقواد، مع صدر جهان، إلى رفع الأمر إلى السدة السلطانية قائلين: إن سريان الجاو في السوق، يؤدي إلى خراب البلاد وتبلبل الأفكار وضياع الثروات وتشتت الرعايا في الأطراف وتفرقهم في البلاد، وإذا استمرت هذه البدعة مدة أخرى فإن الشر يتفاقم ويعم البلاد كلها. فلم يسع كيخاتو خان إزاء هذا إلا أن يصدر أمره بإبطال الجاو، والعمل على استرجاع الذين جلوا عن أوطانهم. فعاد الناس إلى تبريز وأخذوا يباشرون أعمالهم كما كانوا، وعادت الحياة في المدينة من جديد.

وفي هذه السنة نصب المصريون الملك القاهر قدار[٢] (؟) من فروع سلاطين آل أيوب، حاكماً على مصر. وكان وكيل الملك الأشرف. وفي أيام

---

[١] جاو أگر درجهان روان باشد زونق ملك جاودان باشد

[٢] لعله بيدار القاهر الذي تولى سنة ٦٩٣هـ بعد أن قتل مولاه الملك الأشرف خليل من المماليك البحرية الذين هم مماليك الأيوبيين وفروع من سلاطينهم وحل مكانه ولكنه قتل في يومه.

حكومته اعتبر نفسه أيضاً وكيل الملك الناصر بن سيف الدين قلاوون إلى أن قتله في أواخر هذه السنة كتبوقا «كتبغا العادل زين الدين كتبغا المنصوري».

سنة ٦٩٤/١٢٩٤-١٢٩٥: في أوائل هذه السنة ثار بايدوخان بن طراغاي بن هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان، على كيخاتو خان وتمكن من الفتك به والقضاء عليه، وحل محله في الحكم والجلوس على عرش السلطنة. وبعد مضي مدة ثمانية شهور، خرج عليه غازان خان بن أرغون خان بالاتفاق مع الأمير حاجي نوروز، فتمكن من قتله والحلول محله في الحكم الموروث. ومن التوفيقات الإلهية وآثار المعجزات النبوية أن هدى الله، في شهر شعبان من هذه السنة السلطان غازان إلى اعتناق الدين الإسلامي وذلك بفضل ترغيب وتشويق حاجي نوروز بحضرة الشيخ ابراهيم الحموي فأسلم فيروز كوه، وثمانين ألفاً من أتباعه وصناديد قومه وأكابرهم من المغول. وهكذا ظفر ذلك السلطان السعيد بصحة العقيدة واللسان الذي كان يتلقى على المعلم «فأبواه يهودانه وينصرانه» و «إن الله ثالث ثلاثة»[1]، أصبح يتلفظ بالشهادة «فاعلم أنه لا إله إلا الله»[2] ويصدق قوله «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين»[3].

وقد طاب لسانه بكلمة التوحيد الطيبة وانتظم في عداد السعداء الذين انطبق عليهم قوله تعالى: «كنتم خير أُمة أُخرجت للناس»[4] وشَرُف بهذا الاسم: السلطان محمود خان، وسمي أخوه أولجايتو خان باسم السلطان محمد. ومن ذلك اليوم وضع التاريخ الخاني نسبة إليه.

سنة ٦٩٥/١٢٩٥-١٢٩٦: في غرة المحرم من هذه السنة عمد السلطان محمود خان «غازان» ولما يمضي على ملكه عشرون عاماً، إلى شعار دولته المسمى (آل تمغا) وكان مربعاً فجعله تيمناً وتفاؤلاً منه مستديراً لأن الدائرة أفضل الأشكال الهندسية. وفي هذه السنة أصدر سكة نقش عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله وأمر بأن يتوج رؤوس الكتب والمنشورات بكلمة: الله أعلى، وبأن تشرف منشورات وفرمانات الوظائف والمرتبات وسائر الجرايات والإقطاعات لأهل الإسلام بتوقيعاته السلطانية السامية. كما أنه عهد بمنصب

---

(١) سورة ٥ آية ٧٣.

(٢) سورة ٤٧ آية ١٩.

(٣) سورة ٣٣ آية ٤٠.

(٤) سورة ٣ آية ١١٠.

أمير الأمراء والنيابة العامة على الجيش المنصور المظفر إلى حاجي نوروز بك، وعهد بالوزارة الكبرى إلى صدر جهان أعني صدر الدين أحمد الزنجاني.

سنة ٦٩٦/١٢٩٦-١٢٩٧: وفيها اتهم حاجي نوروز بممالأة سلطان مصر وصداقته، فاستُشْهد بأمر من السلطان غازان بخراسان، وفي هذه السنة توجه الملك سيف الدين إلى مصر فقتله حسام الدين لاچين بكد رمير (بكتمر) الذي كان غلاماً مملوكاً للملك أشرف صلاح الدين خليل بن سيف الدين «قلاوون» فلذا خشي العاقبة، وفر مع أربعة من المماليك الآخرين إلى دمشق (؟).

سنة ٦٩٧/١٢٩٧-١٢٩٨: وفيها شرع السلطان محمود غازان في بناء جامع ومدرسة وعمارات خيرية أخرى بجانب القبة التي أنشأها في دار السلطنة بتبريز، لتكون ضريحاً له. وفي الحق أن هذه القبة ليس لها نظيراً تحت قبة السماء علواً وسعةً، فإن قطرها يبلغ خمسة وخمسين ذراعاً معمارياً، وارتفاعها خمسة وخمسين ذراعاً معمارياً. وأما سمك حائطها فاثنا عشر ذراعاً من غير طاق القبة. ومسطور في أغلب التواريخ أن بناء هذه القبة استغرق من الزمن خمس سنين كاملة.

وقد بنى الخواجة عاليشاه الوزير الختلاني في تبريز جامعاً كبيراً عظيماً كان ارتفاع طاقه الأمامي ثمانين ذراعاً. بيد أنه لم يثبت على الأيام بل إنهار بعد سنتين. كما أن خللاً قد طرأ على قبة غازان، فحدث شرخ كبير فيها من سمت الرأسي يبلغ طوله ثلاثة وعشرين ذراعاً وعرضه ثلاثة أذرع، بحيث تظهر منه الشمس والنجوم، ومع ذلك فإن القبة لم تسقط، وأخيراً رمم القبة القاضي محمد مسافر التبريزي الذي كان والياً على تبريز من قبل الشاه طهماسب، وكان مشرفاً على أوقاف غازان.

سنة ٦٩٨/١٢٩٨-١٢٩٩: في بدايتها توفي إلى رحمة الله في مصر لاچين حسام الدين، وخلفه ابنه الملك المنصور[١]. وقبض على الملك العادل وقتله مع سبعة من المماليك أثناء لعبة شطرنج (؟).

سنة ٦٩٩/١٢٩٩-١٣٠٠: وفي بدايتها اشتبك الملك الناصر بن الملك المنصور، الذي كان والي دمشق (؟) في القتال مع السلطان محمود غازان في

---

[١] كذا وفي مصادر أخرى لاچين حسام الدين هو الملك المنصور وابنه هو الملك الناصر ناصر الدين.

أطراف حمص وحماه فانكسر. وعاد السلطان محمود غازان إلى تبريز. وأمر في يوم الثلاثاء الموافق إثنين وعشرين من شهر رجب بقتل صدر جهان، فهدم بذلك صرح الفضائل والآداب ومدينة العلم والإحسان. وبعد مضي عدة أيام على ذلك تكرم السلطان فأسند منصب الوزارة والنيابة الكبرى ونظارة الديوان إلى كل من الخواجة رشيد الحق والدنيا والدين الذي كان في مقدمة علماء زمانه وحكمائه، ولا سيما في فني الحكمة والطب، والخواجة سعد الدين الساوجي صاحب اليد الطولى في فني الاستيفاء والسياقة. وقد انتظمت الأمور بفضل هذين الوزيرين المدبرين؛ فقد رضى عنهما أقارب السلطان وكثير من أهل الفضل والعلم والدراية. بيد أن النعمة والسعادة لم تتّما في ذاك الوقت، فقد وقع القحط واشتد الغلاء في أنحاء العالم بسبب انقطاع الأمطار. فنقصت مياه جيحون ودجلة والنيل نقصاً كبيراً مما جعل الناس، كبيرهم وصغيرهم يتضورون جوعاً ويهيمون على وجوههم.

سنة ٧٠٠/١٣٠٠-١٣٠١: في أواسط جمادى الآخرة من هذه السنة كان ميلاد الأمير مبارز الدين محمد بن الأمير مظفر الدين محمد بن الأمير مظفر (؟) بن الأمير غياث الدين السجاوندي. فأجدادهم كانوا من الأعراب الذين جاءوا أيام فتح خراسان إليها مع الجيوش الإسلامية، وسكنوا قرية سجاوند خواف من أعمال خراسان. وفي خلال حوادث جيش جنكيزخان اضطر الأمير غياث الدين إلى الرحيل من تلك الجهة إلى يزد التي هي دار العبادة الشهيرة. وقد بلغ هذا الأمير في عهد أرغون خان منصب يَسَاولي «لعله الشرطة»، وأما ابنه الأمير مظفر فقد نال منصب إمارة الألف، وصار صاحب طبل وعلم في عهد السلطان غازان. وقد انتهز الأمير مبارز الدين محمد الفرصة أيام ضعف دولة المغول، فوضع أساس سلطنة مستقلة. فعلا قدره يوماً فيوماً وقد سطع نجمه حتى أقدم على الزحف إلى تبريز لمقاتلة أخي جق نائب جاني بك، فألحق به هزيمة منكرة في كرمرود ثم عاد إلى فارس. ثم استولى على كرمان وضمها إلى بلاد يزد والعراق، وقرئت الخطب في منابر أذربيجان باسمه. ولما كان مبارز الدين محمد هذا رجلاً قهاراً وجباراً شديد المراس، فقد ولع بتنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل قسوة، حتى إن ظرفاء العصر وأدباء الوقت أطلقوا عليه لقب المحتسب. فالشاعر الخواجة حافظ كناه بقوله: ببانگك چنك مخورمي كه محتسب تيزاست، أي؛ لا تشرب الخمر على صوت الموسيقى لأن المحتسب شديد البطش.

وقد سمى المؤرخون هذه الأسرة الحاكمة بآل مظفر، وقد وصل منهم إلى الحكم سبعة ملوك ستأتي تفاصيل أحوالهم فيما سيذكر من المواضيع والوقائع.

سنة ٧٠١/١٣٠١-١٣٠٢: في هذه السنة زحف غازان خان مرة أخرى إلى الشام للاستيلاء عليها وبعد أن بلغ ظاهر حلب علم أن سلطان مصر لن يغادر مقر ملكه هذه السنة، فقفل غازان خان راجعاً بموافقة أمرائه وقواده.

سنة ٧٠٢/١٣٠٢-١٣٠٣: في ربيع هذه السنة أوفد غازان خان كلاً من القاضي نصير الدين التبريزي وقطب الدين الموصلي رسولين من قبله إلى بلاط الملك ناصر بمصر، وقد كُلفا أن يقولا للسلطان ما خلاصته «إذا سمحت أن تكون الخطبة والسكة باسمنا في بلادك مع تقديم إتاوة سنوية لنا، تكون قد وقيت مصر من تعرض جيشنا الجرار لها، وإلا فإن الويلات والمصائب التي صبت على سكان بلاد الخوارزميين من قبل الجنكيزيين ستصب مثلها وأكثر على المصريين».

ولما بلغ الرسولان مصر وتشرفا بالمقابلة قال لهما الملك الناصر: إن جواب هذا الكلام سيحمله رسولنا إلى غازان خان رأساً. ثم أنعم عليهما إنعامات سنية وأذن لهما بالانصراف. ولما وصلا إلى بلاط غازان رفعا إليه كل ما شاهداه وسمعاه في هذه الرحلة.

سنة ٧٠٣/١٣٠٣-١٣٠٤: في يوم الأحد الموافق للحادي عشر من شهر شوال من هذه السنة ارتحل غازان خان من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء في موضع يقال له فشكلدرهٔ قزوين [١].

وكانت أيام ملكه تسع سنوات وسبعة شهور، وبلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة فأحضرت جثته إلى تبريز، ودفنت في الضريح الذي كان أقامه لنفسه. وجلس على العرش في إيران مكانه أخوه السلطان محمد خربنده الذي سمي أخيراً بخدا بنده وهو بالغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة. وفوض أمور ومهام الوزارة حسبما كانت في عهد أخيه، إلى كل من الخواجة رشيد والخواجة سعد الدين. هذا والسبب في تسمية هذا السلطان بلقب خربنده هو أنه بعد وفاة أبيه كان قد هرب خوفاً من غازان خان (؟) إلى نواحي شيراز وكرمان، واختلط هنالك بالخربندكية والمكارين «الحمارين والبغالين»، وأمضى وقتاً غير قليل

---

[١] في مرئ التاريخ أنه مات في همدان.

معهم في التردد على هرمز وما حولها. فأطلق الناس عليه لقب الخربنده «الحمار».

سنة ٧٠٤/١٣٠٤-١٣٠٥: فيها وهب الله تعالى السلطان محمد خدابنده في ظاهر دشت طارم ولداً سموه السلطان أبو سعيد.

سنة ٧٠٥/١٣٠٥-١٣٠٦: في بدايتها شرع السلطان محمد خدابنده في بناء بلدة وقلعة في النك قنقور[1] وسماها سلطانية، ولما تم البناء اتخذها دار الملك حيث اعتنى بتزيينها وتنسيقها، عناية كبيرة.

سنة ٧٠٦/١٣٠٦-١٣٠٧: وفيها زحف السلطان محمد خدابنده إلى ولاية كيلان بقصد الاستيلاء عليها. فقتل في المعركة الأمير قتلغشاه الذي كان أميراً من أمراء جنده. وبذلك انفرد الأمير چوبان بأمور السلطنة يسيرها كما يشاء.

سنة ٧٠٧/١٣٠٧-١٣٠٨: وفي بدايتها افتتح السلطان عثمان الغازي قلاع كستل، وكته، وقلعة لفكه، وآغجه حصار وقوج حصار وناحية مرمرة؛ مما اضطر حاكم أزنيق إلى أن يرسل إلى حاكم القسطنطينية يشكو السلطان عثمان إليه، ويطلب منه النجدة والمساعدة. فبادر حاكم القسطنطينية إلى إرسال النجدة. وفي أثناء عبور هذه النجدة لبحيرة مشهورة باسم دل ومساحتها أربعة آلاف ذراع انقض عليهم أبطال الإسلام، وكان السلطان عثمان قد أوقفهم بجوار البحيرة، فصالوا عليهم بسيوفهم وآبادوا كثيرين منهم.

وفي هذه السنة أيضاً توجه السلطان محمد خدابنده نحو بغداد دار السلام بقصد إمضاء الشتاء بها... فحدث في أثناء ذلك جدال مذهبي بين صدر جهان البخاري الحنفي الذي كان متوجهاً إلى زيارة بيت الله الحرام، وبين الخواجة عبد الله الشافعي أقضى قضاة الممالك السلطانية فتشاتما وتطاعنا، ولكن السلطان اختار مذهب سيدنا الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه. وأخيراً قد مال إلى مذهب الإمامية فاعتنقه بفضل مساعي الشيخ جمال الدين حسن بن سديد الدين يوسف مطهر الحلي، فأصدر الأوامر والفرمانات إلى البلاد بذكر ونقش أسامي الأئمة الاثني عشر في الخطب والسكة. وألف الشيخ جمال الدين هذا كتاب «منهاج الكرامة» باسم هذا السلطان.

---

[1] قال أبو الفداء إن اسمها المغولي كان قنغر لان. انظر بلدان الخلافة الشرقية، لسترنج، ترجمة فرنسيس وعواد، ص٢٥٧.

سنة ٧٠٨/١٣٠٨-١٣٠٩: في هذه السنة استولى رجال السلطان عثمان على قلعة ...[١]. وقلاع لبوجي وكيوه وطرقلي يكيجه سي وتكور بيكاري. وكان في هذه السنة أيضاً أن عمد السالار نائب السلطنة بمصر إلى الاتفاق مع جماعة من الأمراء والجنود، فقصدوا قتل الملك الناصر بن الملك المنصور؛ بيد أن الملك الناصر علم بجلية الأمر فاعتصم بقلعة الكرك، وبادر السالار إلى نصب جشنكير[٢] سلطاناً على مصر ولقبه بالملك المظفر.

سنة ٧٠٩/١٣٠٩-١٣١٠: في هذه السنة ثار الأمراء المصريون على الملك المظفر جشنكير وخلعوه، وأحضروا الملك الناصر من قلعة الكرك وأجلسوه مرة أخرى على عرش السلطنة.

وفي هذه السنة، أضاف السلطان محمد خدابنده حكومة ولاية أبرقوه، ومهمة ضبط طرق خراسان ولرستان إلى منصب الأمير مظفر الدين محمد الذي كان قد ظهرت مواهبه النادرة من البسالة والجلد في الزحف إلى گيلان.

سنة ٧١٠/١٣١٠-١٣١١: في هذه السنة انتابت السلطان أبا سعيد أمراض عديدة من الجدري وغيره حملت والده العظيم ورجال دولته على اليأس منه وانقطاع آمالهم في حياته، غير أن الله سبحانه وتعالى منّ عليه بالشفاء العاجل، فاسترد عافيته وبادر السلطان ورجاله إلى إقامة الحفلات وتوزيع الصدقات وعمل الخيرات شكراً لله تعالى.

وفي ١٧ رمضان من هذه السنة لحق بالرفيق الأعلى مولانا قطب الدين محمود (الشيرازي) بن مولانا مسعود بن مولانا مصلح الدين، وكان قدوة العلماء وزبدة الفضلاء في عهد السلطان محمد في دار السلطنة بتبريز. ومن مؤلفاته المشهورة شرح لأصول ابن الحاجب، وشرح لحكمة الاشراق، وشرح للمفتاح.

سنة ٧١١/١٣١١-١٣١٢: في هذه السنة عمد السلطان محمد خدابنده إلى قتل وزيره الخواجة سعد الدين محمد الساوجي. فقال حمد الله المستوفي القزويني في تاريخ مقتله بيتين فارسيين معناهما: إن بدر الخواجة سعد الدين

---

[١] هكذا في الأصل.

[٢] لعله بيبرس الجشنكيري وقد قتل أخيراً كما في المرئ.

قد انخسف بأمر السلطان في السبت الأول من شوال سنة سبعمائة وإحدى عشرة.[١]

وعين الخواجه عليشاه الختلاني وزيراً بدله، على أن يشارك الخواجه رشيد في تسيير أمور الوزارة. وفي أواخر هذه السنة نفسها توجه السلطان نحو بغداد.

سنة ٧١٢/١٣١٢-١٣١٣: في هذه السنة، بادر كل من قراسنقر حاكم دمشق وجمال الدين أفرم حاكم حلب، وكانا من أعظم أمراء وقواد مصر والشام إلى اللجوء إلى بلاط السلطان محمد خدابنده خوفاً من سياسة الملك الناصر، وكان معهما خمسماية فارس من الفرسان المغاوير. وقد تشرفا بالمقابلة وتقبيل الأذيال الكريمة في حدود بلدة السلطانية حيث غمرهما السلطان بعطفه وإحسانه وجعلهما موضع ثقته، حتى إن السلطان جدد نيته في الزحف إلى بلاد الشام للاستيلاء عليها بسبب تحريضهما وترغيبهما له في ذلك. فتوجه نحو البلاد المذكورة. ثم عاد منها بالصلح في اليوم الرابع والعشرين من رمضان هذه السنة.

سنة ٧١٣/١٣١٣-١٣١٤: في أوائل هذه السنة استولى السلطان عثمان الغازي على أويناش حصاري وقلعة....[٢] وإينه كولي وقلعة أطرنوس. وفي هذه السنة أيضاً أقطع السلطان محمد خدابنده إيالة خراسان لنجله عالي الشأن السلطان أبي سعيد خان. وأوفده إلى تلك البلاد ونصب الأمير سونج أتابكا عليه، وأوفد معه جمعاً من أنجال الأمراء والقواد تتفق أعمارهم مع عمر الأمير.

وتوفي إلى رحمة الله في ثالث ذي القعدة من هذه السنة الأمير مظفر الدين محمد فدفنوه في المدرسة التي كان قد بناها في خطة ميبد.

سنة ٧١٤/١٣١٤-١٣١٥: في هذه السنة دب الخلاف وقام الخصام بين كبك خان والأمير بيسور من أولاد وأحفاد چغتاي خان، وقصد كبك خان ولاية ما وراء النهر وثارت غبار الحرب، فرأى بيسور أن من المصلحة أن يجتاز جيحون وأن يتوطن في متنزهات بلاد خراسان. فأرسل من رجاله رسولاً خاصاً

---

[١] رفته ازتاريخ هجري سال ذال ويا ألف: عشر اول شنبه ازشوال كشته منصرف
در محول شدبفرمان خداوند جهان بدر عمر خواجه سعد الدين محمد منخسف

[٢] هكذا في الأصل.

يحمل من التحف والهدايا شيئاً كثيراً إلى بلاط السلطان محمد خدابنده الذي أكرم وفادته وقابله بالترحاب العظيم والخلع السنية، وأرسل إلى بيسور هدايا عظيمة، ويقول له إنه مخير ومختار في أن يقيم أنى شاء من البلاد السلطانية، فبادر بيسور إلى اختيار الإقامة في ولاية بادغيس وهراة بسهل فادس.

سنة ٧١٥/١٣١٥-١٦: في هذه السنة كان خروج طوغاي تيمور بن سوري بن بابا بهادر بن أبوبكا بن إمكان بن توري بهادر بن جوجي فشار (؟) أخي جنكيزخان في استرآباد. وفشار (؟) هذا كان قد وفد إلى إيران بعشرة آلاف بيت من عشيرته وخدمه وحشمه، في عهد السلطان محمد خوارزمشاه، فقتله السلطان محمد وشتت شمل رجاله وعشائره وقبائله وأولاده وأسباطه الذين يقيم معظمهم الآن في نواحي جرجان.

سنة ٧١٦/١٣١٦-١٧: انتقل السلطان محمد خدابنده من دار الفناء إلى دار البقاء في ليلة عيد الفطر من هذه السنة. فيقول حمد الله المستوفي القزويني في تاريخ وفاة السلطان حين انقضى تسعة أشهر من عام سبعمائة وستة عشر مضى السلطان تاركاً الملك إلى بيوقا.[1]

كانت أيام سلطنته اثنتي عشر سنة وتسعة شهور، وكان يبلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة، وقد دفن في المقبرة التي كان بناها في بلدة السلطانية وهي وقلعتها من جملة آثار هذا السلطان العظيم. وهذه البلدة شكلها مربع، طول كل ضلع منها خمسماية ذراع، ولها باب عظيم وستة عشر برجاً. وهي الآن متهدمة وخربة، ليس بها سوى أطلال حائط.

سنة ٧١٧/١٣١٧-١٨: اتفق الجمهور على أن السلطان أبا سعيد خان بن السلطان محمد خدابنده قد تسنم عرش السلطنة في إيران في غرة شهر صفر من هذه السنة وهو بالغ من العمر اثنتي عشر عاماً وكان ذلك في بلدة سلطانية. فوضع مقاليد أمور السلطنة في يدي الأمير چوبان سلدوز وأبقى كلاً من الخواجه عليشاه والخواجه رشيد في منصب الوزارة حسب ما كان عليه الأمر في عهد والده.

سنة ٧١٨/١٣١٨-١٩: في اليوم السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة أصدر السلطان أبو سعيد خان أمره بقتل الوزير رشيد الدين محمد، في

---

[1] أزهفتصد وشائزده چونه ماه كذشت   أزكاه وكلاه سروري شاه كذشت
بكذشت وچهان بيوقارا بكذشت   آكاه زكار خويش نا كاه كذشت

حدود أبهر من أعمال العراق، يقول مولانا جمال الدين العتيقي (؟) في تاريخ ذلك:

حينما ارتحل رشيد الدين والدولة إلى العقبى، كتب منشئ تقديره طاب ثراه.[1] وفي هذه السنة تعطف السلطان أبو سعيد خان على الأمير مبارز الدين محمد بن الأمير مظفر، فأسند إليه منصب حكومة يزد، دار العبادة.

سنة ٧١٩/١٣١٩-٢٠: في هذه السنة نازع بعض من أمراء السلطان أبي سعيد خان وقواده بالاتفاق مع قورمشي، الأمير چوبان وخالفوه على منصب أمير الأمراء وأفضى ذلك إلى الجدل والشروع في القتال فدارت المعارك بين الفريقين، وخاض غمارها السلطان أبو سعيد نفسه مع صغر سنه، فأبدى فيها بسالة نادرة وشجاعة فائقة نال من جرائها لقب بهادر، فهو أول سلطان من سلاطين المغول يلقب ببهادر، «البطل».

سنة ٧٢٠/١٣٢٠-٢١: في هذه السنة قتل الأمير بيسور الذي كان هو وجيشه قد ألحق ببلاد خراسان خراباً كبيراً وويلات كثيرة، على أيدي جنود كوبك خان وأسر الأمير جوكي والأمير غازان وخواتين الأمير بيسور. وقد عاد كوبك خان سالماً وغانماً إلى ما وراء النهر.

سنة ٧٢١/١٣٢١-٢٢: في هذه السنة توفيت إلى رحمة الله دولندي بنت السلطان محمد خدابنده، وكانت زوج الأمير چوبان. ونظراً لحسن خدمة هذا الأمير وإخلاصه للسلطان أبي سعيد فقد زوجه السلطان أخته الأخرى ساتي بيك. ومات في هذه السنة أيضاً موتة طبيعية كوبك خان سلطان ما وراء النهر ومرقده في جوار المسجد الجامع بمدينة قرشي.

سنة ٧٢٢/١٣٢٢-٢٣: في هذه السنة استولى السلطان عثمان الغازي على قلعة بورسا التي هي من جملة بلاد الروم، وهي قلعة حصينة ومنيعة جداً. وقد توجه السلطان عثمان بنفسه لمباشرة الفتح، وأحاط بها من ثلاث جهات وأخذ يضربها ضرباً شديداً. ولما طالت أيام الضرب والحصار ضاق الأمر على المحصورين واشتد بهم الحال، بادر الأمير أورخان إلى الهجوم واقتحام القلعة من جانب قپلوجه، وهي مجموعة عمارات مبنية على عيون مياه ساخنة، والواقع أن عيون الماء الساخن والعمارات الجميلة التي شيدت بجوارها لم ير المسافرون

---

[1] رشيد دولت ودين چون رحيل كرد بعقبا: نوشت منشى تقدير أوكه طاب ثراه.

في البر والبحر نظيراً لها فدخلها وتسلمها منهم. فهذه البلدة الجميلة الآن في عداد البلاد العثمانية.

وفي هذه السنة قد توفي إلى رحمة الله شيخ العارفين دده بالي القراماني، وكذا توفي إلى رحمة الله الأمير حسين الإيلخاني الذي كان هو في عهد السلطان أبي سعيد خان أميراً للأمراء وكان متزوجاً بكريمة أرغون خان كما كان والده[١] في عهد جنكيزخان أيضاً أميراً للأمراء.

سنة ٧٢٣/١٣٢٣-٢٤: في أوائل هذه السنة استولى بطل من أبطال السلطان عثمان يدعى قوكر ألب على قلعة في ولاية الروملي دعيت باسمه، ولا تزال هنالك قلعة مشهورة باسم قلعة قوكر ألب.[٢]

سنة ٧٢٤/١٣٢٤-٢٥: في هذه السنة انتاب المرض الخواجه عليشاه وزير السلطان أبي سعيد خان، واشتد المرض عليه حتى إن السلطان تلطف فعاده إلى منزله لحبه له وتقديره إياه. وعين له أطباء حاذقين يلازمونه ليل نهار ويعالجونه، غير أن وطأة المرض كانت شديدة، فقضت عليه أخيراً، وتوفي إلى رحمة الله في مصيف أوجان فنقلوا نعشه إلى تبريز، ودفنوه في الجانب القبلي بجوار المسجد الجامع الذي كان قد بناه. والوزير الذي توفي وفاة طبيعية من وزراء عهد المغول هو الوزير عليشاه هذا فقط. وولي منصب الوزارة بعده ركن الدين صاين الذي كان في بادئ أمره نائب الأمير چوبان. وهو في الأصل من أهالي شيراز غير أنه نشأ في نخجوان، وجدّه الأمير ضياء الملك الذي كان عارضاً لجيش السلطان محمد خوارزمشاه، مدفون في نخجوان حيث بنوا على قبره قبة عالية بجوارها مدرسة وجامع.

سنة ٧٢٥/١٣٢٥-٢٦: في هذه السنة ولد للأمير مبارز الدين محمد ابن هو شاه شرف الدين مظفر. وحارب في خلال أربع سنوات النكوداريين[٣] إحدى وعشرين مرة حتى استأصلهم واستقل بالحكم، فعلى شأنه.

سنة ٧٢٦/١٣٢٦-٢٧: في هذه السنة انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء والخلد السلطان عثمان الغازي بالغاً من العمر تسعاً وستين سنة، وقد حكم ستاً وثلاثين سنة، ومات في بلدة سوكوتجوك، فنقل نعشه الشريف إلى بورسا حيث

---

[١] في النص پدرش.
[٢] في المرئ، قوكريه‌ا.
[٣] أي المغول الذين كانوا مع أحمد نكودار.

دفن بها. كان هذا السلطان غاية في السخاء، وكان ملجأ للناس، تطبخ أطعمة كثيرة في مطبخه كل ثلاثة أيام ويدعي الناس إلى مأدبته، وكان ينعم بالكساوي والملابس والنفقات على الفقراء والمساكين من خزائنه كل سنة. ولما مات لم يجدوا في تركته سوى سيف وجبة وعدة جياد وقطيعين من الغنم ! هذا والأغنام التي لا تزال مشهورة باسم غنم السلطان بجهات بورسا من نتاج تلك الأغنام. ولقد أنشأ في بلدة قره حصار صاحبي مسجداً جامعاً وأتم بناءه. وإليك أسماء العلماء والمشايخ الذين كان السلطان معاصراً لهم: الشيخ صدر الدين القونوي، ومولانا جلال الدين الرومي، وسلطان ولد بن السيد برهان الدين التبريزي (؟) وشمس الحق التبريزي، وبهاء الدين ولد، والشيخ مخلص باشا، وعاشق باشا.

هذا وتسنم عرش السلطنة بعد وفاة السلطان عثمان نجله الصادق أورخان خان الذي وضع لأول مرة لبس الكلاه البيضاء بالعمامة المكلفة في الجيش العثماني. وهو الذي أنشأ منصب الوزير ليتولى أمور الدولة نيابة عن السلطان حيث شرف كلا من خير الدين باشا ومولانا جلال الدين الكردي[1] بمنصب الوزارة الجليل. ولما فتح أحد أمرائه المسمى آقجه قوجه ناحية من ولاية الأناضول دعيت تلك الناحية ولا تزال بقوجه إيلي، وكذا قره مرسل، وهي قلعة من قلاع تلك الجهة سميت باسم فاتحها: وفتحت قلعة صمان دره هذه السنة، وكذلك كان حصار قلعة أيدوس. وقد رأت بنت حاكم هذه القلعة في المنام أثناء المحاصرة أنها في مكان نجس وأن شخصاً مسلماً مد يد المساعدة إليها، وأخرجها من القذارة التي كانت بها وألبسها ثياباً طاهرة. ولما أصبحت وقع نظرها على شخص مسلم يدعى عبد الرحمن بهادر. فإذا هو الشخص الذي رأته في المنام، فأرسلت إليه خطاباً تعرب فيه عما في ضميرها وتدعوه إلى داخل القلعة ليلاً. فبادر عبد الرحمن إليها وتسلم القلعة وعقد خطبته عليها، بعد أن أسلمت ونطقت بالشهادتين.

وفي أواخر هذه السنة أقامت نيلوفر هانم زوجة السلطان أورخان جسراً في بورسا على نهر سمي لذلك نهر نيلوفر.

سنة ٧٢٧/١٣٢٧-٢٨: في هذه السنة ظهر ميل السلطان أبو سعيد لبغداد خاتون بنت الأمير چوبان التي كانت آية في الحسن والجمال، فقد هام بها

---

[1] سبق في المجلد الأول من هذا الكتاب أنه تاج الدين الكردي الملقب نجيب الدين باشا.

هياماً كبيراً حتى أصبح لا ينام ليلاً ونهاراً من لوعتها. فهذا البيت الفارسي من خاتمة غزل قيل في ذلك الوقت.

تعال إلى مصر يا قلبي حتى ترى دمشق الروح بغية فؤادي في هوى بغداد.[1]

هذا وقد كان الأمير جوبان قد زوج منذ سنين ابنته هذه من الأمير حسن ابن الأمير حسين أقبوغا. ولما كان قانون السلطنة الجنكيزية وتقاليد المغول من القديم تقضي بأن كل امرأة يقع نظر السلطان عليها فيعجب بها، فعلى زوجها أن يطلقها طوعاً ويرسلها إلى الحرم السلطاني بطيب خاطره. لذلك بادر السلطان إلى بعث رسول خاص سراً إلى الأمير جوبان يطلعه على حب السلطان وهيامه بابنته. ولقد تحيّر الأمير جوبان لسماع هذا الخبر وقد أجاب بجواب غير سديد، أثار ثائرة السلطان ونقمته عليه. وبالرغم مما كان يتمتع به الأمير جوبان وأولاده من رفعة الشأن ونباهة القدر في عهد هذه الأسرة الملكية حيث كانوا قائمين بمنصب أمير الأمراء مدار الملك زهاء اثنتي عشرة سنة، فقد أقدم السلطان على تناسي ذلك وإهماله فنفذ حكم الإعدام في كل من الأمير دمشق خواجه والأمير محمود ولدي الأمير جوبان في السلطانية.

سنة ٧٢٨/١٣٢٨-٢٩: في أوائل هذه السنة زحف الأمير جوبان حينما سمع بمقتل ولديه، من خراسان إلى العراق وهو على رأس ثمانين ألف فارس كانوا قد التفوا حوله وانضووا تحت رايته؛ فبادر السلطان أبو سعيد إلى لقائه بجيوش جرارة على أبواب "قزوين" وما كان من القواد والرؤساء إلا أن انحازوا في الري إلى المعسكر السلطاني خارجين على الأمير جوبان؛ الأمر الذي اضطر الأمير جوبان إلى العودة إلى خراسان قبل الصدام والقتال، مفضلاً الالتجاء إلى الملك غياث الدين كرت حاكم هراة الذي بادر حسب أمر السلطان إلى قتله مع ابنه المدعو جلاوخان الذي كان ابن أخت السلطان، وأما ابنه الآخر المسمى تيمور تاش الذي كان حاكم بلاد الروم فحينما سمع ما حل بوالده وبأخوته من بطش السلطان وقسوته، لاذ بالفرار إلى مصر لاجئاً إلى واليها الملك الناصر محمد، وهذا بادر أيضاً بقتل اللاجئ وقطع رأسه وإرسالها إلى السلطان.

---

[1] بيا بمصر دلم تادمشق جان بيني كه آرزوي دلم در هواي بغداد أست

وفي هذه السنة أراد السلطان أبو سعيد أن ينيب عنه وزيراً له التفويض والتنفيذ. فبعد أن أعمل التفكير وتأمل وقع اختياره على الخواجه غياث الدين محمد ابن الخواجه رشيد. ولما تداول في صدد ذلك مع الأمراء والأعيان اتفقت كلمتهم جميعاً باللفظ والمعنى على أن غياث الدين هو الشخص الوحيد الذي يمكنه القيام بكل جدارة ومهارة بمهام هذا المنصب العظيم، من إرضاء الخاص والعام ورعاية مصالح الجمهور بالقسطاس المستقيم، فضلاً عن أنه يتمتع بسمو الحسب وعلو النسب والمهارة في العلوم العقلية والنقلية، والمعرفة بقوانين الوزارة وتقاليدها، والعلم بدقائق فن الحساب «السياقة». فلذا أسند السلطان منصب الوزارة الكبرى إلى هذا الرجل الفاضل وجعل الخواجه علاء الدين محمد من أكابر خراسان وعظمائها شريكاً له في تسيير أمور السلطنة، طالباً منهما أن يدققا ويحققا في الأمور المالية والحسابية باذلين أقصى جهدهما في توخي الأمانة مع الكفاية في الأمور المرفوعة إليه حتى تظهر جلية الأمر وحقيقة المطلب للرأي الأعلى السلطاني.

وبعد مضي ثمانية شهور استقل الخواجه علاء الدين محمد بأمور المالية والاستيفاء. وأما محمد رشيدي الذي هو أرشد أولاد آدم، فقد صدرت الأحكام بتوقيعه. والأشخاص الذين كانوا قد أساءوا للأسرة الرشيدية ساورهم القلق والخوف من الخواجه غياث الدين محمد. ولكن الخواجه حسن السيرة لم يجابه أحداً منهم بسيئته وتناسى ذنوبهم بل وغمرهم بعطفه وإحسانه. شعر:[1]

ألف بخ بخ لمثل هذا الوزير الذي ينشد الحب وقت الحقد وباسم هذا الوزير الفاضل سعيد الحظ ألّف عظماء العصر: مثل قدوة المحققين قاضي عبد الرحمن الأيجي شارح مختصر ابن الحاجب الذي ألف كتاب الفوائد الغياثية؛ وكذا مولانا قطب الدين الرازي ألف شرحه للمطالع باسم هذا الوزير؛ ونظم الشيخ الأوحدي الإصفهاني رحمه الله مثنوي جام جم باسمه الكريم، وأنشد الخواجه سلمان الساوجي القصائد الغراء باسمه وفي مديحه.

سنة ٧٢٩/١٣٢٨-٢٩: في ابتداء هذه السنة توفي إلى رحمة الله الملك غياث الدين محمد بن أبي بكر كرت باني المدرسة الغياثية على الباب الشمالي للمسجد الجامع بهراة، وهي من أشهر المدارس بها، وقد خلفه على العرش، حسب وصيته ابنه الملك شمس الدين. وفي هذه السنة عقد مبارز الدين محمد

---

[1] هزار آفرين بروزيرچنين   كه أومهر جويد بهنگام كين

والي يزد وميبد حسب الشريعة المحمدية وقوانين الملة الإسلامية المجيدة على مخدومشاه خاتون بنت شاه جهان بن جلال الدين سبورغتمش بن السلطان قطب الدين محمد بن الأمير حسام الدين حميد من سلاطين القراختائية بكرمان.

سنة ١٣٢٩/٧٣٠-٣٠: في هذه السنة قدم ناري طغاي إلى بلاط السلطان أبي سعيد، وكان قد نازع ملوك كرت ردحاً من الزمن، فألحق خسارة فادحة ودماراً كبيراً بهراة وسكانها من الرعايا والمتوطنين ومع ذلك قصد الخواجه غياث الدين محمد الوزير، حيث كان يطمع في تولي منصب أمير الأمراء وزعامة الجيش لما كان به غاية من الغرور والتكبر. فعرف السلطان أبو سعيد نيته الفاسدة وخياله الباطل فبيت الأمر لإلقاء القبض عليه. ولكن ناري طغاي علم ما يريده به السلطان فلاذ بالفرار مع عدة من رجاله إلى نواحي الري. فأرسل السلطان الخواجه لؤلؤ في عقبه فطارده حتى قبض عليه في كوهستان[1] الري وأتى به إلى حضور السلطان الذي أمر بقتله فورا فقُتل.

سنة ١٣٣٠/٧٣١-٣١: في هذه السنة استولى السلطان أورخان بن السلطان عثمان الغازي على قلعة قوين حصارى، وقلعة أزنكميد ومدينة أزنيق. وفي هذه السنة أيضاً قتل الغوريون الملك حافظ بن الملك غياث الدين، الذي كان قد ولي العرش بعد أخيه الملك شمس الدين، وذلك في هراة في ممر قلعة اختيار الدين؛ ثم بادر أكابر الدولة وأشراف الأمة إلى إقامة الملك معز الدين حسين بن الملك غياث الدين مع صغر سنه في الحكم بفضل نفوذ وسلطة أمير الجيش الذي كان مسيطراً على الحالة حينئذ، فاستحضر له من قِبَل السلطان أبي سعيد، الشارات والعلامات الخاصة بمنصب الحاكم.

سنة ١٣٣١/٧٣٢-٣٢: استولى السلطان أورخان على قلعتي طرقلي يكيجه سي وكوينك. وكان في هذه السنة أيضاً أن افترى البعض على الأمير الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبوغا، وأبلغوا بلاط السلطان أبي سعيد أن هذا الأمير يخابر سراً الأميرة بغداد خاتون في صدد الفتك بالسلطان. واستمع السلطان للوشاية فاعتزم قتله حالاً، ولكن والدة الأمير، التي كانت عمته استعطفته حتى عفا عنه، واكتفى بنفيه إلى قلعة كماخ ليقيم بها معتقلاً. وأما بغداد خاتون فقد سقطت في نظر السلطان وفقدت ثقته بها فترة من الزمن

[1] لعله جبل الري، ويجوز أن يكون مقاطعة كوهستان بالري.

حتى أسفرت التحقيقات عن كذب المفترين وبهتان المزورين، الأمر الذي أفضى أخيراً إلى علو شأنها، ورفعة قدرها حتى صارت صاحبة النفوذ الأكبر في جميع البلاد.

سنة ١٣٣٢/٧٣٣-٣٣: أمر السلطان بإطلاق سراح الأمير الشيخ الذي كان معتقلاً في قلعة كماخ، وعينه أميراً على بلاد الروم، فلبث بها حتى توفي السلطان إلى رحمة الله وكان في هذه السنة أيضاً ميلاد الشاه شجاع بن الأمير مبارز الدين محمد.

سنة ١٣٣٣/٧٣٤-٣٤: كان تفويض إمارة فارس من قبل السلطان أبي سعيد إلى الأمير مسافر، ولقد أثار هذا التعيين نقمة الأمير شاه محمود إينجو واستياءه إذ كان والي هذا الإقليم بفضل الأمير چوبان، وكان قد أثرى به ثراءً عظيماً، ومع ذلك فقد كان يتكاسل ويتباطأ في أداء واجباته نحو السلطان. فاتفق الأمير شاه محمود إينجو هذا مع كل من إيسن قتلغ والأمير سلطانشاه بن الأمير نيكروز والأمير محمد بيك والأمير محمد پيلتن، وقد استمالهم إليه حتى اتحدت كلمتهم، على مهاجمة الأمير مسافر وعلم هذا بما يدبر له في الوقت المناسب، فألقى بنفسه إلى سراي السلطان، وقد طارده الجماعة المذكورة حتى الباب وأخذوا يرمون السراي بالنشاب والسهام حتى يُسلم إليهم الأمير مسافر. وفي خلال هذه الحوادث أقبل الأمير سيورغان والخواجه لؤلؤ مع حشد كبير من الجنود، فتدخلوا في الأمر وأبعدوهم عن السراي، فتقوى السلطان وقبض على يكيك وأمر بقتله، وأخيراً بفضل تدخل الوزير غياث الدين محمد ورجائه، استبدل حكم القتل بالحبس في إحدى قلاع البلاد، ولبث فيها إلى أن توفي السلطان.

سنة ١٣٣٤/٧٣٥-٣٥: استولى السلطان أورخان على قلعة بالي كسرى وولاية قره سي وقلعة برغمه وقلعة آيدينجق وقلعة إيدرميد وقلعة كرماستي وألو باد وألحقها ببلاده. وفي هذه السنة توفي فولادخان في ألوس چقتاي وما وراء النهر، وحل محله في السلطنة الملك غازان بن بيسور. وفي أواخر هذه السنة زحف ملك الأوزبك، من نسل توشتي خان، من دشت باخرز قاصداً أرّان وآذربيجان. ولكن السلطان أبا سعيد عملاً بالحكمة القائلة: يجب علاج الأحداث قبل وقوعها[1] بادر إلى تهيئة أسباب القتال والنضال للدفاع عن البلاد

[1] علاج واقعة پيش أز وقوع بايد كرد.

التي قصدها العدو، فلذا توجه نحو بلاد أران قبل حلول موسم الشتاء مع القواد والجنود الحاشدة.

سنة ٧٣٦/١٣٣٥-٣٦: كان السلطان أبو سعيد قد توجه بجيوش جرارة، وكان الجو شديد الحر إلى حدود أران وشيروان من جراء ورود النبأ بإغارة ملك الأوزبك على تلك البلاد، وقد انتشرت الأمراض الفتاكة والأوبئة القتالة بين جيوش السلطان فقضت على أكثر الجند وأصيب السلطان نفسه بمرض شديد ألزمه الفراش أسبوعين تماثل بعدهما إلى الشفاء، ولكنه اضطر إلى الاستحمام فعاد إليه المرض بشدة. ولقد لاحظ بعض الأطباء المعالجين له أنه مسموم. توفي إلى رحمة الله يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول. ويقول الخواجه سلمان في رثائه:[١]

معناه؛ يبكي التاج طويلاً ويحترق العرش العظيم لزوال دولة السلطان الأعظم أبي سعيد.

فقام الأمراء وأركان الدولة بتجهيز وتكفين السلطان كما ينبغي ونقلوا نعشه إلى بلدة السلطانية، ودفنوه في الجامع الذي كان قد بناه لهذا الغرض.

ولما لم يكن للسلطان أولاد ذكور فقد تولى السلطنة، بفضل الوزير الخواجه غياث الدين محمد واستحسانه، آرپاخان بن سوسه بن سنگقان بن ملك تيمور بن آريق بوكا بن تولى خان بن جنكيز خان. ولكن بعد أربعة شهور ثار عليه موسى خان بن علي بن بايدوخان الذي كان قد نصبه على پادشاه خال السلطان أبي سعيد، سلطاناً في بغداد. وقامت الحرب بين هذا ومعه صناديد الأعراب والأكراد وبين أرپاخان في موضع يقال له جقتوى مراغه في اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة، وجرت رحى معركة عظيمة انحاز خلالها أكثر الأعيان والقواد إلى جانب موسى خان خارجين على آرباخان الذي دب الفشل والخذلان بين أمرائه وقواده فلاذوا بالفرار. كل إلى جهة. فهرب الوزير الخواجه غياث الدين محمد إلى جهة ما. ولكن الوزير الأول هذا قد قبض عليه في موضع يقال له سه گنبدان بجهة مراغة وقتل شهيداً في الحادي والعشرين من الشهر المذكور. وبعد ذلك وقع آرپاخان في أسر العدو حيث استشهد في اليوم الثالث من شهر شوال من السنة المذكورة، فذهب إلى دار الآخرة بعد وزيره.

---

[١] گريگريد تاج وسوزدتخت كي باشد بعيد برزوال دولت سلطان أعظم بو سعيد

هذا ولما شاع خبر استيلاء علي پادشاه وموسى خان وقوم الأويرات على البلاد في الأطراف والأنحاء، بادر الأمير حاجي طغاي من ديار بكر إلى بلاد الروم ملتحقاً بخدمة الأمير الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبوغا بن عمة السلطان أبي سعيد، وأخذ يحرضه على مخالفة موسى خان وعلي پادشاه. فما كان من الأمير الشيخ حسن إلا أن رشح محمد خان بن يولقتلغ بن ايلتيمور بن إيناجي (؟) بن هلا كوخان لتولي السلطنة وقرر الاستيلاء بنفسه على إيران، فتوجه بجيوش جرارة نحو آذربيجان، وسار لمقابلة كل من پادشاه وموسى خان بجيوشهما. وقد التقى الجمعان في الرابع عشر من شهر ذي الحجة من السنة المذكورة في نواحي اله طاق، فتوسل علي پادشاه بالحيلة والمكر، فبعث رسولاً إلى الأمير الشيخ حسن يقول له: إن سلطانين يتنازعان السلطة والنفوذ والملك فما بالنا نحن الاثنين أنا وأنت نتحمل تبعة إهراق الدماء فنشاركهما في الوزر والإثم. فالرأي أن ننسحب بأتباعنا وأنصارنا من الميدان كلُ واحد منا إلى ربوة يلبث فيها وينتظر ما يفعله هذان الخانان المتنازعان حتى إذا غلب أحدهما على غريمه اتبعناه معاً. فأعجب هذا الاقتراح الأمير الشيخ حسن، وانسحب بألفين من أتباعه الأبطال إلى جبل عال مطل على ساحة الوغى. ولما انتشب القتال وحمى وطيس الحرب والنضال، وظهرت بوادر الفشل والهزيمة على محمد خان؛ فخيل إلى علي پادشاه أنه قبض على ناصية الأمور وأن الغلبة والظفر في جانبه، فنزل إلى شاطئ نهر هنالك مطمئن البال وأخذ يشتغل بتجديد وضوئه، الأمر الذي حمل الأمير الشيخ حسن على أن ينتهز الفرصة وينقض بألفين من جنوده من وراء الأكمة التي كانوا بها على علي پادشاه كالصاعقة ويقطعه إرباً إرباً. ولما بلغ نبأ هذا الأمر الجلل إلى مسامع موسى خان لاذ بالفرار لا يلوي على شيء؛ كما أن محمد خان الذي كان قد انهزم عاد إلى الأمير الشيخ حسن الذي أخذ يبسط سلطانه على البلاد جميعاً، فعقد قرانه على دلشاد خاتون أرملة السلطان أبي سعيد الذي كان قد أجبره على طلاق امرأته بغداد خاتون، وهكذا انتقم لنفسه. وفي أواخر هذه السنة استولى السلطان أورخان على قلعة قزلجة طوزله في بلاد الروم.

سنة ٧٣٧/١٣٣٦-٣٧: كان ظهور وخروج الأمير عبد الرزاق بن فضل الله باشتيني ويسمون سلاطين السر بداريه، وهم من جملة ملوك الطوائف الجنكيزية وكان ذلك في سبزاور من ولاية خراسان وباشيتن قرية من قرى بيهق من أعمال سبزاور. وكان لرئيس هذه البلاد الخواجه فضل الله خمسة أولاد

ذكور هم: أمين الدين وعبد الرزاق ووجيه الدين مسعود ونصر الله وشمس الدين: أما أمين الدين فقد كان في خدمة السلطان أبي سعيد وملازماً لبلاطه حين كان ببلاط السلطان علي سرخ الخوافي وكان يكنى بأبي مسلم، وكان ذا مهارة في المصارعة والرماية. فقال السلطان ذات يوم أمام أمين الدين هذا: يا ترى هل يوجد في بلادنا أحد يباري أبا مسلم في المصارعة والرماية؟ وأجاب أمين الدين فوراً نعم ! إن لي أخاً في خراسان يدعى عبد الرزاق يمكنه أن يتغلب على أبي مسلم. فأمر السلطان بإحضاره في الحال، فأرسل قاصداً مسرعاً إلى خراسان فأحضره في مدى بضعة أيام إلى البلاط السلطاني. وتوجه كل من عبد الرزاق وأبي مسلم إلى السهل الفسيح في خارج المدينة وأخذا يتباريان في الرماية بالنشاب والقوس أمام السلطان حتى ظهر أن عبد الرزاق متفوق وأن سهمه أبعد مدى من سهم خصمه في الانطلاق بمقدار عشرة أقدام. فأراد السلطان أن يكافئ عبد الرزاق، وأمر وزراءه بأن يعهدوا إليه بوظيفة هامة ينتفع منها، فأرسله رجال الديوان إلى كرمان دار الأمان لجباية مالها، وتحصيل متأخراتها إذ كان المطلوب منها مائة وعشرين ألف دينار كيكيا، على أن يكون له عشرون ألف دينار خاصة، والباقي مائة ألف دينار يورده إلى الخزانة العامرة. ولكن عبد الرزاق بعد أن حصّل جميع الأموال بالذهب الأصفر صرفها كلها، الأصل والفرع في كرمان على الشراب ومعاشرة الغلمان والحسان. ثم توجه إلى سبزوار موطنه يبيع أمواله الموروثة كي يوفي منها أموال السلطان التي بددها. ولكن لمّا بلغه وهو في الطريق خبر وفاة السلطان أبي سعيد جمع حوله كثيراً من أوباش سبزوار ودهمائها ونصب أعواداً للشنق في باب سبزوار، وأعلن أن كل من كان متفقاً معنا في العمل والغاية، فعليه أن يعلق عمامته من أحد هذه الأعواد بدل رأسه الذي يعلق عليه فيما إذا خالف حتى يظهر إخلاصه للبلاد. واتفق أن علق سبعمائة شخص في ذلك اليوم عمائمهم على أعواد الشنق تلك مظهرين اتحادهم معه. ومن ثم سموا بسر بداران[١] ولقد قام هؤلاء الجماعة بزحف وهجوم عام في نفس ذلك اليوم على الخواجه علاء الدين محمد وزير خراسان الذي كان قد توقف في جمن دامغان، وألحقوا به هزيمة منكرة حتى اضطروه إلى الفرار إلى استرآباد، حيث طارده وجيه الدين أخو عبد الرزاق حتى لحقه في قرية واله باد من أعمال استرآباد، وقتله وأناله مرتبة الشهادة الكبرى. فمن ذلك اليوم سطع نجم السر بداريين.

---

[١] الذين رؤوسهم على أعواد المشانق.

سنة ١٣٣٧/٧٣٨-٣٨: أعلن الشيخ حسن بن تيمور تاش ابن الأمير چوبان وهو الذي اشتهر بالشيخ حسن كوچك، سلطنة ساتي بيك بنت السلطان محمد خدابنده وذكر اسمها في السكة والخطبة، وأظهر بذلك عزمه على حرب وقتال الشيخ حسن بزرگ الذي كان في ذاك الوقت قد غادر مسرعاً تبريز إلى سلطانية. ولما بلغه هذا النبأ بادر إلى السفر إلى قزوين، فاستولت ساتي بيك والشيخ حسن كوچك على سلطانية وآذربيجان، ثم توجها نحو قزوين، وحينذاك خرج الشيخ حسن بزرگ من قزوين. وقبل أن يلتقي الطرفان حدث ما يشبه الصلح بينهما، فعادت ساتي بيك والشيخ حسن كوچك إلى أرّان وآذربيجان، كما أن الأمير الشيخ حسن كوچك قد توجه إلى سلطانية.

سنة ١٣٣٨/٧٣٩-٣٩: خلع الشيخ حسن كوچك، ساتي بيك من منصب السلطنة، وأقام مكانها سليمان خان الذي كان من أولاد يشمت بن هولاكو خان وأكره ساتي بيك على الزواج به فتزوجها رغماً عنها.

سنة ١٣٣٩/٧٤٠-٤٠: في مطلعها اعتلى عرش السلطنة في بغداد، جهان تيمور بن اُلافرنك بن كيخاتوخان بفضل مساعي الشيخ حسن بزرگ، فحدث بينه وبين سليمان خان والشيخ حسن كوچك صدام في يوم الأربعاء من شهر ذي الحجة من السنة المذكورة في نواحي تقتوى ؟ من أعمال مراغه، فلحقته الهزيمة وانتصر الأمير الشيخ حسن كوچك انتصاراً باهراً، وعاد إلى تبريز ظافراً فعين من هنالك الأمير سيورغان بن چوبان، وأخاه الأمير أشرف بن تيمور تاش في منصب إمارة عراق العجم، وأرسل ابن عمه الأمير پير حسين بن الأمير الشيخ محمود بن الأمير چوبان إلى فارس ليتولى حكومتها. هذا ولما بلغ الأمير الشيخ حسن بزرگ بغداد منهزماً من تلك المعركة الساحقة لاحظ عدم لياقة جهان تيمور للمنصب السامي فعزله. هذا وللخواجه سلمان الساوجي الذي كان حينئذ من غلمان الشيخ حسن بزرگ قصيدة قالها معتذراً عن الهزيمة التي لحقت بسيده منها هذه الأبيا ت:[١]

---

[١] خسرو لشكر منصور اگر رجعت كرد — نيست بردا من جاه توازآن هيچ غبار
عقل داندكه درأدوار فلك بي رجعت — استقامت نپذيرند نجوم سيار
اين يقين است كه در عرصهٔ ملك شطرنج — برتراز شاه يكي نيست بتمكين ووقار
ديده باشي كه چورخ بر طرف شاه نهند — بيدقي بي هنركم خطر بيمقدار
وقت باشدكه نظر بر سبب مصلحتي — نزند شاهش ويكسو شوادز راهكذار
نه ازآن عزم پايهٔ بيدق را قدر — نه أزآن جزم بود منصب شاهيرا عار
آخراز دست برآرد اثر دولت شاه — زنهادش بسم اسب وي پيل دمار

سنة ٧٤١/١٣٤٠-٤١: في مطلعها ولد السلطان إيلدرم بايزيد الابن الصادق للسلطان مراد خان في بلدة مغنيسا. وفي ربيع هذه السنة حشد الشيخ حسن بزرگ كثيراً من جنود وفرسان الترك والعرب مرة أخرى، وقصد بهم آذربيجان حيث نهض لمقابلته في شهر ذي الحجة من تلك السنة سليمان خان مع الأمراء والقادة وذهب إلى أوجان لرد العدو. وكان الأمير ياغي باستي ابن الأمير چوبان، لأنه كان يوجس خيفة من الأمير كوچك في تلك الأيام، قد خرج على معسكر سليمان خان. وحدث أن مر في طريقه بسته آلاف رأس من الخيل كانوا قد تركوهم في سهند يسرحون، فساقها أمامه حتى وصل إلى موضع على مقربة من معسكر الشيخ حسن بزرگ فشاهد البغداديون مثار النقع معقوداً في السماء يحجب الأفق، فخيل إليهم أن العدو قد داهمهم فجأة. ولذا رجعوا إلى منازلهم من غير أن يخوضوا غمار الحرب.

وفي أول سنة ٧٤٢/١٣٤١-٤٢: ونهاية السنة الماضية وضع الأمير مبارز الدين محمد أساس سلطنته، وتوجه نحو كرمان زاحفاً حيث لم يستطع الصمود له واليها الملك ناصر الدين برهان (؟) فتخلى عنها وسافر إلى خراسان. وفي هذه السنة أيضاً كان زحف الشيخ حسن بزرگ، وهو في خدمة سليمان خان بجيش جرار إلى ولاية «ديار بكر» وأحدث دماراً عظيماً بها.

سنة ٧٤٣/١٣٤٢-٤٣: زحف الأمير وجيه الدين السر بداري، الذي كان قد تسنم العرش بعد مقتل أخيه، وذلك بالاتفاق مع أستاذه الشيخ حسن الجوزي إلى ولاية هراة بقصد تسخيرها وإخضاعها لأمره فحدث بينه وبين الملك معز الدين حسين كرت حرب، ولكن الهزيمة لحقته. وحدث أن جندياً من عسكر الأمير وجيه الدين طعن بالسيف جنب الشيخ حسن الجوزي، وأخرج رأسه من الطرف الآخر فنسب الناس مقتله على هذا المنوال إلى الأمير وجيه الدين. وفي هذه السنة زحف الملك الأشرف أخو الشيخ حسن كوچك بجيش جرار إلى شيراز غير أنه عاد إلى سلطانية دون أن يصل إلى شيء.

سنة ٧٤٤/١٣٤٣-٤٤: أخذ شأن دولة الأمير الشيخ أبي إسحاق بن الأمير شاه محمود اينجو يزداد رفعة لخلو الميدان من منافس قدير، فانتقل من درجة الإمارة إلى ذروة السلطنة. وكان مولد أباء وأجداد هذه الأسرة في فارس، وينتهي نسب هؤلاء الأمجاد إلى الخواجه عبد الله الأنصاري. هذا ولفظ اينجو في اصطلاح المغول يطلق على القائم على أموال السلطان «أي ناظر الخاصة». ففي عهد سلاطين المغول علا شأن الأمير الشيخ أبي إسحاق في

شيراز، ولقد قتل والده الأمير محمود في عهد آرپاخان وفي اليوم السابع والعشرين من ليلة رجب هذه السنة عمدت الملكة عزت زوجة الأمير الشيخ حسن كوچك إلى الاتفاق مع بعض النساء والجواري، فقضت بذلك الاتفاق على زوجها بشد خصيتيه خوفاً من أن يقف زوجها على ما كان من صلتها الخفية المريبة بيعقوب شاه. وإلى هذا الحادث يشيرالخواجه سليمان فيقول ما معناه:

من الاتفاق الحسن أن وقع في آخر رجب من سنة سبعمائة وأربع وأربعين من الهجرة النبوية، أن امرأة من الخيرات الحسان قد قبضت بذراعها القوي على خصيتي الشيخ حسن، قبضاً محكماً وضغطت عليهما حتى مات صاحبهما، فما أحسن المرأة وأمهرها التي تسلت خصي الرجال.[1]

سنة ٧٤٥/١٣٤٤-٤٥: أخضع الملك أشرف أخاه واستولى على بلاده. ثم اشتبك في قتال ضروس في سهل أغناباد مع كل من الأمير ياغي باستي والأمير سيورغان ولدى الأمير چوبان، فألحق بهما الهزيمة، وأعلن سلطنة من يدعى نوشيروان الذي كان قپجاقيه[2] وجعله خاناً، ولقبه نوشيروان العادل. وهكذا رفع علم السلطنة بالاستقلال في آذربيجان وأران.

سنة ٧٤٦/١٣٤٥-٤٦: ألقى الملك أشرف القبض على أخيه المدعو ملك مصر، وحبسه في قفص من حديد، وقتل كلاً من يحيى جاندار والخواجه علي والبهادر ايلتكيز في تبريز. كما أنه قبض على آرتق ولد الخواجه مجد الدين الرشيدي، وحبسه في قلعة بركله. وتوجه في الشتاء إلى قراباغ تاركاً مملوكه محمد الرومي الذي كان من مقدمي رجاله مع ألفي جندي شاكي السلاح في تبريز، ولكن محمد الرومي هذا شق عصا الطاعة عليه وبادر بإطلاق سراح كل من آرتق الرشيدي وعدة رجال آخرين كانوا معتقلين، وجهز جيشاً كبيراً توجه به نحو شيراز. ولما بلغ نبأ هذا الحادث السيئ مسامع الملك أشرف، عاد إلى تبريز بالرغم من أن الموسم كان لا يزال شتاء واضطر لإمضاء بقية الفصل بها.

سنة ٧٤٧/١٣٤٦-٤٧: وفيها ظهر وباء عظيم تفشى في تبريز علاوة على مظالم الملك أشرف التي كانت تقع على رؤوس الناس، فكانوا يتهافتون على

---

(١) زهجرت نبوي رفته هفتصد وچل وچار — در آخر رجب أفتاده اتفاق حسن
زني چكونه زنى خير خيرات حسان — بزور بازوي خود خصيتين شيخ حسن
كرفت محكم وميداشت تابمرد وبرفت — زهى خجسته زنى خايه دار مرد افكن

(٢) نسبة إلى صحراء قبجاق في تركستان.

مغادرة تبريز كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا. وفي هذه السنة قتل آقا محمد آيتمور الذي كان غلام الأمير وجيه الدين السريدار، وكان قد تولى حكم السريداريين بعد مقتل الأمير وجيه الدين. وكان مقتله على يد الخواجه علي شمس الدين السر بدار.

سنة ٧٤٨/١٣٤٧-٤٨: توجه الملك أشرف بجيشه الجرار بكل عظمة وجلال إلى ناحية دار السلام «بغداد» قاصداً الاستيلاء عليها، ولكن الأمير الشيخ حسن برزگ تحصن بالبلد، وقاومه مقاومة شديدة حتى دخل فصل الصيف واشتدت الحرارة ولما دام الحصار شهرين أدرك الملك أشرف أن لا قبل له بالاستمرار أكثر من هذا فعاد إلى تبريز، وسلم زمام الأمور فيها إلى يد الخواجه عبد الحي، وتفرغ هو لإنزال عقابه ومظالمه على الناس من الرعايا والفقراء في أقاليم: آذربيجان والعراق العجمي وأرّان ومغان «موقان» فكان يصادر أموال كل من يقع تحت يده من الناس.

سنة ٧٤٩/١٣٤٨-٤٩: ألقى الملك أشرف القبض على وزيره الخواجه عبد الحي وبعثه للمعتقل في قلعة ألموت. ولما بلغه أن محافظ القلعة قد احتفى بالوزير احتفاء كبيراً، وهو يبالغ في إكرامه كثيراً، بادر إلى إرسال مهتر بحري إلى ألموت حاملاً بشارة إعادة منصب الوزارة إلى الخواجه، وتكليفه نقل المشار إليه إلى تبريز ثم أعطاه أمراً بنقله إلى قلعة آلنجق وحبسه بها. وكان رأيه قد

استقر على إسناد منصب الوزارة إلى الخواجه مسعود الدامغاني الذي كان يجيد الإنشاء ويحسن الخط الجميل.

سنة ٧٥٠/١٣٤٩-٥٠: زحف الملك أشرف بجيش جرار قوامه خمسون ألف خيال إلى أصفهان بقصد الاستيلاء عليها، غير أن كلاً من الأمير نجيب الدين أخي الوزير الأمير زكريا، والخواجه عماد الدين محمود الكرماني، اللذين كانا حينئذ حاكمي البلدة من قبل الأمير الشيخ أبي إسحاق، بادرا إلى تحصين قلاع وبروج المدينة والتحصن بها ضد المغيرين، الأمر الذي أفضى إلى عجز الملك أشرف عن الاستيلاء على القلعة بعد محاصرتها خمسين يوماً، ثم الرضاء بالصلح والعودة إلى آذربيجان، وذلك على شروط خلاصتها بقاء الخطبة باسم «نوشيروان» في أصفهان. وتقديم ألفي دينار من الذهب الأحمر وما يساوي مائة ألف دينار من الأمتعة إلى الملك أشرف.

سنة ١٣٥٠/٧٥١-٥١: جرد الأمير الشيخ أبو إسحاق اينجو جيشاً للمرة الثانية على دار العبادة، يزد، فلحقته الهزيمة وقتل أمراؤه وقواده، وعاد إلى شيراز خائباً خاسراً. وفي هذه السنة أيضاً كان فتور همة الملك أشرف وعدوله عن مغامراته للاستيلاء على العالم، وقد عمد إلى الربع الرشيدي، فبنى فيه قلعة محكمة يتحصن بها عازماً على ألا يسافر بعد ذلك لجهة ما، وقد فقد ثقته بأمرائه وقواد جيشه وأعيان شعبه لما كان من جوره وسوء معاملته لهم كما أن هؤلاء لم يكونوا يثقون فيه. وفي ذلك الوقت عقد خطبته على بنت حاكم ماردين، واحتفل بزواجه بها وإحضارها إلى تبريز في حفل عظيم، وأقيمت معالم الزينة والأفراح في الربع الرشيدي، ولكنه بعد ليلة واحدة من زواجه، فارقها ولم يرها مرة ثانية.

سنة ١٣٥١/٧٥٢-٥٢: كان ميلاد الشيخ زاهد أخي السلطان أويس بن الشيخ

حسن بزرگ، وقال الشاعر الخواجه سلمان في تهنئته ما معناه:[١]

«قمر ولد في برج الشرف من شمس الجمال فزاده الله جلالاً أضفى على الدنيا الكمال، وهو باقة ورد أنبتها الله نباتاً حسناً حيث اقتبست منها جنات الأرض الجلال والجمال، ففي يوم الجمعة التاسع من شهر جمادى الآخرة وقد مضت على عهد النبي فترة سبعماية واثنتين وخمسين سنة جاء إلى صفحة الوجود الشاه السعيد الطالع الشيخ زاهد، فصار العالم كله في سعادة وهناء من أثر طالعه المجيد».

سنة ١٣٥٢/٧٥٣-٥٣: جرد الأمير الشيخ أبو إسحاق جيشاً عرمرماً من شيراز بقيادة ابن أخيه كيقباد على كرمان، ولكن الأمير مبارز الدين محمد وابنه شاه شجاع قطعا الطريق عليه، وحدث المصاف بين الطرفين في موضع يقال له پنج انگشت فلحقت الهزيمة بجيش شيراز، وقبض على عدة من قواده ولاذ أميرهم كيقباد بالفرار. وعاد الأمير مبارز الدين محمد ظافراً ومنصور إلى مقر ملكه.

---

[١] ماهي أزبرج شرف زاده' خورشيد جمال — زاده الله جلالا بجهان داده كمال
گلبن أنبتها الله نباتاً حسناً — برد مانيده سپهر ازچمن جاه وجلال
روز آدينه نه ازماه جمادى الآخر — رفته ازعهد نبي هفتصد وبنجاه و دوسال
شيخ زاهدشه فرخنده بي آمد بوجود — شد جهان ازاثر طالع او فرخ فال

سنة ٧٥٤/١٣٥٣-٥٤: في مطلعها حاصر الأمير مبارز الدين محمد، الشيخ أبا إسحاق في شيراز حيث انتابه وابنه شرف الدين مظفر مرض شديد وأصابهما داء عضال من جراء عفونة هواء شيراز أثناء الحصار، فمات الشاه شرف الدين مظفر ولكن أباه مبارز الدين محمد تماثل إلى الشفاء، ولم يكن يقصر أثناء مرضه في تشديد الحصار حتى سلمت المدينة، ونجا الأمير الشيخ أبو إسحاق بكل مشقة من تلك الشدة بنفسه، وهرب إلى شولستان لاجئاً في قلعة سفيد.

سنة ٧٥٥/١٣٥٤-٥٥: قصد الأمير مبارز الدين محمد أصفهان للاستيلاء على العراق «العجمي» فتم له ذلك بفضل جهود ابنه الشاه شجاع. وفي هذه السنة كان قدوم نائب المعتضد بالله العباسي، وكان يقيم في مصر ويدعي الاستقلال بالخلافة لنفسه إلى ولاية فارس، وطلب البيعة، فبايعه مبارز الدين ومعه علماء فارس وفضلاؤها. وهكذا عادت رؤوس المنابر ووجوه النقود والدنانير من جديد مزدانة باسماء الخلفاء الذين كانت قد اختفت أسماؤهم منذ سقوط بغداد، ومقتل الخليفة المعتصم.

سنة ٧٥٦/١٣٥٥-٥٦: أرسل الأمير مبارز الدين محمد نجله السعيد قطب الدين شاه محمود إلى جهة قلعة الشبانكارة لمنازلتها، فانهزم منه حاكمها الذي لم يكن في إمكانه الصمود والثبات، ولاذ بالفرار عن طريق وراء القلعة يفضي إلى الصحراء مباشرة، مما سهل لقطب الدين شاه محمود النزول في مقر ملك خصمه، وقد أخذ يرتب شؤون القلعة وينظم أمورها. ثم عاد بالعز والإجلال إلى دار ملكه شيراز المحمية ! وفي هذه السنة وضع جناب مولانا الأعظم قدوة جهابذة الأمم، ناقل غرر الفصاحة وناظم دور البلاغة، سعد الملة والدين مسعود التفتازاني مختصره للتلخيص، وقد كتبه باسم جاني بك خان الذي كان من نسل أوزبك خان بن طغرل ابن بوقيا بن قرالوتوي وكان ملك خجند. وهناك يطلق على أسرتهم اسم سلاطين كوك اوده إذ من القديم كانت الولايات التي تقع في الجهة اليمنى عائدة إليهم مثل أرس وكيقباد وپاحي وقران (؟).

في سنة ٧٥٧/١٣٥٦-٥٧: توجه قرال أنكروس، و «قرال» في اصطلاح الكفار بمعنى الملك، باتفاق مع أمراء لاز (؟) وطائفة السرف إلى قتال وحرب السلطان أورخان بالأنضول. ولما علم السلطان أورخان باتفاق الكفار وحلفهم ضده، ندب الوزير سليمان باشا للسفر إلى إقليم الروم ومقاتلة جيوش الكفار.

فقام سليمان باشا خير قيام للاستعداد للحرب والأهبة للسفر. وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ حسن برزك في بغداد، بعد أن حكم سبعة عشر عاماً، وقد خلفه ابنه السلطان أويس في مقام السلطنة حيث قال الخواجه في تهنئته شعراً:[1]

في سنة ١٣٥٧/٧٥٨-٥٨: قام سليمان باشا وزير السلطان أورخان، ومعه من الأمراء فاضل بك وأجه يعقوب، وجمع من الأبطال المدربين على القتال بحملة على موضع يقال له غابة كمر، واستولوا على قطيع البقر الذي كان للكفار فقتلوها كلها واتخذوا من جلودها عوّامات استقلوها واجتازوا بها البحر إلى إقليم الروملي حيث اقتتلوا هنالك مع الكفار، فانتزعوا منهم قلعة چمنى وقلعة إياسته أوركلك (؟) وقوكر حصارى وأجه إواس التي اشتهرت باسم أجه يعقوب وقلعة ...... وفي هذه السنة أيضاً وقع الأمير الشيخ أبو إسحاق أسيراً في أيدي جيش جند الأمير مبارز الدين محمد، وقتل في ميدان سعادت بشيراز، وكان من آثاره ومنشآته. ويقال أنه نظم ـ وقد أحيط به قبل مقتله ـ هذه الرباعية من الشعر الفارسي:[2]

«أسفي على عمر لم يبق لطائره حب، كما لم يبق لي أمل في القريب ولا الغريب ويحي وحسرتي على عمري الذي أصبح لم يبق مما قلناه فيه إلا الأسطورة». وفي هذه السنة زحف جاني بك خان، الذي كان قد سمع كثيراً من مظالم الملك أشرف على لسان القاضي محيي الدين البردعي، إلى آذربيجان عن طريق دربند شيروان بقصد الاستيلاء عليها. ولما وصل نبأ هذا الزحف إلى مسامع الملك أشرف، الذي كان منذ سنوات مقيماً بالربع الرشيدي ومعتكفاً به، بادر إلى الخروج منه والنزول في شنب غازان، وقد حمّل أربعمائة قطار من البغال، وألف قطار من الجمال من الذهب والجواهر وأنواع النفائس، وأرسلها كلها مع جنود كثيرة إلى جانب أوجان. فلما اقترب جاني بك خان اضطرب

---

[1] مبشران سعادت برين بلندر واق — همي كندندابر ممالك آفاق
كه سال هفتصد وبنجاه وهفت ماه رجب — باتفاق خلايق بيارئ خلاق
نشت خسرو روى زمين باستحقاق — فراز تخت سلاطين بدار ملك عراق
خدايكان سلاطين عهد شيخ أويس — بناه وپشت ملوك جهان على الاطلاق
شهنشي كه براي نثار مقدم ادست — پراز جواهر انجم سپهرارا اطباق

[2] أفسوس كه مرغ عمررا دانه نماند — أميد بهيج خويش وبيگانه نماند
دردا ودريغا كه درين مدت عمر — ازهرچه بكفتيم جز أفسانه نماند

وأمر الخواجه لؤلؤ بأن يسبقه مع الحريم والخزائن وينتظره في عقبة مرند على رأس نبع الخواجه رشيد، فإذا انتهى الأمر في صالحه يرجعون هم إلى تبريز، وأما إذا حدث العكس فيواصلون سيرهم إلى مرند. ثم بادر هو إلى الزحف ناحية أوجان، ووقف على ربوة في الطريق العام منتظراً قدوم خصمه. فإذا بجاني بك خان يظهر فجأة من طريق سراب، وأمر جيشه فوراً بإحاطة خصمه إحاطة السوار بالمعصم. غير أن الملك أشرف لما رأى هذه الحالة المؤلمة عاد حالاً إلى شنب غازان، وبات ليلته هنالك ثم سار في عقب قافلة الحريم والخزائن التي كانت قد سبقته. فتشتت الجمع الذي كان معه من الجنود وتركوا خدمته إلى مملوكين كرجيين قائمين بحراسة الأغرق[1] بمرند.

ولما علم الشعب هنالك بانهزام هذا السلطان الخائن ثار ضده، وهجم على الخزائن والأموال، فاضطربت السيدات وتشتتن. وتوجه الملك أشرف وحيداً إلى جانب خوى ونزل في منزل الشيخ محمد بالقجي في أطراف الصحراء. فقام الشيخ بخدمة السلطان حق القيام، وبادر فوراً ببعث رسول إلى معسكر جاني بك خان يعلمه بذلك، فأمر هذا بذهاب الأمير بياض لكي يحضر الملك أشرف إلى بلاط جاني بك خان. ولما حضر الأمير بياض بالملك أشرف إلى تبريز كان الأهالي يهيلون التراب من فوق الأسطح على رأس ذلك السلطان المنحوس، ولما وقع نظر جاني بك عليه وهو في هذه الحالة خاطبه قائلاً: لماذا أخربت هذا البلد؟ فأجاب أن الأتباع والحاشية هم الذين خربوا البلد بغير رضا مني. ثم غادر جاني بك خان أوجان إلى هشت رود حيث أمر بقتل الملك أشرف، فقُتل وأخذَت رأسه إلى تبريز، وعلقت على باب مسجد المراغيين بها. ثم توجه جاني بك خان إلى تبريز ونزل في دار الدولة وصرف شؤونها أياماً عاد بعدها إلى أوركنج تاركاً حكومة تبريز لنجله بردي بك.

وبعد أيام بلغت الأنباء بردي بك بمرض والده، فنهض توّاً إلى ولاية أوركنج واستولى الوزير آخي جوق على ولاية آذربيجان نيابة عنه.

سنة ٧٥٩/١٣٥٨-٥٩: في ربيع هذه السنة توجه السلطان أويس إلى تبريز بقصد الاستيلاء على آذربيجان، فألحق الهزيمة بآحي جوق، وكان قائماً بمحافظة البلاد نيابة عن جاني بك خان وولده، واستقر أويس في تبريز وحل محله في حكمها.

---

[1] أثقال الحرب وأدوات السلطان.

وفي هذه السنة نفسها كان زحف الأمير مبارز الدين محمد من شيراز بقصد الاستيلاء على آذربيجان وتبريز وطرد آخي جوق، وكان هذا قد فر من السلطان أويس ولجأ إلى نخجوان، ورفع فيها راية الاستبداد والظلم عالية. جاء آخي جوق هذا وتقدم حتى بلدة ميانه وقابل المغير الزاحف في ذلك الموضع، وتلاقى الجمعان والتحم الجيشان فأسفر القتال عن هزيمة آخي جوق، وظفر الأمير مبارز الدين محمد الذي توجه إلى تبريز فقابله الأكابر والأعيان وسائر طبقات الأمة بالحفاوة والإكرام. كما أنه قام بما ينبغي في مثل هذه الأحوال من إغداق النعم والهدايا على المستحقين والمستقبلين. وفي يوم الجمعة صعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة دعا في آخرها إلى الخليفة العباسي، ثم أمّ الناس للصلاة وقد استمال قلوب المسلمين أجمعين. وجاءت الأنباء بعد بضعة أيام بأن السلطان أويس توجه من بغداد إلى تبريز يقصد قتال المبارزين. ولكن المبارز محمد عاد إلى شيراز بمجرد سماع هذا الخبر.

سنة ١٣٥٩/٧٦٠-٦٠: فيها قبض شاه شجاع على والده المبارزي نظراً لما كان عليه من سوء الخلق وشديد المعاملة مع قواده وأولاده، وسمل عينيه ثم زجه في السجن في قلعة من قلاع فارس، وجلس مكانه في عرش السلطنة. وقال أحد فضلاء العصر عن هذه الحادثة:[١]

«كم قطعت عظمة سلطانه الأميال والمسافات وكم ساق الجيوش من الهند إلى النيل، ولما امتلأت كأس دولته وطفحت ذهب نور عينيه».

سنة ٧٦١/١٣٦٠-٦١: فيها ودع السلطان أورخان حياة هذه الدار الفانية إلى دار الآخرة والبقاء، فتسنم العرش بعده في بورسا ولده الصادق السلطان مراد خان وكان نعم الخلف لخير السلف. وقد بلغت أيام حكم المغفور له في السلطنة خمساً وثلاثين سنة وبلغ من العمر ثلاثاً وثمانين سنة. وهو مدفون في مدينة بورسا. وكان له ثلاثة أولاد ذكور هم: السلطان مراد وسليمان باشا وسلطان قاسم الذي مات في حياة والده.

وفي هذه السنة كان اجتياز السلطان مراد خان غاليبولي «كليبولي» إلى طورينس (؟) حيث استولى على قلعة جورلي. وحدثت حرب ضروس على قلعة... أدت إلى تخريبها، ثم استولى على قلعة برغوز الواقعة على شاطئ نهر مريج.

---

[١] يكچند شكوه حشمتش ميل كشيد　　يكچند سبه زهند تانيل كشيد
پيمانهٔ دولتش جوشد مالامال　　هم روشي چشم خودش ميل كشيد

سنة ٧٦٢/١٣٦١-٦٢: أرسل السلطان مراد خان أورنوس بيك إلى ولاية أبصاله للاستيلاء عليها، فقام بالمهمة خير قيام حيث أخذها عنوة وجلب منها غنائم وأسرى كثيرة.

سنة ٧٦٣/١٣٦٢-٦٣: ندب السلطان مراد خان، لَلَه شاهين لتسخير ولاية أدرنه فقابله كفار التكور، ووقعت معارك حامية بين الفريقين أسفرت آخر الأمر عن هزيمة الكفار وفرارهم إلى قلعة أدرنه، وفي هذه الأثناء جاء السلطان لينجد جيش لَلَه شاهين فتوجها معاً لمحاصرة أدرنه، وقد ضيقا نطاق الحصار عليها تضييقاً شديداً ولكن قائد التكور لجأ إلى سفينة صندل في نهر مريج الذي كان قد فاض حينئذ وطغى فساعد ذلك على فرار القائد والنجاة برأسه. وهكذا سقطت مدينة أدرنه، وهي من أهم بلاد الروم وأعظمها في أيدي آل عثمان. ثم توجه لَلَه شاهين إلى جانب زغره وفتح قلعتي أبصاله ومالغره.

سنة ٧٦٤/١٣٦٣-٦٤: شرع السلطان مراد خان الغازي في بناء مسجد عال في دار السلطنة بورسا وأتم إنشاءه.

سنة ٧٦٥/١٣٦٤-٦٥: أراد السلطان أويس الاستيلاء على ولاية شيروان وإذا به يفاجأ بخبر عصيان الخواجه مرجان الذي كان نائبه بدار السلام «بغداد». فرأى السلطان أن دفع هذا العاصي أولى مما اعتزم عليه وأخذ يستعد له؛ فعطف عنان عزيمته إلى ناحية بغداد. ولما كان الموسم موسم طغيان النهر فقد عمد الخواجه مرجان إلى فتح بندقورج من سدود النهر، فأغرقت المياه أطراف بغداد على مسافة أربعة فراسخ، مما جعل السير والحركة مستحيلين. ولكن بعض جنود السلطان تقدموا إلى النعمانية بالسفن، وأراد الخواجه مرجان، في بادئ الأمر، مناضلة جيوش السلطان ومقاومته. ولكن حينما وقع نظره على خيمة السلطان التي كانت قد وصلت عقب الطليعة، استولى عليه الذعر والخوف وعلم أن لاقبل له بمقاومة السلطان ومنازلة جيوشه، فلاذ بالفرار وقطع الجسر بعد أن دخل المدينة وتحصن بقلعتها، ثم أرسل إلى السلطان يعتذر إليه عما بدر منه فشمله هذا بعفوه ومغفرته وتركه لشأنه. وفي هذه السنة تمكن مبارز الدين محمد، الذي كان قد سملت عيناه وزج في السجن في قلعة سفيد على أيدي أولاده كما تقدم خبر ذلك، من الاتفاق مع جمع من رجال القلعة المذكورة فألقى القبض على محافظها وأعلن بذلك العصيان والثورة. ولما كان الشاه شجاع قد ندم على ما فرط منه نحو

والده، فقد بادر هذه المرة إلى اللطف والسياسة فأخرجه من القلعة وأعاده إلى منصب السلطنة. ولكن بعض المفسدين قد عمد إلى إثارة الفتنة ودس الدسائس مرة أخرى فاتفقوا هذه المرة مع والده على الفتك به. ولما علم الشاه شجاع بجلية الأمر وما يدبر ضده من الأعمال الشريرة اضطر إلى القبض على والده مرة أخرى وإبعاده إلى قلعة من قلاع كرمسيرات شيراز. فلبث هنالك أربع سنوات انتابته أمراض شديدة خلال ذلك، ثم نقلوه إلى قلعة بم لتغيير الهواء والاستشفاء فتوفي بها إلى رحمة الله.

سنة ٧٦٦/١٣٦٥-٦٦: فيها زحف السلطان أويس إلى الموصل فغادرها بيرام خواجه التركماني ولاذ بالفرار. ويشير الخواجه سلمان الساوجي إلى هذا الحادث فيقول:[١] معناه «وصل الساعي وأتى بأخبار فتح الموصل فليكن هذا النبأ مباركاً على الملك العادل» هذا وقد طارد السلطان أويس خصمه بيرام خواجه، الذي كان قد توجه بعشائره وقبائله نحو سهل موش فأدركه في ذلك السهل الفسيح وانقض عليه كالصاعقة، وأطلق يد السلب والنهب في أموال عشائره وقبائله. وإلى هذا يشير الخواجه سلمان الساوجي بقوله:[٢]

«إن خصمك ثعبان يسرح في صحراء موش. وإن نمل حسامك ليستولي على كثير من الثعابين مثل هذا».

وفي هذه السنة كان السلطان مراد خان أخذ الخمس من الغنائم «كسيب» وذلك حسب أمر قره رستم القرماني كما أنه بموجب فتوى خليل باشا المشهور بجندرلو ألحق الغلمان الذين كانوا يؤخذون ضمن تلك الغنائم، بخدمة السلطان الخاصة وألبسوا قلنسوات بيضاء من اللباد. وسموا الإنكشارية «ينكيچري»، فنشأت طائفة الإنكشارية ابتداء من ذلك اليوم. وفي هذه السنة عبر السلطان مراد خان، والي الروم، البحر من نقطة يقال لها گليبولي إلى جانب الأناضول واستولى على قلعة بيغا، فما كان من جيش السرف إلا أن اتفق وأغار على المسلمين. ولكن «لَلَه شاهين» باغتهم بالهجوم ليلاً في محل يقال له چرمن، فأوقع بهؤلاء الكفار وفتك بهم فتكاً ذريعاً حيث أخذ منهم أسرى عديدين وغنائم كثيرة.

---

[١] قاصد رسيدو آورد أخبار فتح موصل بادا اين خبر مبارك برپادشاه عادل

[٢] خصم توماريست كوجست بصحراي موش مور حسامت چنين مارفراوان كرفت

سنة ١٣٦٦/٧٦٧-٦٧: فتح السلطان مراد خان قلاع: كوتاهيه، سيما، أكري يوز، طوشانلو. وفي هذه السنة (؟) توفي إلى رحمة الله السلطان خليل بن الشيخ ابراهيم والي شيروان.

هذا ونسب حكام شيروان يرتقي على هذا الترتيب إلى نوشيروان العادل. السلطان خليل بن الشيخ إبراهيم بن سلطان محمد بن كيقباد بن فرخزاد بن فرامرز بن گشتاسب «ومن آثار هذا السلطان ناحيه گشتاسپي بشيروان»، ابن فرخزاد بن منوچهر، الملقب بخاقان «وإليه انتسب الشاعر الشهير بخاقاني»، ابن كسران بن كلوسي بن شهريار بن كرشاسف بن أفريدون بن فرامرز بن سالار بن يزيد بن جون بن مرزبان بن هرمز بن نوشيروان.

سنة ١٣٦٧/٧٦٨-٦٨: لما علم الشاه شجاع أن أهل تبريز سوف يساعدون أخاه الشاه محمود ضد أهل شيراز، قرر أن الأولى العمل على تفريق أهل تبريز قبل أن تصل نجدتهم إلى الشاه محمود. فلذا بادر بمغادرة شيراز والتوجه نحو أصفهان. وقد قابله الشاه محمود في بادئ الأمر خارج المدينة، ونشب القتال بين الطرفين، وأخيراً لجأ إلى المدينة وتحصن بها فما كان من الشاه شجاع إلا أن نزل ظاهر المدينة وأخذ يضيق الحصار عليها حتى ضاق الحال بأهلها، فاضطر السادة والأئمة والأعيان إلى الخروج منها واستقر رأيهم على أن يأتي الشاه محمود إلى أخيه معتذراً فيعقد الصلح ويحل الصفاء والوئام محل النزاع والخصام. فلما عاد السادة والأئمة إلى المدينة وعرضوا ما استقر عليه رأيهم على الشاه محمود قبل الاقتراح، وخرج في خمسين فارساً من المدينة وتقدم إلى أخيه معتذراً ومقبلاً يديه. فتم الصلح بين الأخوين وأقيمت احتفالات عظيمة وزعت أثناءها هدايا ملكية سامية، وعاد الشاه شجاع إلى شيراز مقضى المرام.

سنة ١٣٦٨/٧٦٩-٦٩: توفي إلى رحمة الله الأمير قاسم أخو السلطان أويس، فنقل نعشه إلى النجف ودفن بجوار المشهد المنور والمرقد المطهر لحضرة أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه وراء تربة والده الأمير الشيخ حسن. وقال الخواجه سلمان الساوجي في رثائه شعراً.

وفي هذه السنة انتقل إلى دار الفناء بيرام بك الذي كان أثير السلطان أويس بسبب إفراطه في الشراب، فأقام له السلطان عزاء لم يسبق له مثيل. فلبس قباء أسود على جسمه الأبيض، ولبس الأمراء والخواتين السواد مما

يلبس الدراويش وقد تدلت الثياب من رقابهم، وقاموا بفضائح كثيرة مما لم يسبق له مثيل وإلى ذلك أشار الخواجه سلمان في رثائه شعراً.

سنة ٧٧٠/١٣٦٩-٧٠: فيها أراد الشاه شجاع أن يصاهر أسرة السلطان أويس فيتزوج من إحدى بناتها ليؤدي ذلك إلى انقطاع أسباب الخلاف والفتنة وزوال ما يحمل السلطان أويس على مساعدة أخيه الشاه محمود بين آن وآخر، فوقع اختياره من رجاله على الأمير اختيار الدين حسن قورجي، وبعث به إلى ناحية آذربيجان متجهزاً بكل ما يلزم للقيام بمثل هذه المهمة الدقيقة. ولما وصل نبأ هذا الأمر الجلل إلى مسامع الشاه محمود بادر بتكليف وزيره الخواجه تاج الدين، وكان هذا واسع الحيلة كثير المكر والدهاء، بالذهاب إلى بلاط السلطان والعمل على طلب يد بنت السلطان إليه مهما كانت الظروف. فاجتمع الرسولان الخاطبان للأخوين في بلاط السلطان في آن واحد وحدث بينهما نقاش كثير في حضرة السلطان. ونظراً لعدم اصطناع الشاه شجاع في كتابه إلى السلطان التواضع والمجاملة وإهماله ما يلزم من استعمال الكلمات التي جرى بها الرسم، على خلاف الشاه محمود الذي كان قد عبر عن كمال عجزه وانكساره وخضوعه التام للسلطان قائلاً: «العبد وما في يده كان لمولاه»[١]، فقد أجاب السلطان طلب رسول الشاه محمود والتماسه وقبل زواج بنته من سيده. وهكذا ظفر الخواجه تاج الدين ببغيته، واصطحب حضرة صاحبة العصمة كريمة السلطان في تجمل زائد وحفاوة بالغة إلى أصفهان حيث يقول الخواجه سلمان في هذا الصدد[٢]:

احتفلت السموات في الآفاق بعرس ما أعظمه ! فإن أنحاء المعمورة ازدهرت بفضل ذلك العرس الذي ينم عن اجتماع القمر المنير بالشمس واتصال وتقرب بين الملاك والحور..

سنة ٧٧١/١٣٧٠-٧١: الموافقة لسنة إبت ييل «السنة التركية المغولية» تسنم عرش السلطنة الأمير تيمور كوركان في بلدة كش الشهيرة الآن بمدينة سبز. وينتهي نسبه العالي إلى جنكيزخان على هذا النسق. الأمير تيمور بن أميرطرغاي بن الأمير بركل ابن الأمير ايلتكيز بن الأمير إيجل (؟) بن قراجار نويان الذي كان في زمن جنكيزخان أمير الأمراء وجملة الملك چغتاي خان بن

---

[١] كذا في الأصل، والمأثور: العبد وما ملكت يداه لسيده.

[٢] آسمان ساخت در آفاق يكى سورچه سور أكر أزآن سورشد أطراف ممالك معمور
اجتماعيست منور قمرى را باشمس اتصاليست مقرب ملكي راباحور

جنكيزخان. وهو ولد سيورغان (؟) بن إيردمجي الملقب ببرلاس وتنتسب إليه عشيرة برلاس. وهو ولد قاجولي بهادر الذي هو الأخ الأكبر لقبل خان بن تومنه خان الذي يتصل أخوه وجنكيزخان بالبعض في ثلاثة بطون. هذا وإطلاق لفظ كوركان على تيمور آت وناشئ من مصاهرته (داماد) للأمير حسين.. وميلاد تيمور كان في كش في اليوم السابع والعشرين من شعبان سنة ست وثلاثين وسبعماية (١٣٣٥-٣٦) وبلغت مدة حكمه ستاً وثلاثين سنة.

وقد حط رحاله في أكثر بقاع العالم في خلال حكمه الذي دام ستة وثلاثين عاماً. وخضعت له بلاد ما وراء النهر وتركستان وخوارزم وبدخشان والهند وخراسان وسيستان وكيج ومكران والعراقين وفارس وآذربيجان ومازندران وگيلان وشيروان وأرّان وكردستان وكرجستان وديار بكر والروم والشام.. وكان له أربعة أولاد ذكور هم (١) ميرزاجهانكير، توفي في حياة والده (٢) ميرزا عمر الشيخ، كان والي إقليم فارس وقتل في عهد أبيه حينما كان محاصراً لقلعة خرماتو على يد رجل كردي أصابه بسهم في مقتله. (٣) ميرزا ميرا نشاه، كان حاكم ولايات: آذربيجان والعراقين وديار بكر حتى حدود الروم والشام، وقد لقى مصرعه في تبريز بعد وفاة والده، على أيدي جنود قرا يوسف. (٤) ميرزا شاهرخ كان في عهد والده والي خراسان ثم صار ملك إيران وتوران بعد وفاة أبيه.

سنة ١٣٧١/٧٧٢-٧٢: قام الأمير ولي حاكم مازندران وهو من سلائل جوجي فشار (؟) أخي جنكيزخان، بحشد جيش كبير زحف به إلى الري. فتوجه السلطان أويس من آذربيجان لمقاتلته ولكن طلائع السلطان أويس اشتبكت معه في القتال بالري، فلحقتها الهزيمة ولما بلغ السلطان الميدان بحشوده الكبيرة من الجنود في الوقت المناسب لم يبق مجال للأمير ولي للمقاومة فلاذ بالفرار وقتل من جنوده خلق كثيرون وأسر آخرون، وأخذ السلطان يطارده حتى سمنان حيث أشار عليه الأمراء والقواد بالعودة ففعل.

سنة ١٣٧٢/٧٧٣-٧٣: جرد السلطان أويس جيشاً جراراً وزحف به من تبريز إلى أوجان بقصد ضرب الأمير ولي، والاستيلاء على بلاده. فحدث أن أخاه السلطان الأمير زاهد - وقد حان أجله الذي لا يتأخر ولا يتقدم - ذهب ثملاً إلى قصر أوجان وصعد إلى سطحه فسقط منه ومات فوراً. فأثر هذا الحادث في نفس السلطان وعدل عما كان قد عزم عليه وعاد إلى تبريز. وفي

أثناء هذه الأحوال كتب الشاه شجاع خطاباً إلى الأمير ولي يحرضه على الانتفاض على السلطان.

سنة ١٣٧٢/٧٧٤-٧٣: وفيها جاء الأمير ولي بجيش جرار من مازندران إلى بلاد الري، ومنها توجه إلى ساوه فأرسل إليه واليها مباركشاه ومعه سائر الأعيان وجمع من الناس من سائر الطبقات يقول: لماذا تجشمتم مشاق الحضور إلى هنا فإن هذه المدينة ملك السلطان أويس صاحب الجيش الكبير الجرار، فخير للأمير ولي أن يتجاوز عنا هذا الشتاء وأن يريح جيشه أيضاً من تكبد المشقة. فأجاب الأمير ولي بقوله: إني أطلب منكم أموال عدة سنين فليخرج زعماؤكم حتى نحاسبهم عليها ثم نعود من حيث أتينا. ولكن أهل ساوه لم يقبلوا هذا العرض واستعدوا للحرب والقتال، واضطر الأمير ولي لمقاتلتهم بشدة فاستولى على بلدهم عنوة خلال أسبوعين. وقد اختفى واليها مباركشاه في بادئ الأمر، ثم ظهر للعيان وتقدم لخدمة الأمير ولي وأخلص له حتى زوجه ابنته ثم عاد الأمير ولي إلى مازندران باليمن والإقبال.

سنة ١٣٧٣/٧٧٥-٧٤: وفيها خطب الأمير تيمور بنت آق صوفي حاكم قنقرات لابنه الكبير ميرزاجهانكير وأحضرها إلى سمرقند. وفي هذه السنة طغى نهر دجلة طغياناً عظيماً وهدم جميع بنايات وقصور بغداد ما عدا بعض عمارات عالية سلمت من الخراب والغرق، وقد مات خلق كثير زهاء أربعين ألف شخص. وأشار مولانا ناصر البخاري إلى هذا الحادث بهذا البيت الفارسي.[1]

«كان لدجلة هذه السنة سير عجيب كسير السكارى فالأقدام في السلاسل والزبد على الشفاه كأنه قد جن جنونه».

سنة ١٣٧٤/٧٧٦-٧٥: خرج السلطان أويس إلى عمارة الرشيدي لقتال الأمير ولي. وهنالك انتابه مرض شديد فهرع أركان الدولة برفقة القاضي الشيخ علي والخواجه الشيخ كحجاني إلى مقر السلطان وجلسوا بجانب فراشه يطلبون إليه أن يوصي بالملك؛ فقال السلطان إن السلطنة لحسين وحكومة بغداد للشيخ حسن. وقال الحاضرون إن حسن هو الأخ الأكبر فلا يتحمل هذا. فرد عليهم السلطان بقوله أنتم تعرفون ما ينبغي. وحمل هذا القول من السلطان على أنه إجازة لهم بالتصرف فبادروا إلى وضع الشيخ حسن في الحديد ثم أذاقوه كأس الشهادة في ليلة الأحد الثاني من شهر جمادى الأولى

---

[1] دجلة إمسال رفتارى عجب مستانه بود   پاي در زنجير وكف بر مگر ديوانه بود

من تلك السنة التي توفي فيها السلطان. ويقول الخواجه سلمان في رثائه السلطان:[١]

«أيها الفلك تمهل في مشيك لقد أتيت أمراً إداً، لأنك أخربت بلاد إيران بموت الشاه ! لقد أنزلت السموات من أوجها على الأرض وجعلتها مساوية للتراب».

فبعد وفاة السلطان تولى السلطنة في تبريز ولده السلطان حسين وهنأه الخواجه سلمان تهنئته بالجلوس على العرش شعراً.

هذا وكانت وفاة الشاه محمود بن الأمير مبارز الدين محمد في هذه السنة فلما وصل نبأ ذلك إلى مسامع الشاه شجاع أنشد هذه الرباعية:[٢]

«كان أخي محمود الملك وأسد الكمين ينازعني خاتم الملك فجعلناه حصتين حتى يستريح الخلق، فهو أخذ بطن الأرض وأنا وجهها».

ثم بادر إلى السفر إلى أصفهان واستولى على بلاد العراق كلها.

سنة ٧٧٧/١٣٧٥-٧٦: توجه الشاه شجاع إلى آذربيجان بقصد مقاتلة السلطان حسين بن الملك أويس. وحدث أن تلاقى الطرفان في أطراف همذان ودار بينهما قتال مرير أسفر عن انكسار السلطان حسين فلاذ بالفرار، فتوجه الشاه شجاع إلى تبريز منصوراً حيث قابله أعيانها وزعماؤها وغيرهم من سادات وقضاة وموالي وأهالي آذربيجان بالحفاوة البالغة والتكريم، فشرفوا بموكبه السلطاني السامي وبتقبيل أنامله الكريمة. وهكذا تم له الجلوس بجدارة واستحقاق على عرش تبريز فأنشد الخواجه سلمان في هذا قصيدة غراء.

وكان الشاه شجاع قد سمع بحسن صوت حافظ يوسفشاه فأحضره إلى مجلسه السامي وأمره بالغناء قائلاً: إني كنت قد سمعت أصوات ثلاثة من مشاهير المغنين في تبريز فكان لكل منهما تأثير خاص فيّ وهي ثلاثة أنواع: صوت سلمان زائد ويوسفشاه مساو والشيخ محمد كحجاني متناقضٌ. ويقال

---

[١] أي فلك آهسته روكارى نه آسان كردهٔ ملك إيران‌را بمرك شاه ويران كردهٔ
آسماني‌را فرود آوردهٔ ازأوج خويش برزمين افنكندهٔ باخاك يكسان كردهٔ

[٢] محمود برادرم شه شيركمين ميكرد نزاع بامن ازبهرنگين
كرديم دوحصه تابر آسايد خلق اوزيرزمين گرفت ومن رويي زمين

أيضاً إن الشاه شجاع لم يقدر الخواجه سلمان بسبب قصيدته التي قالها بل إنه أعجب به لقصيدة أخرى.

وبعد أن أمضى الشاه شجاع أربعة شهور في تبريز في سعادة وهناء وطرب وصفاء جاءه الخبر بأن ابنه الشاه يحيى في شيراز قد رفع علم الثورة عالياً. فبادر بالتوجه نحو شيراز. وفي هذه السنة نهض الأمير تيمور نحو خوارزم للاستيلاء عليها غير أن عدم الاتفاق بين الأمراء والقواد غيّر فكرة الهجوم العام إلى هجمات متفرقة كالعصابات وقطاع الطرق فلذا لم يتم الاستيلاء عليها إلا في المرة الرابعة.

وفي هذه الأثناء جاء توقتمش خان لبلاط الأمير تيمور، فقوبل بالحفاوة والتكريم السامي ثم أرسل إلى سقناق.

سنة ٧٧٨/١٣٧٦-٧٧: جاء للمرة الثانية إلى البلاط التيموري توقتمش خان فقوبل بما يليق به من الإكرام والحفاوة، وأوفد معه جيشاً يرافقه إلى سقناق ليعينه على الاستيلاء على السلطنة بها.

وفي هذه السنة أيضاً بعث الأمير تيمور رسولاً إلى الأمير غياث الدين بهراة لتوثيق أواصر الصداقة والمودة.

سنة ٧٧٩/١٣٧٧-٧٨: ولد الميرز شاهرخ بن الأمير تيمور. وأمضى الأمير تيمور الشتاء في زنجير سرى. وعلى قول صاحب مطلع السعدين توفي ابنه الكبير الميرزا جهانگير في هذه السنة.

سنة ٧٨٠/١٣٧٨-٧٩: اختار الأمير تيمور القيام للمرة الرابعة بالزحف على خوارزم، ودام حصاره لقلعة تلك البلاد ثلاثة شهور وستة عشر يوماً عاد بعده عنها من غير فتح. وقد توفي يوسف صوفي في تلك الأيام.

سنة ٧٨١/١٣٧٩-٨٠: استولى الأمير تيمور على قلعة خوارزم وعمر مدينة كش التي كان بها مولده. وفي هذه السنة توجه الشاه شجاع من فارس إلى السلطانية وقصد ساروعادل أحد أمراء السلطان حسين، وكان قد رفع راية العصيان والتمرد بها عالية، فكسره شر كسرة، حتى ألجأه إلى الاعتصام بقلعة السلطانية. وأخيراً اضطر إلى التسليم وتقديم الطاعة إلى الشاه شجاع، فشمله بعفوه وعطفه ثم عاد إلى فارس منصوراً.

سنة ١٣٨٠/٧٨٢-٨١: قام الأمير تيمور بالزحف على خراسان، فوصل في غرة ذي الحجة من هذه السنة قصبة كوسويه، فقابله حاكمها مهدي بالتجلة والإكرام فشمله الأمير بالعطف. ثم واصل سيره إلى قرية تاياباد، التي هي مسكن مولانا الأعظم زين الدين أبي بكر فتشرف بصحبة مولانا واستمد من فيضه المبارك وعطف عنان عزيمته بعد ذلك إلى جهة قصبة قوشنج، الواقعة على مسافة ستة فراسخ غربي هراة، فاستولى على قلعتها ليلة الجمعة منتصف الشهر المذكور، ثم توجه نحو بلدة هرى.

سنة ١٣٨١/٧٨٣-٨٢: فتح الأمير تيمور البلدة الفاخرة هراة. وفي هذه السنة استولى السلطان مراد خان والي الروم على أغاج حصارى القريبة من دلكوقبا وهي قلعة مشهورة باسم حق يغدي.

سنة ١٣٨٢/٧٨٤-٨٣: في أولها فتح السلطان مراد خان قلعة سيروز. وفي هذه السنة أيضاً خرج السلطان أحمد بن السلطان أويس، الذي كان قد أقطعت له أردبيل، على أخيه السلطان حسين وقتله في تبريز وحل محله في السلطنة.

سنة ١٣٨٣/٧٨٥-٨٤: زحف الأمير تيمور إلى سبستان واستولى على بلادها مع الملحقات ثم عاد إلى سمرقند. وفي هذه السنة كان نصّب «ساروعادل» السلطان بايزيد بن السلطان أويس سلطاناً في سلطانية العراق وأرسله مندوباً إلى شيراز يطلب من الشاه شجاع المدد والعون، فخف الشاه شجاع إلى سلطانية فأتم المهمة هنالك، ثم توجه نحو دزفول وشوشتر. وقد سمل عيني نجله سلطان شبلي.

سنة ١٣٨٤/٧٨٦-٨٥: قام الأمير تيمور بالحملة على جرجان واسترآباد فأخرج منها الأمير ولي حاكمها، ثم عزم على المسير منها إلى ري العراق حيث أمضى الشتاء. وفي ليلة الأحد اثنين وعشرين من شعبان هذه السنة ارتحل الشاه شجاع من دار الجفاء والشقاء هذه إلى جنة الراحة وبستان الصفاء. وهو بحق خلاصة رجال آل مظفر وزبدة أعضاء هذه الأسرة المالكة. وكان متحلياً بحسن الخلق وحدة الذكاء ووفرة الفضل والأدب والعقل. عاش ثلاثاً وخمسين سنة وشهرين وحكم خمساً وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً. وقد خلفه نجلاه: الشاه يحيى في أصفهان والسلطان أحمد في كرمان. فكان العداء قائماً بين الأخوين دائماً.

سنة ١٣٨٥/٧٨٧-٨٦: فتح السلطان مراد خان والي الروم قلعة اسكته وقلعة ماروله. وغنم الغزاة كثيراً من الأشياء القيمة مثل طاسات ذهبية وفضية كثيرة، حتى إنهم وضعوها على رؤوسهم رمزاً للنصر. فسُرَّ السلطان مراد خان وأمر بصنع غطاء للرأس من الذهب والفضة سمي اسكوف. وفي هذه السنة تحرك ركاب الأمير تيمور حتى بلغ سلطانية العراق، فبعد أن استولى عليها نهض إلى رستمدار ومازندران ومنها عاد إلى سمرقند وأمضى الشتاء في سالي سراي.

وفي هذه السنة حضر توقتمش خان مع خمسين ألف خيال إلى تبريز لدفع أحمد منها فنهب البلدة نهباً ثم عاد عن طريق دربند شيروان.

سنة ١٣٨٦/٧٨٨-٨٧: فتح السلطان مراد خان قلاع: زيحنه وقره وريه ودرامه وقواله ومناستر. وفي هذه أيضاً صمم الأمير تيمور على الزحف إلى جهة آذربيجان حين بلغه أن توقتمش خان وجيشه أغاروا على تبريز وآذربيجان وألحقوا بها دماراً وخراباً فبلغها واستولى عليها ثم على كرجستان. وأمضى الشتاء في قره باغ أرّان.

سنة ١٣٨٧/٧٨٩-٨٨: توجه الأمير تيمور من مشتى قره باغ إلى آذربيجان لدفع شر قرا محمد التركماني. وحين عودته من هذه السفرة مر بجيشه الجرار بهضاب موش وأخلاط، فلم يخف حاكم تلك الجهات إلى تقديم الطاعة لبلاط الأمير فأذن للجند بنهب أموال العشائر والقبائل الضاربة هنالك، ثم سار عن طريق ساحل بحيرة وان حتى بلغ عدلجواز، فبادر حاكمها وقدم الطاعة وأعلن الخضوع. فعبر الموكب التيموري بندماهي إلى وان.

وفي هذه السنة استولى على العراق وفارس. ثم بلغه نبأ اجتياح توقتمش خان بلاد ما وراء النهر، فعهد بحكومة شيراز إلى آل مظفر، واصطحب معه العلامة الأمير السيد الشريف مع أسرته وحشمه إلى سمرقند.

سنة ١٣٨٨/٧٩٠-٨٩: قام الأمير تيمور بالهجمة الخامسة على خوارزم واستولى على تلك البلاد مرة أخرى فأخربها وجعل عاليها سافلها.

سنة ١٣٨٨/٧٩١-٨٩: جرد توقتمش خان حملة قوية لمنازلة الأمير تيمور، ولكنه عاد كما حضر من نصف الطريق من غير أن ينال مقصوده؛ فتحول

الأمير تيمور إلى بلاد المغول فأطلق فيها يد النهب والسلب. ثم ندب ابنه الميرزاميرانشاه إلى خراسان لدفع ملوك السربدارية وجاني قرباني.

سنة ١٣٨٩/٧٩٢-٩٠: قدم آيدين أوغلي طائعاً راضياً خضوعه للسلطان مراد خان الغازي وخطب وضرب السكة باسمه وبألقابه في بلاده.

سنة ١٣٩٠/٧٩٣-٩١: حارب السلطان مراد خان لاز أوغلي وقاتله قتالاً شديداً وقبض على قائد الكفار وقتله. وحدث أن قائداً من قواد الكفار يدعى ميلوش تظاهر بالطاعة والخضوع للسلطان وتقدم إليه كأنه يريد تقبيل اليد الكريمة، وإذا بخنجر مسموم ينهال به على ذلك السرو الباسق الناشئ في حديقة السلطنة فيسقطه على الأرض مضرجاً في دمه، فصعدت روحه الطاهرة إلى أعلى عليين ولحقت بالشهداء والصديقين. وكان رحمه الله قد بلغ من العمر خمساً وستين سنة. وحكم إحدى وثلاثين سنة وقد خلف ولدين ذكرين هما: إيلدرم بايزيد ويعقوب چلبي. وكان وزيره الأعظم خير الدين باشا، وهو الذي اشتهر باسم قره خليل، وإن علي باشا وصاروجه باشا اللذين بلغا رتبة الوزارة هما ولدا خير الدين باشا. وتسنم السلطان إيلديرم بايزيد عرش السلطنة بدل والده وكان في الرابعة والأربعين. فبادر إلى قتل أخيه يعقوب چلبي، فكان أول سلطان من سلاطين آل عثمان يقتل أخاه. وعهد بمنصب الوزارة إلى كل من علي باشا وتيمور طاش باشا. وفُتح في عهده على يد أورنوش بك معدن قراطوه وقلعة اسكوب وقلعة سيروز. وفي هذه السنة فتح السلطان قلعتي آلاشهر وأفلاق وقبل حاكمهما دفع الجزية.

فصل في ذكر العلماء والمشايخ الذين كانوا معاصرين للسلطان مراد خان عليه الرحمة والغفران

١- مولانا جمال الدين آقسرايي؛ وهو مشهور بين الفضلاء بأنه في أربع بطون يصل نسبه إلى الإمام فخر الدين الرازي. وله حاشية قيمة على «التلويح».

٢- مولانا الفناري، وهو الذي قدم من ديار الفرس وانخرط في سلك تلاميذ مولانا جمال الدين وفي مدة وجيزة أصبح علاّمة علماء الروم. ولما جاء الأمير السيد الشريف الجرجاني بلدة آقسراي لزيارة مولانا جمال الدين كان مولانا الفناري قد توفي إلى رحمة الله فلم تتيسر الملاقاة معه. وله مصنفات مشهورة.

٣- مولانا محمود، وهو الذي كان قاضي بُرسه واشتهر بقوجه أفندي. وابنه موسى جلبي توجه نحو بلاد الفرس لتحصيل العلوم الرياضية حتى أتقنها وأصبح علامة فيها. واشتهر في بلاد ما وراء النهر وخراسان بقاضي زاده ْ رومي. وكان مع ميرزا ألغ بك بن ميرزا شاهرخ بن الأمير تيمور في سمرقند حين إنشائهم المرصد المنسوب إلى الميرزا.

٤- مولانا برهان الدين أحمد كان قاضي أرزنخان وكتب «حاشية الترجيح على التلويح». وهو من مشايخ حاجي بكتاش الولي الذي يعتقد أهالي بلاد الروم أنه قطب الأقطاب.

سنة ٧٩٤/١٣٩١-٩٢: رفعوا إلى السلطان إيلدرم بايزيد أن شخصاً يدعى القاضي برهان الدين استولى على ولاية الروم وصار واليها. فبادر السلطان إلى هذه الولاية بقصد تسخيرها ففتح قلاع: آماسيه وتوقات وسامون وجانيك.

سنة ٧٩٥/١٣٩٢-٩٣: كان والي قسطموني كتورم بايزيد قد عاث فساداً، في السنة الماضية، في البلاد وذلك بتحريضه «منتشا أُوغلي» لذلك حمل عليه السلطان بايزيد وكأنه البرق الخاطف. وفي أثناء ذلك توفي كتورم بايزيد وهرب ابنه اسفنديار إلى سينوب كما لجأ منتشا أُوغلي إلى بلاط الأمير تيمور

وحرضه على الزحف إلى بلاد الروم. وفي هذه السنة استولى ولاة الدولة العثمانية على قلاع طرقلو وقسطموني وعثمانجق.

وفي يوم الأحد الثامن من شهر رجب من هذه السنة قضى الأمير تيمور على جميع أعضاء أُسرة آل مظفر واستولى على جميع ولاية فارس. فيقول في هذا الحادث أحد الشعراء هذين البيتين:[1]

«انظر واعتبر بآل مظفر، هؤلاء الملوك الذين أخذوا الكرة من السلاطين، كيف قتلوا في الليلة التاسعة من شهر رجب من سنة خمس وتسعين وسبعمائة من الهجرة».

سنة ٧٩٦/١٣٩٣-٩٤: فتح ايلدرم بايزيد قلعة سلانيك، وهي من أهم مدن ولاية الروملي التي يخرج منها الفضلاء الممتازون. وفي هذه السنة قام الأمير تيمور بفتح بغداد (دار السلام) وقلعة تكريت وبعضاً من بلاد كردستان. وكان ميلاد ميرزا ألغ بك بن ميرزا شاهرخ في هذه السنة.

سنة ٧٩٧/١٣٩٤-٩٥: جاء ملك «قرال» أنكروس من ولاية أفلاق إلى قلعة نكبولي وحاصرها. ولما بلغ نبأ ذلك مسامع ايلدرم بايزيد خان أسرع إلى تلك الجهة كالبرق الخاطف فحصل بين الطرفين مصاف عظيم وقتال مرير أسفر عن انكسار ملك الكفار السيئ ووقع أسرى كثيرون منهم في أيدي المسلمين، ونجا الملك بكل أعجوبة وبعد عظيم المشقة من تلك الورطة الدامية ولاذ بالفرار. وفي هذه السنة بنى السلطان ايلدرم بايزيد قلعة كوزلجه حصار في ناحية الأنضول في مقابل بوغاز حصار. وفتحت قلعة شيلي. وأرسل مندوباً إلى حاكم «تكفور = ملك، حاكم» استنبول يطلب منه تسليم هذه المدينة إليه. فقدم الحاكم الطاعة إليه ورضي بدفع عشرة آلاف آلتون «عملة ذهبية» إلى خزينة السلطان. وبأن يعين السلطان، قاضياً مسلماً في حي المسلمين باستانبول، وأن يبني به جامعاً ومئذنة بهذا الحي وقد أقيمت فيه شعائر الإسلام مدة من الزمن ثم حدثت فتن وحوادث طرد الكفار المسلمين إلى جهة الروملي وخربوا الجامع والمئذنة.

---

[1] بعبرت نظر كن بآل مظفر شهاني كه كوى از سلاطين ربودند
كه در هفقصد وخمس وتسعين زهجرت نهم شب زماه رجب چون غنودند

سنة ٧٩٨/١٣٩٥-٩٦: تم فتح قلعة قره فريه وملاطيه ودرنده وقلعتي ديورك وبهسني على يد السلطان بايزيد. وفي هذه السنة اختار الأمير قوام الدين وهو سيد من أحفاد الإمام محمد العسكري، الإقامة في مدينة آمل مازندران، فالتف حوله أهالي تلك الجهات واعتقدوا فيه اعتقاداً خارقاً وصاروا من أشد أنصاره وأطوع مريديه، حتى إن آفراسياب الجلاوي والي مازندران تعلق بهذا السيد وصار من مريديه. ولما رأى السيد أن اعتقاد الناس به قد بلغ أوجه وأصبحوا يتفانون في خدمته ويصدرون عن أمره وإشارته، بادر يوماً إلى إلقاء القبض على آفراسياب حينما جاء هذا لزيارته وقضى عليه فوراً، ثم نادى بنفسه سلطاناً على البلاد وقد تم له الأمر وعلا شأنه يوماً فيوماً، وكانت أسرته لا تزال تحكم مازندران حتى الأيام الأخيرة، إلى أن استولى الشاه عباس الصفوي على كل إقليم مازندران، باعتباره ميراثاً لابنه الأمير عبد الله المازندراني، وأرسل نائباً عنه لضبط أموره.

سنة ٧٩٩/١٣٩٦-٩٧: أسند الأمير تيمور منصب حكومة هراة إلى ابنه ميرزاشاهرخ، ومن جملة نعم الله واهب العطايا عليه أن ولد له ميزرا بايسنقر في ضحى يوم الاثنين الموافق الواحد والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة في دار السلطنة هراة.

سنة ٨٠٠/١٣٩٧-٩٨: أظهر الملك طاهر (؟) حاكم أرزنجان خضوعه وقدم طاعته لبلاط السلطان ايلدرم بايزيد خان، فأرسل مفاتيح قلاع بلده إلى سدته السنية. وفي هذه السنة أيضاً نهض الأمير تيمور لغزو الهند.

سنة ٨٠١/١٣٩٨-٩٩: أتم الأمير تيمور فتح أكثر بلاد الهند حيث كسر جيوش السلطانين محمود خان وملوخان حكام تلك البلاد ثم عاد بالنصر والإقبال إلى سمرقند.

سنة ٨٠٢/١٣٩٩-١٤٠٠: توجه الأمير تيمور مرة أخرى إلى بلاد إيران فأمضى الشتاء في قراباغ أران. وهذا هو ما يطلق عليه المؤرخون «غزوة السنوات السبع». فلاذ السلطان أحمد وقرا يوسف بالفرار من جيوش الأمير تيمور والتجآ إلى بلاد الروم، وبينما هما في الطريق إليها، وقد بلغا بلدة بهسني وقع بينهما خلاف بسبب أقوال المفسدين الأنذال، فتخلف الأمير قرا يوسف وواصل السلطان أحمد سيره إلى بلاد الروم حتى بلغ انقرة وحظي

بمقابلة السلطان ايلدرم بايزيد خان الذي أكرم وفادته وأقطعه أموال مقاطعة كوتاهية ليعيش منها. وفي خلال ذلك وصل الأمير قرا يوسف أيضاً فعين السلطان لمعيشته أموال مقاطعة آق شهر وشمله بعطفه.

سنة ٨٠٣/١٤٠٠-١٤٠١: صمم الأمير تيمور على غزو الروم فاستولى على قلعة سيواس ثم توجه منها إلى البلاد العربية وقاتل السلطان فرخ (؟) والى مصر والشام حيث طارده حتى الشام وألحق الخراب والدمار بتلك البلاد، ونبش قبر يزيد بن معاوية وأحرق عظام ذلك الملعون، ثم عاد منها إلى قراباغ حيث أمضى الشتاء بها.

سنة ٨٠٤/١٤٠١-١٤٠٢: توجه السلطان ايلدرم بايزيد نحو أنقرة لقتال الأمير تيمور والتقى الفريقان ولكن طوائف كرميان ومنتشالو والتاتار استاءت من السلطان وانحازت إلى جانب الأمير تيمور والتحقت بجيشه، مما أفضى إلى ضعف جيش السلطان وفتور همة جنده. ومع ذلك دام القتال المرير من مطلع الشمس حتى مغربها بين أبطال الحرب وقتل أثناء المعركة مصطفى چلبي بن السلطان، ولاذ بعض طوائف الجيش بالفرار، فوقع السلطان أسيراً في يد السلطان محمود في غروب اليوم التاسع عشر من شهر ذي الحجة من السنة المذكورة فحمله إلى الأمير تيمور بتجلة واحترام.

سنة ٨٠٥/١٤٠٢-٣: أمضى الأمير تيمور الشتاء في آيدن إيلي في ولاية الأناضول. هذا وكان قد أعاد كل ولاية أخذها من السلطان إلى صاحبها الأول فأعاد قسطموني إلى اسفنديار أوغلي. وقرمان والروم إلى قرمان آوغلي وكذا كرميان إيلي ومنتشا إيلي إلى وارثيهما. واعتزم إطلاق سراح السلطان بايزيد وإعطاءه ولايته الموروثة، غير أن الأنباء وصلت في يوم الخميس الرابع عشر من شعبان السنة المذكورة أن السلطان قد توفي إلى رحمة الله في بلدة آقشهر بمرض ضيق التنفس والخناق.

وكان قد بلغ من العمر ستين سنة وحكم ثلاث عشرة سنة وخلف آثاراً خيرية ومبرات كثيرة في أنحاء بلاده. منها الجامع والزاوية في مدينة أدرنه، ومدارس وجوامع وزوايا ومستشفيات وغيرها من ضروب الإصلاح. وترك خمسة أولاد ذكور هم: السلطان سليمان والسلطان محمد وعيسى وموسى ومصطفى.

فصل في ذكر العلماء والمشايخ

الذين كانوا معاصرين للسلطان إيلدرم بايزيد

- الشيخ حامد بن موسى الآقسرائي؛ كان صاحب كرامات وفيوضات ربانية يعتقد فيه أهالي تلك الديار اعتقاداً خالصاً، فضريحه هنالك مقصد الزوار والمتبركين.

- الشيخ بيرام سلطان؛ كان في بادئ الأمر مدرساً ثم ترك التدريس والتحق بصحبة الشيخ حامد ففتح الله عليه وصار صاحب كشف وكرامات وظهرت على يديه خوارق وهو مدفون بأنقرة.

- الشيخ شهاب الدين السيواسي؛ كان في بادئ الأمر غلاماً مملوكاً لشخص ما، ثم ألحق بخدمة الشيخ زين الدين الخوافي فأتم تحصيل علم التصوف. وهو مدفون بموضع يقال له أنالغ (؟).

- قطب الدين الأزنيقي الذي اجتمع بالأمير تيمور وألقى عليه دروساً ونصائح.

- مولانا شمس الدين محمد (؟) بن محمد الفناري الذي حصل العلوم في مصر ثم عاد إلى الروم فتولى قضاء بورسا أول الأمر ثم صار وزيراً، وله مؤلفات قيمة في التفسير واللغة العربية وفي آخر عمره زار الحرمين الشريفين.

- مولانا حافظ الدين محمد الكردي الشهير ببزاز أُوغلي وهو صاحب كتاب الفتاوى البزازية الذي يعد من أهم الكتب المعتبرة.

- مولانا مجد الدين أبو طاهر محمد الشيرازي، ومن مؤلفاته كتاب القاموس الشهير في علم اللغة.

- مولانا محمد بن مولانا شمس الدين محمد الفناري، الذي كان مدرساً في مدرسة السلطان مدة ثمانية عشر عاماً وكان يلقي درساً عاماً.

- مولانا بهاء الدين عمر بن الشيخ قطب الدين الذي كان مفتي الزمان.

- مولانا يار علي الشيرازي الذي كان عالماً بالأصول والفروع.

- مولانا إبراهيم بن محمد الحنفي الذي كان في غاية الفضل والعلم وصار مفتي زمانه.

- مولانا عز الدين عبد اللطيف الذي كتب شرحاً للمشارق وآخر للمنار.

- مولانا أحمد الكرمياني الذي كان شاعراً مفلقاً توصل إلى الدخول إلى مجلس السلطان سليمان وصار نديمه وجليسه فألف كتابه اسكندر نامه باسمه. ولقي الأمير تيمور الذي أعجب بأدبه وفكاهاته فأسند إليه أمر حمامه، وقصته اللطيفة معه في الحمام مشهورة.

سنة ٨٠٦/١٤٠٣-٤: جلس الأمير سليمان بن السلطان إيلدرم بايزيد على عرش السلطنة في بورسا، ففارقه أخوه موسى وفر هارباً إلى قرامان أوغلي لاجئاً ومنه التجأ إلى بلاط اسفنديار بك الذي بادر إلى وضعه في سفينة وإرساله إلى «ويوده» أفلاق. هذا وكلمة ويوده في لغة الروم بمعنى الحاكم والوالي «داروغه وصوباش» ثم أطلق تخفيفاً على حكام الكفار الذين قبلوا دفع الجزية. واسم ذلك الحاكم مرجو. ولما شاع هذا النبأ في بورسا، توجه الأمير سليمان إلى أدرنه.

وفي هذه السنة عدل الأمير تيمور عدولاً تاماً عن غزو الروم وبادر إلى غزو كرجستان والشروع في فتح قلاعها وأمر بتجديد إنشاء مدينة البيلقان «بيلغان أران» التي كانت خراباً يباباً منذ مدة مديدة.

سنة ٨٠٧/١٤٠٤-٥: توفي الأمير تيمور في ليلة الأربعاء السابع عشر من شعبان هذه السنة أثناء قيامه بغزو بلاد الخطا في موضع يقال له أترار. فدب الخلاف والشغب بين أولاده وأحفاده فترة. وأخيراً تمكن الميرزا شاهرخ من السلطنة وجلس على عرشها في خراسان.

سنة ٨٠٨/١٤٠٥-٦: توجه الميرزا ميرانشاه بن الأمير تيمور گورگان من آذربيجان إلى خراسان. ولما شاع هذا الخبر وبلغ مسامع أخيه الميرز شاهرخ أرسل جماعة من الأمراء مثل صوفي ترخان والأمير جهان ملك والأمير فيروزشاه ومعهم خمسة آلاف فارس لمقابلة أخيه، وقال لهم: إذا كان قادماً بقصد الحصول على السلطنة ومعتزماً الثورة والعصيان فليبادروا إلى قتاله ودفعه، وأما إذا كان آتياً كأخ وفرد من الأسرة وأحسوا ميله إلى هذا السلوك فليقوموا بما يجب لأمثاله من التكريم والتبجيل. ثم أصحب الأمراء بخطاب

يشتمل على قواعد حسن السمعة وسوئها وما يجوز وما لا يجوز من قوانين الصلح وأصول الحرب. فتوجه الأمراء إلى لقائه فبلغوا معسكر الميرزاميرانشاه في موضع يقال له كالبوش وتشرفوا بتقبيل يديه وبساطه الشريف رافعين إليه خطاب شاهرخ وتعليماته. فأبدى الميرزاميرانشاه الجنوح إلى السلم والصلح والوحدة قائلاً: إن الله سبحانه وتعالى أعطى السلطنة لأخي فوهبه السعادة الأزلية والدولة الأبدية وجعلنا نستمع إلى قوله تعالى «سنشد عضدك بأخيك» آملين ونتحقق بشرى قوله تعالى «ونجعل لكم سلطانا» مستبشرين.

فأثنى الأمراء عليه وسروا من إجابته داعين له بالبقاء.

في خلال هذا نجا الميرزا أبو بكر من حبس السلطانية وذهب إلى والده حيث تشاور الوالد والولد وتوجها بعد ذلك إلى آذربيجان.

سنة ٨٠٩/١٤٠٦-٧: قام النزاع حول السلطنة بين موسى چلبي وعيسى چلبي ولدي السلطان بايزيد واشتد القتال بينهما، وقتل عيسى چلبي وأعلن موسى چلبي سلطنته في بورسا.

في سنة ٨١٠/١٤٠٧-٨: قام قتال مرير بين الميرزاميرانشاه بن الأمير تيمور گورگان، الذي كان بموجب حكم والده قد ولي عرش هولاكوخان ثم أصابه خبل من جراء سقوطه من على جواده مما جعله عاجزاً عن تحمل أعباء الحكم، وبين قرا يوسف التركماني الذي كان خرج عليه. وكان ذلك في ناحية سردرود من أعمال تبريز. فقتل الميرزا في تلك المعارك الدامية واستولى قرا يوسف على آذربيجان.

سنة ٨١١/١٤٠٨-٩: أمر الميرزا شاهرخ حسب السنة النبوية بأن يختن ولداه اللذان كانا عنوان صفحة السرور وكمال مرآة الأماني، الميرزا بايسنقر والميرزا محمد چوكي على ما جرت عليه السنة.

سنة ٨١٢/١٤٠٩-١٠: أمر الميرزا شاهرخ بتجديد إنشاء مدينة مرو، التي كانت من مدن خراسان المهمة وعواصم السلاطين. ولم يكن قد بقي من آثار تلك المدينة العظيمة وعماراتها العديدة سوى الأطلال والخرائب بسبب الحوادث والوقائع الدامية التي جرت فيها في الأزمان السابقة. وقد مضت عليها مائة وتسعون سنة وهي مسكن الأرانب وموطن الثعالب وذلك من يوم أن أصدر تولى خان بن جنكيز خان أمره بتخريبها في سنة عشرين وستمائة

(١٢٢٣-٢٤). وخلاصة القول أنهم أعادوا لهذه المدينة سيرتها الأولى من العمران والازدهار في مدة وجيزة.

سنة ١٤١٠/٨١٣-١١: جرد الأمير سليمان حملة على أخيه في بورسا لقتاله، ولما دارت المعركة بين الطرفين انصرفت عساكر الروملي عن الأمير سليمان وانحازت إلى أخيه موسى چلبي (؟) فاضطر الأمير سليمان إلى الفرار هائماً على وجهه فوجدوه بعد يوم قتيلاً في قرية. فتسنم موسى چلبي عرش السلطنة وصار حاكم الروم المستقل وكانت مدة حكم الأمير سليمان سبع سنوات وسبعة أشهر.

سنة ١٤١١/٨١٤-١٢: في مطلعها استولى موسى چلبي على قلعة مطرني ويروادي. وفي هذه السنة زحف الميرزا خليل بن الميرزا ميرانشاه، الذي كان مع جده العظيم في غزوه لبلاد الخطا، إلى سمرقند التي كان جده قد جمع فيها جميع خزائن الدنيا فاستولى عليها جميعاً. وأخيراً سار إلى عمه الميرزا شاهرخ فأرسله هذا إلى العراق ثم مات في بلدة شهريار من أعمال ولاية الري.

سنة ١٤١٢/٨١٥-١٣: أغار الأمير قرا يوسف التركماني من تبريز على قراباغ أران فأرسل سفيراً إلى الشيخ إبراهيم والي شيروان يدعوه إلى الصلح والسلام بتقديم الطاعة له ولكن الشيخ إبراهيم، باتفاق مع السيد أحمد حاكم شكي وكستنديل الكرجي حاكم زكم، لم يقبلوا الصلح ولم يقدموا الطاعة. فاجتاز قرا يوسف نهر آرس ووقع القتال بين الطرفين واشتد حتى قبض على الشيخ إبراهيم وأخيه الشيخ بهلول وكستنديل الكرجي في ساحة الوغى فأرسل قرا يوسف كستنديل مع أخيه ومعهما ثلاثمائة نفر من الآزناورين الكرج إلى جهنم، وأطلق يد النهب والسلب في بلدة شماخي ثم عاد منصوراً إلى تبريز مصطحباً معه الشيخ إبراهيم والشيخ بهلول ومولانا ظهير الدين القاضي مقيدين. ثم طلب من الشيخ إبراهيم وفرض عليه أن يأتي بجميع خزائنه التي في شيروان من آلات مرصعة وأدوات الذهب والفضة إلى تبريز وأن يسلمها لخزينتها، وأن يدفع الشيخ بهلول مائتي تومان، والقاضي مائة تومان فدية ودية عن أنفسهم حتى يتخلصوا من الأسر فقاموا بما طلب منهم وعادوا إلى بلادهم سالمين.

سنة ١٤١٣/٨١٦-١٤: في مطلعها تسنم السلطان محمد بن السلطان ايلدرم بايزيد عرش السلطنة. وتفصيل هذا الإجمال هو أن السلطان محمد

خان كان بعد وفاة أبيه مقيماً في الولاية «سنجاق» التي كان قد عهد بحكمها إليه في حياته. وفي أثناء الحوادث التي جرت بين أخويه كان تارة يطيع هذا وتارة يطيع ذاك؛ حتى إذا ما شق كورشاهملك وزير أخيه موسى چلبي عصا الطاعة على ولي نعمته، ولجأ إلى حاكم استنبول حيث أخذ يخابر الأمراء والقواد حتى اتفق مع أورنوس بك فأرسلا رسولاً إلى السلطان محمد خان بآماسيه لتحريضه على طلب السلطنة، فلبى السلطان التماسهم وحضر إلى بورسا وبتعضيد حاكم استنبول اجتاز گليبولي إلى جهة الروملي فقابله هنالك جميع الأمراء الذين كانوا تابعين له وكانوا قد ذهبوا إلى أدرنه لذلك. وبمجرد أن بلغ نبأ هذا الحادث مسامع موسى چلبي لاذ بالفرار فطارده السلطان محمد خان حتى ألقى القبض عليه في موضع يقال له سماقلو وقضى عليه حسب الفرمان. وهكذا جلس السلطان محمد خان على سرير السلطنة مستقلاً تمام الاستقلال.

وفي آخر هذه السنة أغار قرمان أوغلي على بورسا وأطلق يد النهب والسلب في هذه الديار ثم عاد إلى بلاده، ولكن السلطان محمد خان طارده حتى قونيه حيث اشتبكت جيوشهما وحمى وطيس القتال، فأسفر عن هزيمة محمد بك قرامان أوغلي ووقوعه هو وابنه مصطفى أسيرين. ولكن السلطان محمد خان عفا عنهما وأعاد إليهما بعض ولايات قرامان.

سنة ٨١٧/١٤١٤-١٥: أعاد السلطان محمد خان فتح قلاع سامسون وإسكليب وسورى حصار وقيرشهر ونيكده وآقشهر ويكي شهر وسيدي غازي وآرغادي وسعيد إيلي حيث عادت كلها تحت تصرف أولياء أمور الدولة القاهرة. وفي هذه السنة قام الميرزا شاهرخ بزحف على إقليم فارس بقصد تأديب ابن أخيه الميرزا بايقرا الذي كان قد رفع علم الثورة والخلاف به. فلما استقر الموكب الهمايوني في ميدان السعادة بشيراز اضطر الميرزا بايقرا للتسليم والخضوع فوسط الميرزا بايسنقر نجل الميرزا شاهرخ لدى والده وجعله شفيعاً له، ثم تقدم هو لعمه حاملاً السيف والكفن في عنقه، علامة على خضوعه وتسليمه، فشمله عمه بالعفو والمغفرة ساحباً ذيل النسيان على ما صدر منه من الجرائم والذنوب.

سنة ٨١٨/١٤١٥-١٦: في مطلعها دخلت قلعة سوران في طاعة أولياء أمور دولة السلطان محمد خان. وفي هذه السنة عهد الميرزا شاهرخ بحكومة ولاية بدخشان إلى نجله سبورغتمش.

سنة ٨١٩/١٤١٦-١٧: تيسر فتح قلاع كانقري وچقا وتوسيا وباقر كوره سي للسلطان محمد خان.

وفي ليلة الخميس غرة جمادى الأولى من هذه السنة أنعم الله تعالى على الميرزا بايسنقر بن الميرزا شاهرخ في دار السلطنة «هراة» في موضع يقال له باغ سفيد: الحديقة البيضاء بمولود كريم سمي ميرزا علاء الدولة.

سنة ٨٢٠/١٤١٧-١٨: أمر السلطان محمد خان بعمارة قلعة ايساقچي. وفي منتصف هذه السنة أيضاً قام الميرزا شاهرخ من هراة برحلة بقصد زيارة لمشهد المنور والمرقد المعطر لسيدنا علي بن موسى الرضا. فوصل إلى مرقد ذلك الإمام في اليوم الخامس عشر من شعبان تلك السنة، وأدى شروط الزيارة كاملة وأهداه قنديلاً من الذهب وزنه ثلاثة آلاف مثقال كان قد أعده من قبل لهذا الغرض فعلق على المرقد من ناحية الرأس. ثم أنشأ أربع حدائق وقصراً في الجانب الشرقي لتلك الروضة المباركة. وعاد بعد ذلك إلى هراة.

سنة ٨٢١/١٤١٨-١٩: قتل يوركلجه مصطفى في ولاية الروم، وهو خليفة ولد سماونه الملحد الذي ادعى النبوة، كان قد ذهب إلى ولاية آيدين ايلي وأخذ يدعو الناس هنالك لطاعته والإيمان به.

سنة ٨٢٢/١٤١٩-٢٠: خطب الميرزا شاهرخ مهرنكار أقا بنت محمد خان وحفيدة ملك مغولستان لولده الميرزا محمد جوكي.

سنة ٨٢٣/١٤٢٠-٢١: حينما سمع ولد سماونه أن خليفته يوركلجه مصطفى قد قتل، غادر الممالك المحروسة الخاضعة للسلطان محمد خان إلى سامسون، ومن هنالك ركب السفينة إلى ولاية أفلاق، ومنها وصل بلدة سلسدره حيث اجتمع حوله خلق كثير اعتقدوا فيه وصاروا من مريديه وأنصاره، فبدأ يدعو لنفسه بالسلطنة والاستقلال. فلما علم السلطان بجلية الأمور أرسل من يقبض عليه في بلدة زغره ويأتي به إلى الحضرة السلطانية فجاءوا به فصلبوه في سيروزه.

وفي هذه السنة أيضاً قام الميرزا شاهرخ من خراسان بجيش جرار متوجهاً نحو آذربيجان بقصد قتال قرا يوسف، فلما وصل موكب شاهرخ إلى بلاد العراق (العجمي) وأقام به سرادقه جاءه رسول من تبريز يقول إن قرا يوسف توفي في نواحي أوجان، وإن التراكمة اضطربوا اضطراب الزئبق فأخلوا قلعة

السلطانية وتشتتوا في الأطراف، فزحف السلطان على عجل نحو السلطانية، وفي الوقت نفسه أرسل الميرزا باسنقر على جناح السرعة إلى تبريز، فبلغ هو السلطانية في منتصف ذي القعدة حيث ضرب مخيمه السلطاني منصوراً، ونهض منها إلى قراباغ فأمضى شتاء ذلك العام بها.

سنة ٨٢٤/١٤٢١-٢٢: نهض الميرزا اسكندر بن قرا يوسف لقتال الميرزا شاهرخ فالتقى الجيشان عند حدود آلشكرد ودام القتال بينهما ثلاثة أيام، ليل نهار، وأخيراً ألحق الهزيمة بغريمه. وبعد عودة الميرزا شاهرخ جاء الميرزا اسكندر إلى تبريز وجلس على عرش السلطنة.

سنة ٨٢٥/١٤٢٢-٢٣: في هذه السنة (؟) انتقل إلى دار البقاء السلطان محمد خان بسبب مرض الإسهال بعد عمر بلغ ثمانية وأربعين عاماً، وحكم دام تسع سنوات وكان له خمسة أولاد ذكور هم: السلطان مراد والسلطان محمود والسلطان يوسف ومصطفى چلبي وكوچك سلطان أحمد. فالسلطانان محمود ويوسف بعد أن كف بصرهما ماتا حتف أنفهما في الطاعون. وأما مصطفى چلبي وكوچك سلطان أحمد (؟) فقد قتلا على يدي أخيهما. وولي مكان أبيه، السلطان مراد خان.

وفي السابع من شهر رجب من هذه السنة أنعم الله سبحانه وتعالى علىالميرزابايسنقر بولد كريم دعي بأبي القاسم بابر.

فصل في ذكر خيرات ومبرات السلطان محمد خان

أولاً مسجد جامع وزاوية وعمارة المزار المعروف بالسلطانية ومدرسة عالية في بورسا. وثانياً في بلدة مرزيفون مسجدان وحمامان أتم بناءها. وحبس أوقافاً كثيرة على الحرمين الشريفين زادهما الله تعظيما وتكريما يرسل ريعها كل سنة ويصرف حسب شرط الواقف. كما أنه أنشأ على قبر محمد بك منت أوغلي الذي كان من المجاهدين الغزاة في بلدة تدعى قنش، مسجداً جامعاً وزاوية. وله خيرات ومبرات أخرى كثيرة.

فصل في ذكر العلماء والمشايخ
الذين كانوا معاصرين للسلطان محمد

- مولانا حيدر الهروى وكان من جملة تلاميذ مولانا سعد الملة والدين مسعود التفتازاني، وقد كتب حاشية على شرح الكشاف وله شرح لإبساغوجي.

- مولانا فخر الدين العجمي وكان من جملة تلامذة الأمير السيد الشريف الجرجاني وكان إمام علماء عصره.

- مولانا قرا يعقوب النيكدي وكان غاية في الفضل والعلم.

- مولانا بايزيد المشهور بالصوفي الذي صار معلم السلطان ومؤدبه.

- مولانا محمد الكافيه‌جي ولم يكن له ثان في العلوم العربية.

وهناك من المشايخ:

- پير الياس الآماسي وكان صاحب كرامات وكشف يرجع إليه العوام والخواص.

- الشيخ عبد اللطيف المرزيفوني (؟) قطب زمانه دفن في مدينة بورسا وبنيت على مرقده زاوية يتردد عليها الغادون والرائحون فيأكلون الخبز ويشربون الحساء.

- الشيخ عبد الرحمن المرزيفوني، وكان من كبار خلفاء الشيخ زين الدين الخوافي فله مرقد يزار في مرزيفون.

- الشيخ عبد الرحمن بن حسام الدين الكومشي الذي ظهر في قصبة كومش فكان صاحب حال ووجد ودفن بآماسية.

- الشيخ لطف الله بن اسفنديار الذي كان في خدمة حاجي، ووصل إلى المقامات العالية وهو مدفون في باليكسري.

- الشيخ شجاع الدين القراماني والشيخ مظفر الدين اللارنده‌وي والشيخ بدر الدين الدقيقي والشيخ صلاح الدين البولوي والشيخ مصلح الدين خليفه، وعمر دده البرساوي هؤلاء كلهم من جملة خلفاء الشيخ حاجي، فوصلوا إلى المراتب العالية فلأهالي بلادهم اعتقاد تام وخلوص وافر بهم.

سنة ١٤٢٢/٨٢٦-٢٣: ظهر المتسمى بالسلطان مصطفى دوزمجه «المتسمى - الكذاب» الذي كان في بلاد الروم حيث فقد السلطان مصطفى بن السلطان بايزيد ايلدرم في المعركة التي دارت بين الأمير تيمور والسلطان ايلدرم بايزيد. فظهر شخص في هذه السنة في سلانيك، وادعى أنه مصطفى چلبي الذي فقد في حرب الأمير تيمور، فصدقه جمع كثير من الناس والتفوا حوله حتى إن أولاد أورنوس بك تبعوه فسلموا له قلعة سيروز. وبعد ذلك قدم هذا المدعي إلى إقليم الروملي فبايعه جيشه بأكمله حتى إنهم ثاروا على قائدهم بايزيد پاشا ميرميران الروملي. ثم واصلوا السير حتى اجتازوا إلى طرف الأنضول حيث استقبلهم السلطان مراد خان في بلدة ألو آباد، وبعد أن اجتاز الكوبري ونزل على شاطئ النهر منتظراً قدوم الليل وحينئذ فاجأ خصمه مصطفى چلبي الذي لاذ بالفرار لا يلوي على شيء حتى بلغ غاليپولي وهنالك أخذ يجمع السفن التي يعبر بها الناس ويسحبها إلى الشاطئ الآخر، ولكن السلطان قصد لابسكي وحشد هنالك عدة سفن عبر بها البحر. ولما علم دوزمجه مصطفى بجلية الأمر توجه ناحية قزل أغاج يكيجه سي فطارده جمع من جنود السلطان وقبضوا عليه وأتوا به إلى السلطان فأمر بقتله.

سنة ١٤٢٣/٨٢٧-٢٤: قاتل السلطان مراد خان، اسفنديار بك قتالاً شديداً فانهزم، وفي هذه السنة أيضاً كان زواج السلطان مراد خان من بنت حاكم اللاز.

سنة ١٤٢٤/٨٢٨-٢٥: قصد اسفنديار بك فتح قلعة طراقلو وعلم السلطان مراد خان بذلك، فتوجه لقتاله فعاد اسفنديار بك جانب بولي. ولما كان ابنه قاسم بك ملازماً لبلاط السلطان مراد خان فقد شجع هذا أمراء جيش اسفنديار بك وأعيانه على النفور منه والانحياز إلى قاسم بك والالتحاق بخدمته، فذعر اسفنديار بك ولاذ بالفرار واعتصم بقلعة بولي وأرسل من هنالك ابنه الصغير مراد بك إلى بلاط السلطان مراد خان يلتمس منه العفو فمنحه السلطان، واهب العطايا وساتر العيوب والخطايا، ما يرجوه من رحمته السلطانية وعاد إلى بورسا.

هذا ومن بدايع الوقايع في هذه السنة تدوين الكتاب البديع "تاريخ ظفرنامة" الذي دبجه يراع ألطف الكتاب وأشرف الأدباء مولانا شرف الدين علي اليزدي برسم الميرزا شاهرخ، وذلك بتشجيع ورعاية الميرزا سلطان إبراهيم بن الميرزا شاهرخ، الذي كان والي فارس حينذاك. والحق أنه لمؤلف بديع

الإنشاء صحيح الإسناد جليل الحوادث كثير الوقائع، يثير إعجاب الأكابر والأصاعر. فجزاه الله تعالى خيراً.

سنة ٨٢٩/١٤٢٥-٢٦: قصد حاكم أفلاق المعروف باسم حاكم دير الغوا (؟) ولاية الروملي في الوقت الذي كان السلطان مراد خان بالأنضول.. فأطلق في بعض نواحيه يد النهب والسلب، فلما وصلت أنباء ذلك إلى مسامع السلطان جرد حملة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل مغوار بقيادة فيروز بك على بلاد أفلاق لغزوها فلما علم حاكم دير الغوا ذلك النبأ خاف مغبة الأمر فحمل الخراج المطلوب منه وتوجه مع ولديه إلى بلاط السلطان وقدم عهوداً ومواثيق بألا يتعرض للممالك المحروسة السلطانية بعد هذا قط وأن لا يسلك من اليوم فصاعداً طريق الفتنة والفساد.

وفي هذه السنة دخلت في حكم الدولة العثمانية ولايات أمراء آيدين ايلي وصاروخان وحميد ايلي ومنتشا، وكان امراؤها من قبل خاضعين لآل عثمان وكانوا من عظام قوادهم ورجالهم، ثم شقوا عليهم عصا الطاعة أثناء حكم الأمير تيمور كوركان. إذ فروا ولجأوا إلى بلاط محمد بك قرمان أوغلي. وفي هذه السنة أيضاً بنى الميرزاشاهرخ عمارة عالية على مرقد شيخ هراة الخواجه عبد الله الأنصاري.

سنة ٨٣٠/١٤٢٦-٢٧: رفع محمد بك قرمان أوغلي لواء العصيان ضد السلطان مراد خان وزحف إلى قلعة أنطاكية وحاصرها. وحدث أن أطلق مدفع من داخل هذه القلعة فأصابته القذيفة في مقتله فتناثرت أشلاؤه وكان السلطان مراد خان في ذلك الوقت في جهاد الكفار فبادر أولاد محمد بك الثلاثة وهم: الأمراء إبراهيم وعيسى وعلاء الدين، بعد حادث والدهم إلى بلاط السلطان مراد خان طائعين فشملهم السلطان بعطفه وأعاد حكومة قرامان إلى الأخ الأكبر الأمير إبراهيم وخصص لكل من الأخوين الآخرين وظائف وعلوفة يتعيشون منها على أن يلازموا خدمة السلطان هذا. ومن عظائم أمور هذه السنة قضية إغتيال الميرزاشاهرخ بضربة سكين وتفصيل هذا هو أن جناب شاهرخ كان بموجب نص قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» يقضي صلاة الجمعة في المسجد الذي يقع في داخل مدينة الهراة، ففي يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة بعد أن أدى فريضة الصلاة هم بالانصراف فإذا برجل في زي الصوفية يعترضه، هو أحمد لر من مريدي

مولانا فضل الله الأسترابادي، متقدماً بورقة في يده كأنه يريد أن يرفع إليه شكواه، فأمر الميرزا أحد ملازميه أن يتعرف على قصده وأن يعرض أمره عليه، ولكن أحمد لر اندفع غير وجل وطعن الميرزا في بطنه بسكين مقوسة، أعملت فيه عملها: وعلى الفور مزق الأمراء لر المسكين إرباً إرباً. ثم أخذ الميرزا بايسنقر والأمراء في تفتيشه فتبينوا مفتاحاً في طاقيته فتح به باب أحد البيوت في سوق البزازين مما تسبب في خراب كثير من بيوت هذا السوق. ونسبت التهمة إلى سيد الأبرار الأمير قاسم الأنوار فصدر الأمر بإخراجه من البلد، ولكن السيد لم يؤذ وذلك لما كان بينه وبين الميرزا بايسنقر من صداقة، فذهب إليه الميرزا، وفي أثناء الحديث قال له لماذا لا تعمل بقولك «يا قاسم أقصر الكلام وقم واعتزم الرحيل..» فخرج السيد الأمير من بلدة هراة في مغرب ذلك اليوم.

سنة ١٤٢٨/٨٣٢-٢٩: خطب السلطان مراد خان بنت اسفنديار بك لنفسه وأقام عرساً فخماً. وفي أوائل هذه السنة زحف الميرزا شاهرخ من خراسان إلى آذربيجان لقتال الميرزا اسكندر ولد قرا يوسف التركماني، فالتقى الجمعان بنواحي سلماس ودام القتال يومين كاملين ليل نهار، فأسفر عن انهزام الميرزا اسكندر فرسم الميرزا شاهرخ ابنه الميرزا جوكي مع بعض القواد لمطاردة المنهزمين فقاموا بذلك حتى أرضروم فلم يروا لهم أثراً. وعاد الميرزا شاهرخ من سلماس وأمضى الشتاء في قراباغ أران.

سنة ١٤٢٩/٨٣٣-٣٠: فوض الميرزا شاهرخ حكومة مملكة آذربيجان وملحقاتها إلى أبي سعيد ولد قرا يوسف التركمان الذي كان قد لجأ إلى بلاطه تائباً، ثم غادر مشتى قراباغ إلى خراسان.

في سنة ١٤٣٠/٨٣٤-٣١: حينما عاد الميرزا شاهرخ من الغزوة الثانية لآذربيجان وبلغ هراة، رفع إليه أن رسولاً جاء من جانب خوارزم يقول أن جيش أوزبك أثار الفتنة واجتمع منهم حشد كبير على شاطئ جيحون قاصدين خوارزم وأن الأمير إبراهيم ولد الأمير شاه ملك والي هذا الإقليم لم يصمد للمهاجمين فذهب إلى كات وخيوق، واستولى جيش الأوزبك على خوارزم فكان في ذلك الخراب والدمار والنهب والسلب مما جاوز الحد. فلما عرفت هذه الأخبار بادر الميرزا شاهرخ إلى تعيين عدد من الأمراء الكبار على رأس جيش كبير وامتثل الأمراء للأمر الشاهي وتوجهوا نحو خوارزم. وبمجرد وصولهم إلى

هنالك انقضوا على جيش الأوزبك واستأصلوه فتشتت جمع الأوزبك بالقتل والأسر ثم عاد الأمراء إلى خراسان.

سنة ٨٣٥/١٤٣١-٣٢: ولد السلطان محمد بن السلطان مراد خان في بلاد الروم. وفي هذه السنة حضر رسول من جانب آذربيجان إلى بلاط الميرزا شاهرخ ورفع إليه أن الميرزا اسكندر ولد قرا يوسف حارب أخاه أبا سعيد وقتله وولى مكانه وكان أبو سعيد قد ولي من قبل ولاية آذربيجان.

سنة ٨٣٦/١٤٣٢-٣٣: أقدم الأمير خليل الله حاكم شيروان الذي لا يحتاج بيان قدم أسرته ونبلها إلى الشرح والتفصيل حيث ذكر ذلك مراراً، على إيواء الأمير زاده يار علي ولد الميرزا اسكندر بن قرا يوسف الذي كان قد لجأ إليه نفوراً من والده، ثم أركبه في سفينة وأرسله عن طريق البحر إلى الميرزا شاهرخ بهراة حيث قابله الشاهرخ بالحفاوة والإكرام وأدخله في سلك «جركه» أولاد الأمراء ولكن الميرزا يارعلي هذا كان بالرغم عن ذلك يعاشر دائماً السفلة والأوباش من الترك والتاجيك. هذا وكان الميرزا شاهرخ قد نقل زهاء عشرة آلاف من الأسر التركمانية من آذربيجان إلى هراة وأسكنها بها فكان من ضمن هؤلاء التراكمة أستاذ اسمه فرخ من صانعي الأقواس وقد عمل قوسا «كمان رعد» ـ قوس الرعد ـ وكان يزعم أنه يستطيع أن يقذف به صخرا زنته أربعمائة منّ فأراد الشاهرخ أن يشاهد هذا القوس كيف يرمي السهام ويقذف الصخور وصعد على قمة جبل باولي كاه. فإذا ميرزاده يارعلي يظهر فجأة وكان شاباً جميلاً فرمي بنظرة منه سهم الحب في صفوف العشاق وبسهام اللحظ سبي المتيمين، فلما رآه الناس هرعوا إلى ناحيته ولم يبق أحد ممن جاء لمشاهدة سهم الرعد. فغضب الميرزا شاهرخ مما رأى، فلما رجع إلى المدينة أرسل الميرزا يارعلي إلى سمرقند خشية أن تلتف حوله التراكمة وأهالي خراسان وسكان البلدة فتنشأ من ذلك الفتن.

سنة ٨٣٧/١٤٣٣-٣٤: عقد السلطان مراد خان على بنت حاكم سمندره. وفي صبيحة السبت السابع من شهر جمادى الأولى من هذه السنة توفي الميرزا بايسنقر ولد الميرزا شاهرخ في موضع يقال له باغ سفيد في بلدة هراة، فدفنوه في القبة التي بنتها والدته گوهرشاد بيگم بجانب مدرستها. وكان الفقيد يرعى جانب العلماء والفضلاء ويقربهم إليه مما لم يعهد مثله من أمراء وأنجال الأسرة التيمورية. فمن ذلك ما يحكى من أنه كان له أربعون كاتباً حسني الخط عاكفين على الكتابة ليل نهار في مكتبته وأن صاحب الفضيلة مولانا لطف الله

الشهير بحافظ أبرو قد ألف كتابه «زبدة التواريخ»، الذي يشتمل على وقايع وحوادث العالم وبيان أحوال وأوضاع طبقات الناس، باسم هذا الأمير الكريم ولما توفي الأمير إلى رحمة الله رثاه الشعراء والأدباء كثيراً. ولكن الشاعر أمير شاهي قد بذ الشعراء الآخرين جميعاً بهذه الرباعية الفارسية الآتية:[1]

في مأتمك كم سكب الدهر من الدمع، واللعل خضب ذيله بدماء العيون وشق الورد جيب الثوب الأرجواني ولبس القمري السواد في رقبته:

سنة ٨٣٨/١٤٣٤-٣٥: استولى رجال السلطان مراد خان على قلعتي أنكروس وكوكرجنلك. وفي هذه السنة اعتزم الميرزا شاهرخ قتال طائفة التركمان فتوجه نحو آذربيجان، ولما بلغ حدود الري حل موسم الشتاء فاضطر لإحضار وإعداد أسبابه هنالك.

سنة ٨٣٩/١٤٣٥-٣٦: في غرة محرم توجه الميرزا شاهرخ من مشتاه بالري إلى تبريز وعند ذيوع هذا الخبر غادر الميرزا اسكندر التركماني تبريز ولاذ بالفرار، بخلاف أخيه جهانشاه الذي خف إلى استقبال موكب شاهرخ بالتجلة والإكرام، فنال من لدنه عطفاً سامياً والتفاتاً خسروانياً عالياً. وأقام الميرزا شاهرخ في دار السلطنة تبريز مدة من الزمن ونظم أمور آذربيجان، وفي الثامن من شهر ربيع الثاني سار إلى قره باغ أران بقصد التشتية بها، وبعد أن أمضى الشتاء توجه في أول فصل الربيع إلى بلدة أوجان ومن هنالك أمر بتفويض سلطنة آذربيجان إلى الميرزا جهانشاه ولد قرا يوسف فسلمه المرسوم الممهور بالدمغة الحمراء، وبذلك صار زمام أمور المملكة المذكورة من ضبط وربط وقبض وبسط وحل عقد في يديه وأيدي أتباعه. وبعد أن خلع عليهم شاهرخ الأكسية السلطانية عطف عنان عودته إلى جانب خراسان.

وفي هذه السنة أرسل السلطان مراد خان بيكلر بكي الروملي إلى قتال ملك أنكروس الذي كان قد زحف إلى قلعة كوكرجنلك. فقام بغزو تلك الولايات وتركها للنهب والسلب خمسة وأربعين يوماً. وغنم الغزاة وأسروا كثيراً وعادوا إلى بلادهم منتصرين، كما أن ولق أُوغلي حاكم سمندره أرسل بنته وأربعة من أبنائه لخدمة السلطان مراد خان.

---

[1] در ماتم تودهر بس شيون كرد — لاله همه خون ديده دردا من كرد
كل جيب قباي ارغواني بدريد — قمري تمد سياه دركردن كرد

سنة ١٤٣٦/٨٤٠-٣٧: ظهرت خيانة ولق أُوغلي للسلطان مراد خان ظهوراً بيناً فجرد السلطان جيشاً لدفعه وتأديبه. وفي هذه السنة أيضاً كان توجه الميرزا اسكندر بن قرا يوسف من بلاد الروم إلى آذربيجان لقتال أخيه الميرزا جهانشاه الذي كان الميرزا شاهرخ قد نصبه سلطاناً على آذربيجان، فحدث المصاف بين جيشي الفريقين في صوفيان تبريز فانهزم الميرزا اسكندر ولجأ إلى قلعة النجق، فبادر ابنه شاه قباد، وكان على علاقة بإحدى جواري أبيه، إلى قتل أبيه وإحضار نعشه إلى تبريز حيث دفنوه في أعلى قلعة أخي سعيد الدين في جبل وليان وبنوا على قبره مشهداً عالياً.

سنة ١٤٣٧/٨٤١-٣٨: تمكن ولق أوغلي من الفرار والالتجاء إلى ولاية أنكروس فبذلك تم استيلاء أولياء أمور السلطنة في عهد السلطان مراد خان على قلاع سمندره وموره وكرمه موره. وفي هذه السنة خف إلى بلاط الميرزا شاهرخ السلطان سيف الدين والي هرمز فنال عطفه وثقته وعاد إلى وطنه مقضى المرام.

في سنة ١٤٣٨/٨٤٢-٣٩: نقض اسفنديار أوغلي (؟) العهد مرة أخرى إذ أقدم في غياب السلطان مراد خان على نهب جهة يكي بازاري، وزاحم عشائر السلطان ومتعلقاته الخاصة، فأعد السلطان جيشاً للزحف عليه. وعند ذلك أرسل اسفنديار أوغلي زوجته التي كانت أخت السلطان مع وزيره إلى الحضرة السلطانية يلتمس العفو والمغفرة فأصدر السلطان العفو متجاوزاً عن جرائمه.

وفي هذه السنة توجه الميرزا شاهرخ لزيارة مشهد الإمام الرضا عليه التحية والثناء، وبعد أن أدى شروط الزيارة عاد إلى هراة. وفي هذه الأثناء كان الأستاذ قوام الدين المعمار الشيرازي، الذي كان قد أخل بثقة السلطان فيه فتوارى في زاوية ولم يسمح له بالمثول في المجلس السلطاني، وذلك لتقصيره في العمارة، قد أعد تقويماً استطاع به أن يحظى برضا الميرزا الذي تلا عليه هذا البيت على البديهة: [1]

لقد أجدت العمل في الأرض حتى صعدت إلى السماء.

في سنة ١٤٣٩/٨٤٣-٤٠: جرد السلطان مراد خان جيشاً لغزو ولاية أفلاق وإطلاق يد النهب والسلب فيها فلما كان الوقت فصل شتاء عاتٍ أهلك

---

[1] توكار زمين‌را نكو ساختي   كه برأسمان نيزير داختي

البرد القارس عدداً كبيراً من عسكر الإسلام فعادوا دون نيل المقصود، وفي الليلة الثالثة من شعبان هذه السنة وهب الله لميرزا علاء الدين بن الميرزا بايسنقر ولداً كريماً، سموه الميرزا إبراهيم.

في سنة ٨٤٤/ ١٤٤٠-٤١: سقطت قلعة قوهره في أيدي رجال السلطان مراد خان، وأرسل شهاب الدين باشا قوة عسكرية سريعة إلى قلعة بلغراد لمحاصرتها. وفي هذه السنة أيضاً أصدر الميرزا شاهرخ الأوامر بمنع شرب الأمراء الخمور منعاً باتاً وركب بنفسه الغالية يطوف ويأمر بتخريب بيوت الدعارة «سوجي خانها» ويكب الشراب بأنواعه وهدم بيوت المنكرات والملاهي.

سنة ٨٤٥/١٤٤١-٤٢: (؟) تنازل السلطان مراد خان عن السلطنة طوعاً ورضاء منه ونصب نجله الكريم السلطان محمد خان، واختار الإقامة في مغنيسا وفي هذه السنة ندب الميرزا شاهرخ السيد شمس الدين بن محمد الزمزمي إلى بلاط ملك مصر يطلب أن يقوم بكسوة الكعبة زادها الله تشريفاً وتعظيماً. فقبل سلطان مصر ذلك وأذن للسيد، بالعودة مجاب الطلب.

سنة ٨٤٦/١٤٤٢-٤٣: عقد السلطان مراد خان زواج كريمته... على ... بك ابن اسفنديار أوغلي. وفي هذه السنة أرسل الميرزا شاهرخ مولانا عبد الرزاق السمرقندي صاحب «تاريخ مطلع السعدين» مندوباً من لدنه إلى الهندوستان، كما فوض أمور حكومات بعض جهات من العراق: سلطانية وقزوين وبلاد الري وقم، إلى حفيده الميرزا سلطان محمد ولد الميرزا بايسنقر.

سنة ٨٤٧/١٤٤٣-٤٤: أرسل قرامان أوغلي رسولاً يحمل خطاباً منه إلى ملك أنكروسي يقول فيه إن السلطان مراد خان قد انتابته أمراض كثيرة أفقدته القدرة على الحركة والركوب فخلع نفسه من السلطنة وأقام ابنه الصغير سلطاناً على البلاد، مما أدى إلى بلوغ الدولة العثمانية غاية الضعف، فلنقم أنت من جانبك وأنا من جانبي بحركة تؤدي بها. فنهض هذا الحاكم الشرير بسبب هذا التحريض الذي لا جدوى فيه وزحف على جند السلطان محمد خان الذي لقيه وقاتله ودارت رحى معارك حامية أسفرت أخيراً عن انهزام جند الكفار واندحارهم وقطعت رأس حاكمهم وأعمل الغزاة سيوفهم البتارة في العدو. وفي هذه السنة أمر الميرزا شاهرخ بإقامة المشتى في دار السلطنة هراة منصرفاً لخاطر خطير عن شئون الدنيا والدين.

في سنة ٨٤٨/١٤٤٤-٤٥: شقت طائفة الإنكشارية عصا الطاعة على السلطان محمد خان وهاجموا وزراءه طالبين إعادة السلطان مراد خان من مغنيسا وإجلاسه على العرش، فرأى الوزراء وأركان الدولة المصلحة في ذلك فأحضروا السلطان مراد خان من مغنيسا وأجلسوه علىالعرش وأرسلوا السلطان محمد خان إلى مغنيسا. وفي هذه السنة اعترى الميرزا شاهرخ مرض شديد أيأس أهالي هراة من شفائه. ولما تماثل إلى الشفاء بعد بضعة أيام؛ اقتضى رأيه الصائب كسوة الكعبة المعظمة هذه السنة أيضاً كما فعل في السنة السابقة حين نال الإذن بها من سلطان مصر (چقمق؟) وندب لذلك كلاً من الشيخ نور الدين المرشدي ومولانا شمس الدين محمد الأبهري فحملا الكسوة التي طرزت في دار العبادة يزد إلى الحجاز حيث قاما بالأمر ثم عادا. وفي هذه السنة توفي الميرزا محمد جوكي نجل الميرزا شاهرخ.

سنة ٨٤٩/١٤٤٥-٤٦: في مستهلها سقطت قلعتا آقجه حصار وباللوبادره في أيدي رجال السلطان مراد خان. وفي هذه السنة كان رفع الميرزا سلطان محمد بن الميرزا بايسنقر، الذي كان والي العراق وفارس، لعلم الثورة عالياً بمجرد أن بلغ مسامعه مرض جده الميرزا شاهرخ.

سنة ٨٥٠/١٤٤٦-٤٧: توجه موكب شاهرخ من خراسان نحو دار الملك العراق وفارس بقصد تنبيه وتأديب الميرزا سلطان محمد الذي كان قد شق عصا الطاعة، فبمجرد بلوغه أصفهان لاذ الميرزا سلطان محمد بالفرار وذهب ناحية لرستان. فانتهز الميرزا شاهرخ فرصة الوقت ونظم فيه أمور فارس والعراق، ثم عاد باليمن إلى جانب الري. وفي صباح يوم الأحد الخامس والعشرين من ذي الحجة أصيب الميرزا شاهرخ بمرض شديد في معدته في موضع يقال له فشايّويه (؟) الري وتطور المرض حتى قضى شاهرخ نحبه فانتقل من دار الفناء إلى دار الخلد والبقاء.

وقال شاعر في ذلك إن شاهرخ ملك العالم ولد في سنة سبعمائة وتسع وسبعين وولي الملك سنة ثمانمائة وثمان ومات سنة ثمانمائة وخمسين، وكان له خمسة أولاد ذكور على جانب عظيم من العلم والفضل والأدب هم: (١) الميرزا ألغ بك الذي حكم نيابة عن والده ما وراء النهر وتركستان مدة أربع وأربعين سنة. (٢) الميرزا إبراهيم الذي كان والي فارس، وإليه يرجع الفضل في تأليف مولانا شرف الدين علي يزدي كتابه القيّم «ظفرنامة» الذي اعتقد أنه لم يؤلف

مثله في فن التاريخ في أي وقت من الأوقات. (٣) الميرزا بايسنقر (٤) الميرزا سيور غتمش (٥) الميرزا محمد جوكي.

غير أن هؤلاء الأنجال مات منهم أربعة في حياة والدهم كما سبق ذكره ولم يعش غير الميرزا ألغ بك هذا، وبعد وفاة الميرزا شاهرخ كان الميرزا ألغ بك في ما وراء النهر وتركستان والميرزا علاء الدولة بن الميرزا بايسنقر في خراسان، وكان أخوه السلطان محمد على عرش العراق وفارس.

سنة ١٤٤٧/٨٥١-٤٨: جلس الميرزا علاء الدولة على عرش خراسان وحبس الميرزا عبد اللطيف نجل الميرزا ألغ بك في قلعة اختيار الدين ثم أطلق سراحه بعد بضعة شهور. وفي هذه السنة ابتدأ ظهور الفتنة ثم القتال بين أولاد وأحفاد الميرزا شاهرخ مما يطول شرحه.

سنة ١٤٤٨/٨٥٢-٤٩: زحف الميرزا ألغ بك بجيش عرمرم من ما وراء النهر إلى خراسان فحدث بينه وبين ابن أخيه الميرزا علاء الدولة بن بايسنقر قتال مرير في موضع يقال له ترتاب على مبعدة أربعة فراسخ من بلدة هراة فلحقت الهزيمة بعسكر علاء الدولة الذي لاذ بالفرار وسار إلى أخيه الميرزا أبي القاسم بابر في حدود جرجان ولم تقم له قائمة بعد ذلك. وهكذا أخضع الميرزا ألغ بك كافة بلاد خراسان إليه ثم عاد إلى ما وراء النهر. وما إن عاد الميرزا ألغ بك إلى بلاده بادر الميرزا بابر إلى السير من استر آباد في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة إلى هراة دار السلطنة حيث تسنم العرش، وقد ألقى القبض على أخيه الميرزا علاء الدولة. وفي هذه السنة اجتمع ملك أنكروس، المنحوس، مع حاكم ولاية قسون؟ يانقو، وأعلنا التعبئة العامة وزحفا بجيش عظيم إلى بلغراد بقصد غزو بلاد الإسلام ونهبها، وبعد أن أطلقا يد النهب والسلب والدمار في البلاد سارا إلى ولاية قسون (؟) وفي أثناء ذلك وصل السلطان محمد خان من مغنيسا بموافقة أبيه، وبادر إلى الزحف نحو الكفار الفجار فكانت بين الفريقين ملحمة عظيمة قتل فيها وزير بولونيا ووزير الشيك وغيرهما من الوزراء «بانات». و«بان» في اصطلاح كفرة الفرنجة بمعنى الوزير. ولقد بذل الغزاة المسلمون والكماة الموحدون في تلك المعركة جهداً عظيماً حتى سميت بالغزوة الكبرى.

في سنة ١٤٤٩/٨٥٣-٥٠: عقد حاكم يانقو وحاكم أنكروس حلفاً مع حاكم أفلاق وزحفوا جميعاً إلى نيكبولي فحمل عليهم جيش السلطان مراد خان وقتل

كثير من الكفار الفجار وهرب حاكم يانقو وانفرط ما بين هؤلاء الحكام من التحالف.

وفي هذه السنة شق الميرزا عبد اللطيف ولد ألغ بك عصا الطاعة على والده فحدث قتال شديد بين الوالد والولد في أطراف سمرقند فلحقت الهزيمة بالميرزا ألغ بك الذي أسرع إلى شاهرخية ولكن ابن الحرام، ابنه، حال دون ذلك فأراد أن يلجأ إلى أبي الخيرخان وأزبك، ولكنه تردد في ذلك إذ غلبته المحبة المفروضة بين الوالد والولد فقرر أن يذهب إلى سمرقند مفضلاً جانب ابنه عديم المروءة. فتوجه في رمضان من تلك السنة إلى ولده الذي أهدر حقوق الوالد التي قررها جميع علماء الأديان وكافة فضلاء بني آدم وأقدم على قتل والده، الذي لم ير عهد الإسلام بل ولا عهد ذي القرنين ملكاً عالماً فيلسوفاً مثله، إذ سلمه إلى رجل يدعى عباس فصرعه وأناله رتبة الشهادة وقال بعض الشعراء في تاريخ مقتله.

وبعد ستة شهور من قتل أبيه على هذا المنوال قتل عبد اللطيف هذا المنحوس على يد بابا حسين أحد أتباع والده المخلصين فصار مصداق هذا البيت:[١]

«قتل الآباء لا يليق ولا يدوم للسلاطين وإذا دام لا يدوم أكثر من ستة شهور» ومن غرائب الاتفاق أن تاريخ القتل هذا أيضاً تضمنته عبارة «بابا حسين كشت» أي قتل بابا حسين.

هذا وفي نفس الليلة التي قتل فيها الميرزا عبد اللطيف بادر الأكابر والأعيان في سمرقند إلى اختيار الميرزا عبد الله بن الميرزا إبراهيم بن الميرزا شاهرخ سلطاناً على البلاد.

سنة ٨٥٤/ ١٤٥٠-٥١: انتقل إلى رحمة الله السلطان مراد خان في ولاية الروم إيلي فأخفى الوزراء وأركان الدولة نعشه ثلاثة عشر يوماً ولم يعلنوا نبأ وفاته حتى حضر السلطان محمد خان من مغنيسا وتسنم عرش سلطنة القيصرة وحينئذ وراوا السلطان الراحل التراب. وقد عاش أربعاً وأربعين سنة منها واحد وثلاثون في الحكم، وكان له خمسة أولاد ذكور هم: السلطان محمد والسلطان أحمد والسلطان علاء الدين والسلطان حسن والسلطان أورخان.

---

[١] پدركش پادشاهي‌را نشايد   وكر شايد بجز شش مه نبايد

فمات أحمد وعلاء الدين في آماسيه ودفنا بها. وأما حسن وأورخان فقد ماتا في أدرنه وهما مدفونان في «دار الحديث». وهاك أسماء الذين تولوا الوزارة في عهده، إبراهيم باشا وحاجي عوض باشا ودمور باشا ولد تيمور تاش باشا وصاروجه باشا وعلي باشا وإسحق باشا وشهاب الدين باشا وبلبان باشا وخليل باشا ولد إبراهيم باشا.

وفي هذه السنة كان خروج الميرزا سلطان أبي سعيد بن الميرزا سلطان محمد بن الميرزا ميرانشاه بن الأمير تيمور كوركان في بخارى. وتفصيل هذا الإجمال هو أن الميرزا سلطان أبا سعيد كان في بلاط الميرزا ألغ بك في سمرقند، ولما كان الميرزا ألغ بك في خصام مع ابنه الميرزا عبد اللطيف على نهر جيحون لاذ الميرزا أبو سعيد هذا بالفرار وهرب إلى قبائل أرغون، وجمع منهم حشداً كبيراً توجه بهم إلى سمرقند فرأى الميرزا ألغ بك أن دفع هذا أهم فتوجه لمقاتلته في سمرقند. وما كاد هذا الخبر يذيع حتى لاذ الميرزا سلطان أبو سعيد بالفرار والتجأ إلى قبائل أرغون مرة أخرى ولما انتهى الميرزا عبد اللطيف من أمر والده وصار سلطاناً على النحو الذي ذكرنا أرسل إلى الميرزا سلطان أبي سعيد من يحضره إلى سمرقند حيث زج في أعماق السجون، غير أنه فر هارباً من سجنه فبلغ بخارى حيث ألقى حاكمها القبض عليه وزجه في سجن أضيق من حوصلة البخلاء. واتفق أن جاء النبأ في نفس اليوم بأن الميرزا عبد اللطيف قد قُتل فبادر أعيان وأكابر تلك البلاد إلى الميرزا سلطان أبي سعيد وقدموا إليه الاعتذار وأخرجوه من السجن ونصبوه سلطاناً عليهم في بخارى، ولكن هذا الجناب لم يكتف بسلطنة بخارى بل زحف فوراً إلى سمرقند لمقاتلة الميرزا عبد الله الذي كان قد تولى سلطنة سمرقند بعد قتل الميرزا عبد اللطيف. وما أن بلغ مسافة عشرة فراسخ منها إلا وخف الميرزا عبد الله إلى لقائه فحدث بينهما قتال شديد أسفر عن غلبة الميرزا عبد الله بخصمه الميرزا سلطان أبي سعيد الذي لاذ بالفرار إلى تركستان.

فصل في ذكر خيرات ومبرات السلطان محمد (؟) خان الثاني

عمل أولاً على إتمام بناء المسجد الجامع في أدرنه، وكان قد شرع في بنائه موسى چلبي في عهد سلطنته فتوفي قبل أن يتمه. فلما جلس السلطان محمد خان على العرش بادر بإتمامه وحبس عليه أوقافاً كثيرة من دكاكين ووكالات

بناها حوله ولكنه هو أيضاً لم يتم البناء فقد توفي قبل ذلك فأتمه السلطان مراد خان الذي أوقف أعياناً كثيرة عليه وهو الجامع المعروف باسكي جامع.

وبنى مسجداً جامعاً آخر هنالك وأتمه وهو الآن معروف بمولوي خانه.

وبنى أيضاً كوبرياً كبيراً على نهر أركنه يشتمل على ثلاثمائة وستين عيناً وبنى في أول وآخر هذا الكوبري جامعين عاليين وزاويتين وأتم البناء.

وكان يرسل كل سنة ألف فلوري ذهباً من خمس آل محمد باسم السادات العظام والأعيان والأشراف الكرام، وثلاثة آلاف سكة ذهبية أيضاً باسم فقراء مكة المعظمة والمدينة المنورة من ماله الخاص.

فصل في ذكر العلماء والمشايخ الذين كانوا معاصرين للسلطان مراد خان

- مولانا محمد الأرمغاني من تلاميذ مولانا الفناري وكان على جانب عظيم من الفضل والكمال وكان «آخر قاضي عسكر» «ومفتي الزمان» واشتهر باسم يكن أوغلي.

- مولانا شاه محمد بن يكن أوغلي الذي بلغ منصب قاضي بورسا.

- مولانا محمد يوسف بالي يكن كان مدرس مدرسة بورسا وكان على جانب عظيم من العلم، كتب «حاشية على التلويح».

- مولانا شرف الدين سيد أحمد القريمي كان رجلاً فاضلاً عالماً له تأليفات وتصنيفات مشهورة متداولة، وصل في استنبول إلى التدريس بالمدارس العالية ومصاحبة السلطان.

- مولانا سيد علي السمرقندي الذي وفد على الروم وصار مدرساً في لارنده وله تفسير مشهور بين العلماء.

- مولانا شمس الدين أحمد الكوراني وحيد عصره في علوم الفقه والحديث والتفسير وصل أخيراً إلى منصب معلم السلطان محمد خان.

- مولانا تاج الدين إبراهيم المشهور بخطيب زاده لم يكن له نظير في علوم المعقول والمنقول وله تأليفات كثيرة، وهو أول مدرس نال وظيفة في الروم علوفتها ماية آقجه.

- مولانا خضر باشا منتشالو الذي اشتهر بين العلماء بحميد أوغلي. كان أول الأمر معلم السلطان محمد.

- مولانا حمزة القراماني وله في العلوم العقلية والنقلية تصنيفات قيمة، تولى الإفتاء العام في آخر حياته.

- مولانا علاء الدين القوج حصاري، ولم يكن له نظير في اتقان الكتابة بقلم النسخ، كتب «شرح على المفتاح».

- مولانا محمد بن قطب الدين الأزنيقي، جمع في نفسه الحقيقة والشريعة والطريقة إذ كان له يد طولى في التصوف وله حاشية قيمة للغاية على «فصوص الحكم».

ومن المشايخ الكبار في هذا العصر:

- الشيخ آق بيق الذي كان في مقدمة محققي العصر.

- الشيخ محمد الكليبولي الذي اشتهر ببازيچي أوغلي، مؤلف كتاب «محمديه».

- مولانا شيخي الكرمياني، الذي نظم مثنوي خسرو وشيرين بالتركية ولأهل الروم اعتقاد زائد بهذا المثنوي.

- مصلح الدين الأدرنوي، المشهور «بإمام الدباغين»، كان ملماً بعلوم الظاهر والباطن.

مولانا پيري خليفة حميد إيلي، بلغ المراتب العالية وصار مرشداً كاملاً ومكملاً .

- مولانا شيخ تاج الدين، والشيخ حسن، والشيخ شمس الدين وكانوا جميعاً ثقات في علوم الظاهر والباطن. طيب الله ثراهم وأغدق عليهم رحمته.

سنة ٨٥٥/١٤٥١-٥٢: حدث قتال عظيم بين الأخوين، أعني الميرزا أبا القاسم والميرزا سلطان محمد في موضع چناران من أعمال استراباد، فلحقت الهزيمة المنكرة بجيش الميرزا سلطان محمد الذي وقع أسيراً. فلما ذهبوا به إلى خصمه الميرزا بابر قابله هذا بالخشونة وأخذ يؤنبه قائلاً: لماذا أجترأت على قتالي؟ فأجاب محمد يا أخي لا يقوم الملك إلا بمثل هذه الأمور. وبعد ذلك حكم بقتل أخيه بسبب سعاية الوشاه. وكان عمره أربعاً وثلاثين سنة ومدة حكمه عشر سنوات منها خمس نيابة عن جده الميرزا شاهرخ وخمس حكم فيها

مستقلاً. وكان له ولد واحد هو الميرزا ياد كار محمد. ونقل نعشه إلى هراة ودفن بجانب قبر والده في مدرسة جدته گوهر شاد أغا.

ومن غرائب الاتفاقات أن زوجته التي كانت تنتحب ليل نهار بقلب متقد نارا وعين دامعة مدرارا قد توفيت إلى رحمة الله بعده بيومين فقط.

هذا وبعد أن استراح بال الميرزا بابر من أخيه اتجه تفكيره إلى أخيه الآخر الميرزا علاء الدولة، وكان معه معتقلاً ينتظر مصيره، فأمر بسمل عينيه.[1]

«إذا كان في صدرك عين بصيرة فانظر بعين العبرة في هذه الحديقة الغناء كيف تتحمل بالسمل العيون التي تتأذى من الكحل».

ومن المشهور ان الميرزا علاء الدولة نظم هذين البيتين: [2]

إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

وفي هذه السنة كان نهوض الميرزا سلطان أبو سعيد، الذي كان قد انكسر في السنة الماضية أمام سمرقند ولجأ إلى تركستان هارباً من الميرزا عبد الله، بالزحف إلى خصمه بمعونة من أبي الخير خان أوزبك. ولما علم الميرزا عبد الله باتفاق الأعداء وتوجههم نحوه غادر سمرقند بجيش عرمرم لا يحصى عدده لملاقاتهم. فبعد أن اجتاز نهر كوهك تلاقى الجمعان وأسفر القتال عن هزيمة الميرزا عبد الله ولاذ بالفرار ولكن جواده سقط به في حفرة موحلة فوقع في الأسر، وأمر الميرزا سلطان أبو سعيد بقتله فشرب كأس الشهادة في ليلة الأحد العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة، وهكذا أتيح للميرزا سلطان أبي سعيد دخول مدينة سمرقند والجلوس على العرش.

سنة ٨٥٦/١٤٥٢-٥٣: بنى السلطان محمد خان في ضاحية استنبول قلعة يكي حصار المعروفة الآن ببوغزكسن «قلعة البوغاز». وفي هذه السنة قام الميرزا أبو القاسم بابر، بعد أن فرغ من أمر أخويه، بالزحف عن طريق صحارى يزد إلى جانب العراق وفارس، وبينما هو ذاهب من شيراز إلى أصفهان إذا بقاصد يهبط عليه من خراسان ويقول إن فتنة كبرى قامت بهراة حيث إن

---

[1] كرت درسينه چشمي هست روشن — بعبرت بين درين فيروزه كلشن
چنان چشمي كه ازسرمه شدي ريش — چكونه تاب ميل آرد ببندبش

[2] تاچرخ‌مرا ببد كماني بر خاست — دل از سر كار اين جهاني برخاست
چون چوشم‌مرا دست قضا ميل كشيد — فرياد زعالم جواني برخاست

الميرزا علاء الدولة الذي كان قد سملت عيناه، ولكن لم ينطفئ نور بصره تماماً، تمكن من الخروج إلى الجمهور والتف حوله جمع كثير. فما سمع الميرزا «أبو القاسم بابر» هذا النبأ إلا وفضل الحركة على السكون وغادر مكانه الذي هو كوشك زرد الواقع بين شيراز وأصفهان وأسرع نحو خراسان ولما بلغ هراة جاء النبأ بأن الميرزا علاء الدولة توجه إلى جيش الميرزا جهانشاه بن قرا يوسف الذي كان وقتئذ في جهة الري. فارتاح بال الميرزا أبو القاسم بابر من جهته وأمضى الشتاء سعيداً في خراسان.

سنة ١٤٥٣/٨٥٧-٥٤: قام السلطان محمد خان والي الروم بتدابير غريبة وتصانيف عجيبة وهي أنه تمكن من إحضار أربعمائة سفينة وجرها من الأرض إلى البحر من جانب مشهد سيدي أبي أيوب الأنصاري. ويقال أنه اتخذ من سبعين سفينة جسراً يوصل إلى استنبول مشى عليه العسكر، وحاصر القسطنطينية مدة خمسة وأربعين يوماً حتى فتحت البلدة والقلعة في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، فغنم الجيش الإسلامي غنائم كبيرة لا تعد ولاتحصى، وصلوا صلاة الجمعة في أيا صوفيا التي كانت كنيسة الكفار وخطبوا باسم السلطان محمد خان. فمن ذلك اليوم أصبحت مدينة استنبول دار ملك آل عثمان.

وفي هذه السنة خضع إقليما العراق وفارس للميرزا جهانشاه قرا يوسف التركمان. وهكذا خضعت تلك البلاد اللطيفة للتراكمة بعد أن حكمها الأمير تيمور كوركان وأولاده زهاء ثمانين سنة.

سنة ١٤٥٤/٨٥٨: زحف الميرزا أبو القاسم بابر إلى ما وراء النهر وحاصر الميرزا سلطان أبا سعيد في مدينة سمرقند، ولما طال الحصار أربعين يوماً عقد الصلح وعاد إلى خراسان.

سنة ١٤٥٤/٨٥٩-٥٥: استولى السلطان محمد خان على قلاع سلوري، بفادوس، اينوز، سوري حصار، نوابرده في ولاية الروم.

سنة ١٤٥٥/٨٦٠-٥٦: تيسر للسلطان محمد خان فتح قلعة بلغراد.

وفي هذه السنة توجه الميرزا أبو القاسم بابر من دار السلطنة هراة إلى المشهد المقدس فأمضى الشتاء به.

وولد في أواخر هذه السنة للميرزا سلطان أبي سعيد في بلدة سمرقند ولد نجيب سمي الميرزا عمر شيخ.

سنة ١٤٥٦/٨٦١-٥٧: حدثت ملحمة كبرى بين السلطان محمد خان وبين ملك أنكروس الذي جرح ومات متأثراً من جراحه وراح إلى الدرك الأسفل من جهنم.

وتوفي إلى رحمة الله الميرزا بابر في صباح الثلاثاء الخامس والعشرين من ربيع الثاني من هذه السنة، فخلفه في نفس اليوم أرشد أنجاله الميرزا شاه محمود على العرش وهو يبلغ من العمر الحادية عشرة. وكان عمر الميرزا بابر أبي القاسم يوم وفاته ستا وثلاثين سنة، وبلغت مدة حكمه عشر سنوات. ومشهور في الحكايات ومسطور في الكتب التاريخية أن الميرزا بابر قبل أن يموت بأربعة أيام كان قد خرج من مشهد إلى إحدى المنتزهات بقصد الصيد والقنص، وبينما هو سائر في الطريق إذا بدرويش أشعث عاري الرأس حافي القدمين يجلس على صخرة يتقدم فجأة إلى الميرزا أبي القاسم بابر وينشده قصيدة من الترجيع بند، تجاوزت أبياتها الخمسين وتتضمن كلها البحث عن زوال الدنيا وعدم وفائها للإنسان وكان بند الترجيع هذا البيت:[1]

وبعد أن أتم القصيدة غاب الدرويش عن الأنظار ولم يظهر له أثر رغم بحث أركان الدولة ورجال الجيش عنه في كل الأطراف.

هذا وتوجه الميرزا شاه محمود بعد وفاة والده بثمانية عشر يوماً من مشهد إلى دار السلطنة هراة وأمضى فيها شهرين، ثم جاءه خبر من جانب مرغآب بأن الميرزا إبراهيم بن الميرزا علاء الدين زاحف بجيش جرار إلى خراسان. ولما لم يكن للميرزاشاه محمود من يجعله أن يصمد للزاحف فقد ذهب إلى المشهد، وهكذا أتاح الفرصة للميرزا إبراهيم أن يدخل دار السلطنة هراة من غير قتال وأن يجلس على عرشها في غرة رجب من السنة المذكورة، ثم نهض في أواسط شعبان زاحفاً إلى المشهد لقتال الميرزا شاه محمود الذي بادر هو أيضاً إلى حشد جنود كثيرة والتوجه بهم إلى ناحية دار السلطنة هراة. والخلاصة أن الفريقين التقيا فيما بين قصبة كوسويه ورباط شهملك فنشأت معركة دامية متقلبة لم يسبق لها نظير في القرون الخالية فلحقت الهزيمة أولاً جيش الميرزا إبراهيم وتشتت شمله غير أن الأمير محمد ترخان لحقه أخيراً وأبدى شجاعة

---

[1] اين همه طمطراف كن فيكون ذره نيست پيش أهل جنون

نادرة في خوض غمار الحرب حتى قلب الآية وانكسر جيش الميرزا شاه محمود الذي لاذ بالفرار هذه المرة متوجهاً نحو المشهد.

ومن غريب الاتفاقات جاء الخبر إلى هراة في ظهيرة يوم الأحد الخامس والعشرين من شعبان بأن الميرزا شاه محمود قد خصه الله تعالى بالفتح والظفر، وبعد لحظة ضئيلة من هذا الخبر حضر جمع من الناس يقولون: إن الميرزا إبراهيم هو الذي نال النصر والفتح، وفي تمام نصف النهار من ذلك اليوم جاء رسول من قبل الميرزا أبي سعيد حاملاً النياشين باسم الأكابر والأشراف ويخبرهم بأن الموكب الهمايوني سيشرف غداً حديقة البلدة (باغ شهر) بالفوز والنجاح، وفعلاً نزل الميرزا أبو سعيد في حديقة البلدة في صباح الغد فاضطر الميرزا إبراهيم أن يعطف عنان عزيمته إلى حدود جرجان واستر آباد. وأقام الميرزا سلطان أبو سعيد في هراة ثلاثة وأربعين يوماً قتل خلالها گوهر شادأقا حرم الميرزا شاهرخ المبجلة. ثم نهض إلى جانب بلخ.

سنة ٨٦٢/١٤٥٧-٥٨: توجه الميرزا جهانشاه ولد قرا يوسف من آذربيجان إلى جانب خراسان حينما سمع بوفاة الميرزا أبو القاسم بابر، وما كاد يجتاز عقبة صندوق سكن، ويصل إلى مسافة فرسخ من استرآباد، التي كان بها حينئذ الميرزا إبراهيم بن الميرزا علاء الدولة، إلا وقابله هذا بالحرب فحدث تلاقي الفريقين على مقربة من استرآباد، ودارت رحى معارك طاحنة قتل فيها كثير من أمراء الچغتاي وأولاد الأمراء فاضطر الميرزا إبراهيم إلى الفرار هائماً على وجهه في الصحارى لا يلوي على شيء حتى بلغ هراة، ولما دخل يوم الأحد خامس شهر صفر من تلك السنة، شارع خيابان قام درويش من دكان صغير وتوجه نحوه وخاطبه قائلاً: يا ملك الدنيا أطال الله عمرك إذا حاربت مرة أخرى لا شك أنك تقضي على نسل الچغتاي.

هذا وبعد أن أقام الميرزا جهانشاه سبعة شهور في جرجان نظم خلالها شؤونها زحف نحو هراة. وفي غرة شعبان، حينما سمع الميرزا إبراهيم بقدوم وزحف الميرزا جهانشاه، بادر إلى الانسحاب إلى جبال الغور وغرجستان. فوصل جهانشاه في أواسط الشهر المذكور نزل باغ زاغان «حديقة الغربان» بضاحية هراة. هذا وبقية حوادث ووقائع هذا الميرزا تأتي في السنة الآتية.

سنة ٨٦٣/١٤٥٨-٥٩: زحف الميرزا سلطان أبو سعيد، حينما سمع في حدود بلخ أن الميرزا جهانشاه نازل بدار السلطنة هراة، إلى تلك الجهات بقصد

المقاتلة فنزل على نهر مرغآب وأقام به بضعة أيام، وأرسل في أثناء ذلك رسولاً إلى الميرزا جهانشاه يقول له يجب أن تغادر مملكتنا الموروثة لنا وتعود إلى مملكة آذربيجان التي منحها إياك الميرزا شاهرخ وأن تقنع بها. ولما وصل الرسول إلى جهانشاه وأبلغه الرسالة وكان قد بلغه نبأ غير سار من طرف آذربيجان فأقض مضجعه، اعتبر وصول الرسول وطلبه الصلح والسلام فوزاً عظيماً وفرصة ثمينة لقبول الصلح والرضاء به وأسرع إلى اصطحاب الميرزا يادكار محمد بن الميرزا سلطان محمد بن الميرزا بايسنقر بن الميرزا شاهرخ معه وعاد إلى آذربيجان. وهكذا سنحت للميرزا سلطان أبي سعيد الفرصة لدخول هراة من غير قتال والجلوس على عرشها الموروث له.

وفي خلال هذه المدة توفي إلى رحمة الله كل من الميرزا شاه محمود بن الميرزا أبي القاسم بابر، والميرزا إبراهيم بن الميرزا علاء الدولة.

سنة ٨٦٤/١٤٥٩-٦٠: فر قزل أحمد بك من ولاية الروم لاجئاً إلى خدمة حسن بك بن علي بك بن قرا عثمان بن قتلغ بك الآق قوينلو والي ديار بكر. فبادر السلطان محمد خان إلى أخيه إسماعيل بك وأهليه فأرسلهم جميعاً إلى جهة الروملي مخصصاً لهم وظائف يعيشون منها.

سنة ٨٦٥/١٤٦٠-٦١: أرسل السلطان محمد خان من يستولي على ولاية قزل أحمد بك، كما أن قلاع قسطموني وسينوب وطرابزون وقوينلو حصار ومدللو ويابچه دخلت تحت سلطان رجال الدولة العثمانية.

وفي هذه السنة انتقل إلى رحمة الله الميرزا علاء الدولة بن الميرزا بايسنقر، الذي كان يهيم على وجهه من يوم ماسمل عينيه أخوه في بلدة رشمدار فنقل نعشه منها إلى هراة ودفن بجانب والده وأخيه بها.

سنة ٨٦٦/١٤٦١-٦٢: في أولها نهض السلطان محمد خان لغزو بلاد أفلاق فعاد منها مقضي المرام.

وفي هذه السنة أيضاً زحف الميرزا جهانشاه من آذربيجان بقصد تأديب ابنه بير بوداق بفارس. وبعد وصوله إليه تقرر الصلح على أن يغادر پير بوداق فارس إلى بغداد، فعمل الإبن برأي الوالد وعاد جهانشاه إلى تبريز.

سنة ٨٦٧/١٤٦٢-٦٣: دعي قازقلو حاكم أفلاق إلى البلاط السلطاني فأبى الحضور فصدرت الأوامر السلطانية بنهب ولاية أفلاق وغزو الجيوش

الإسلامية لها، وأسند منصب قازقلو إلى أخيه. كما أن فتح ولاية هرسك وقلاع دراج وآزورنيق وولاية بوسنه كان في هذه السنة.

سنة ٨٦٨/١٤٦٣-٦٤: استولى الميرزا سلطان أبو سعيد على قلعة شاهرخية الواقعة على حدود تركستان وألقى القبض على الميرزا محمد جوكي بن الميرزا عبد اللطيف ابن الميرزا ألغ بك، الذي كان متحصناً بها. ثم عاد إلى خراسان.

سنة ٨٦٩/١٤٦٤-٦٥: توفي إبراهيم بك قرمان أوغلي فبادر أولاده إسحاق بك وپير أحمد إلى الذهاب إلى بلاط السلطان محمد خان الذي فوض إليهما حكومة والدهما، ثم حدث بين الأخوين قتال في أرمناك أسفر عن هزيمة إسحاق بك الذي لجأ إلى أوزن حسن بك والي ديار بكر. واستقل پير أحمد بك بحكومة قرامان.

سنة ٨٧٠/١٤٦٥-٦٦: في مستهلها استولى السلطان محمد خان على قلعة إلبصان. وفي هذه السنة انتاب مرض عضال الميرزا سلطان أبا سعيد ثم تماثل إلى الشفاء بعد بضعة أيام.

وفي أواخر هذه السنة زحف الميرزا جهانشاه إلى بغداد لدفع ابنه پير بوداق الثائر بها.

في سنة ٨٧١/١٤٦٦-٦٧: أرسل الميرزا جهانشاه كتاب بشارة فتح بغداد مع رسول خاص إلى الميرزا سلطان أبي سعيد، وذلك بعد أن حاصرها مدة سنة ثم استولى عليها وقُتل ابنه پير بوداق في أثناء ذلك.

سنة ٨٧٢/١٤٦٧-٦٨: وفي اليوم العاشر من شهر شوال نهض الميرزا جهانشاه من تبريز وتوجه نحو ديار بكر لقتال حسن بيك البايندوري، فبادر هذا إلى حشد جيشه والتحق به أخوه جهانكير بك مع أولاده مراد بك وإبراهيم بك ولما استشاروا القرآن، تفاؤلاً، ظهرت لهم هذه الآية «إذهب إلى فرعون إنه طغى».[1] هذا ولما وصل الميرزا جهانشاه إلى صحراء موش عين قاسم البروانجي من كبار قواده قائداً للطليعة فانكسر في أول صدام، مما جرأ جنود الآق قوينلي على الإغارة على الأطراف فأعملوا في جند خصمهم أسراً وقتلاً. فبعد أن أقام الميرزا جهانشاه بضعة أيام في موضع يقال له أبتور عاد من حيث

---

[1] سورة طه ٢٤.

جاء بعد مشاورة الأمراء. وأما القواد الآق قوينليون فقد قرروا العودة لأنه عاد من غير أن يلحق بهم ضرراً ولكن حسن بك لم يرض بهذا الرأي. وفي هذه الأثناء كان الميرزا جهانشاه قد نزل في سفح جبل بعد تنقله بمعسكره ثم سار إلى خوانجق من أعمال چبقجور، فبادر حسن بك بجيش جرار قوامه ستة آلاف فارس إلى الخروج من معسكره وتعقب خصمه وخاض غمار الحرب فجاءه نبأ من الطليعة بأن الميرزا جهانشاه أرسل جيشه قبله وهو نائم في أحد المنازل ومعه بضعة رجال، فحث حسن بك السير حتى وصل إليه في مبيته، ولما أخبروه بوصول العدو ركب جواده على الفور وإذا بمجهول يلحقه ويضربه ضربة منكرة فصاح جهانشاه قائلاً لا تقتلني يا هذا واحملني إلى حسن بك حتى يجازيك على عملك هذا ولما سقط على الأرض مغشياً عليه فصل الرجل رأسه عن جسمه وأخفاه خوفاً من أن يلحقه ضرر من ذلك وأخيراً عرف القاتل حيث وجد جواد جهانشاه وعدته فأفضى ذلك إلى إظهار الرأس التي أخذها حسن بك فأرسلها إلى أبي سعيد بخراسان. ثم ألقى القبض على ولدي جهانشاه وهما محمدي ويوسف فقتل الأول وسمل عيني الثاني وعاد حسن بك منتصراً إلى جهة مشتاه المعتاد.

سنة ٨٧٣/١٤٦٨-٦٩: في مطلعها زحف الميرزا سلطان أبو سعيد بجيش لجب من خراسان إلى آذربيجان لينتقم لجهانشاه من حسن بك البايندوري. فبمجرد وصول موكبه الشاهاني نزل قرية ميانه واتخذها معسكراً لجيشه ولراحته، لكن ظهر برد شديد وسحاب كثيف منع ظهور الشمس والنجوم مدة مديدة فجمع الميرزا سلطان أبو سعيد أمراءه وقواده واستشارهم في صدد المكان الذي يمضون الشتاء به فأشاروا جميعاً بمشتى قراباغ الذي يشتو به حسن بك يزحفون إليه ويخرجونه منه ويشتون فيه بدله. فسارت الرايات العالية نحو قراباغ أران، ولما بلغ الجيش مسافة سبعة فراسخ من قراباغ رأى أرباب الرأي أن الأولى أن يغادروا هذا المكان لقلة المأكولات والمؤن إلى جهة محمود آباد وقزل اغاج حتى يضمنوا التحاق شيروانشاه الذي كان يدّعي الصداقة ويود الانضمام إلى جيش الميرزا سلطان أبي سعيد. فرحلوا بهذه النية نحو شيروانشاه ومروا في طريقهم بصحراء عشبها سم زعاف ماتت كل دابة أكلت منه شيئاً، وبعد ذلك وصل الموكب الشاهي إلى غابة مغان وسهلها المنبسط فاتخذها الميرزا معسكراً له ولكن القحط والغلاء كانا قد بلغا حداً لا يطاق بسبب سيطرة حسن بك على الطرق ومنع المارة بها من تموين المعسكر السلطاني حتى بلغ ثمن منٍ من الغلة عشرة دنانير. إن وجدت.

وصفوة القول إنه بعد تبادل الرسل والرسائل الكثيرة بين الطرفين أرسل الأمير حسن بك السيد الأردبيلي بصفته رسولاً من قبله إلى الميرزا سلطان أبي سعيد، فذهب الرسول وعاد يقول إن الخراسانيين في حالة سيئة جداً ليس لهم مجال للثبات والمقاومة فلا يجوز الصلح معهم فإنهم عن قريب يفرون على أقبح وجه. فلذلك بادر حسن بك إلى الإذن بالانصراف للوفد الذي كان لديه من قبل الميرزا سلطان أبي سعيد. وما كاد الوفد يعود ويصل إلى بلاده وقبل أن يعرض رأيه على البلاط حتى ظهرت طلائع جيش حسن بك زاحفة، فترك بعض القواد الخراسانيين الخونة مخافرهم وانحازوا إلى العدو، واضطر الميرزا سلطان أبو سعيد إلى الفرار في ظهر اليوم السادس عشر من شهر رجب بكل تعب ومشقة، ولكن ولدي حسن بك شرعا في مطاردته وتعقبه حتى ألقيا القبض عليه وأتيا به إلى معسكر أبيهما في نصف الليل حيث شرب هذا السلطان العظيم كأس الشهادة في اليوم الثاني والعشرين من هذا الشهر وقد أرخ مولانا جلال الدين الدواني لمقتله.[1]

هذا ولما ارتحل الميرزا سلطان أبو سعيد في قراباغ إلى دار الآخرة كان له أحد عشر ولداً «ذكراً» هم: ميرزا سلطان محمود، ميرزا سلطان أحمد، ميرزا شاهرخ، ميرزا ألغ بك، ميرزا عمر شيخ، ميرزا أبو بكر، ميرزا سلطان مراد، ميرزا سلطان خليل، ميرزا سلطان محمد، ميرزا ولد، ميرزا سلطان عمر.

وفي هذه السنة أيضاً كان تمرد وعصيان پير أحمد بك قرامان أوغلي على السلطان محمد خان والي الروم، فاستولى على ولايته رجال السلطان وفوض آمرها إلى سلطان مصطفى عن طريق الإيالة والبكلريكية.

سنة ٨٧٤/١٤٦٩-٧٠: غاضب أوغورلو محمد ولد حسن بك أباه لأسباب عدة وتوجه إلى بغداد مستاء وممتعضاً ولم يلبث هنالك كثيراً حتى واصل سيره ولحق بالروم لخدمة السلطان محمد خان الذي أكرم وفادته وزوّجه بنته فولدت له كوده أحمد.

وفي هذه السنة توجه حسن بك بجيش كبير إلى جانب العراق العجمي واستولى عليه جميعاً ثم واصل سيره نحو فارس حيث قتل فيه يوسف ميرزا بن جهانشاه وأنعم بمقاطعة شيراز على عمر بك موصلو، ثم أعطاها إلى ابنه

---

[1] سلطان أبو سعيد كه در فر خسروري — چشم سپهر بير جواني چو او نديد
الحق چگونه كشته نكردد كه كشته بود — تاريخ قتل مقتل سلطان أبو سعيد

سلطان خليل وعاد بعد ذلك إلى تبريز. وضم الأمراء والجنود الخراسانيين الذين كان قد قبض عليهم في قضية الميرزا سلطان أبي سعيد إلى الميرزا يادكار محمد بن الميرزا سلطان بن الميرزا بايسنقر بن الميرزا شاهرخ ابن الأمير تيمور كوركان وأرسلهم إلى خراسان للاستيلاء عليها فلما وصل الميرزا يادكار إلى حدود بسطام ترامى إليه أن الميرزا سلطان حسين ابن الميرزا منصور بن الميرزا بايقرا بن الميرزا عمر شيخ بن الأمير تيموركوركان قد تسنم عرش السلطنة في هراة. فاضطر للسير نحو ولاية مازندران بسبب عدم استعداد جيشه. ولكن الميرزا حسين، الذي سمع بقدوم الميرزا يادكار محمد، اعتزم الزحف إليه في مازندران. فجاء الميرزا يادكار للقائه حتى موضع يقال له جناران حيث وقع القتال بين الفريقين بشدة عظيمة أسفر أخيراً عن هزيمة الميرزا يادكار الذي بادر بالرحيل إلى ناحية سمنان. وعاد الميرزا سلطان حسين إلى هراة.

سنة ٨٧٥/ ١٤٧٠-٧١: في مستهلها استولى السلطان محمد خان في ولاية الروم على قلاع أركيلي وآق سراي وكولك وكوكره وعلائية.

وفي هذه السنة استنجد الميرزا يادكار محمد الذي كان قد لجأ إلى سمنان بعد أن هزمه الميرزا سلطان حسين، بحسن بك وطلب منه المعونة فأرسل حسن بك جيوشاً جرارة من تركمان آذربيجان إليه فزحف بهم مرة أخرى إلى خراسان. فقابله الميرزا سلطان حسين في سبزوار حيث انفصل عنه جماعة من قواده الخراسانيين غير المخلصين له وانحازوا إلى جانب الميرزا يادكار محمد. فاضطر السلطان حسين إلى التقهقر والإنسحاب نحو مرغاب، ولكن الميرزا يادكار محمد واصل سيره إلى هراة فدخلها وتسنم عرشها ولم تمض على سلطنته مدة أربعين يوماً حتى أغار الميرزا سلطان حسين بعدة من رجاله في ليلة من الليالي من موضع يقال له بابا إلهي عليه في باغ زاغان وقبض عليه في إحدى حجرات قصور باغ زاغان وقتله. وهكذا صار السلطان حسين ملك خراسان وهراة.

سنة ٨٧٦/ ١٤٧١-٧٢: أسند الميرزا سلطان حسين منصب إمارة الديوان الأعلى إلى جناب الأمير الكبير نظام الدين علي شير. وخوّله الحق في تقدم جميع الأمراء في ختم الأحكام والعقوبات.

سنة ٨٧٧/ ١٤٧٢-٧٣: حارب الميرزا سلطان حسين في موضع چكمن من أعمال أندخود، الميرزا سلطان محمود ولد الميرزا سلطان أبي سعيد فهزمه وعاد إلى دار سلطنته هراة بالسعادة.

سنة ١٤٧٣/٨٧٨-٧٤: قدّم قليج أرسلان بك حاكم قلعة علائية الطاعة للسلطان محمد خان الذي عين له وظيفة وأقطع له مقاطعة كملجنه وبعض تيمارات في جهة الروم ايلي وأرسله إليها.

سنة ١٤٧٤/٨٧٩-٧٥: قامت رحى حرب ضروس بين السلطان محمد خان وبين حسن بك البايندوري في جهة بايبورت قتل في إحدى معاركها أوغورلو محمد ولد حسن بك وكان مع السلطان محمد وملازماً له من قبل. ولكن المعركة أسفرت عن هزيمة حسن بك وعودة السلطان ورجاله منصورين مظفرين إلى عاصمة ملكه.

سنة ١٤٧٥/٨٨٠-٧٦: في منتصفها استولى السلطان محمد خان على قلاع سلفكه وأرمناك وكفه ومنكوب.

سنة ١٤٧٦/٨٨١-٧٧: تيسر للسلطان محمد خان فتح ولاية قرا بغدان حيث لاذ حاكمها استيفان إلى الفرار.

سنة ١٤٧٧/٨٨٢-٧٨: استولى السلطان محمد خان عقب حرب طاحنة على قلعة اسكندرية واستولى على جزيرة ليمنوس صلحاً.

وتوفي في ليلة عيد الفطر من هذه السنة حسن بك البايندوري.

وفي الحقيقة كان سلطاناً عادلاً محباً لرعيته حريصاً على مصالحهم وقد وضع قانوناً بضبط جباية الأموال من الرعايا لا يزال معمولاً به في العراق وفارس وآذربيجان من ملوكها وحكامها. وكان أولاده الذكور سبعة هم: أغورلو محمد، مقصود بك، زينل بك، سلطان خليل، ميرزا يعقوب، ميرزا يوسف، ميرزا مسيح، وقد مات من هؤلاء أغورلو محمد وزينل بك في حياة أبيهما. وأما سلطان خليل فقد تسنم عرش السلطنة بعد وفاة أبيه وأقدم على قتل أخيه مقصود بك الذي هو باني جامع المقصودية في تبريز.

سنة ١٤٧٨/٨٨٣-٧٩: في ربيع هذه السنة ثار الميرزا يعقوب على أخيه سلطان خليل، فدارت رحا معركة دامية بين الأخوين في ضحى يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الثاني من السنة المذكورة على شاطئ نهر خوي أسفرت عن مقتل سلطان خليل، ثم بادر الميرزا يعقوب إلى الشخوص إلى تبريز والاستيلاء على مقاليد الأمور، وقد تابع كل من الميرزا يوسف والميرزا مسيح أخاهما الأكبر هذا.

سنة ٨٨٤/١٤٧٩-٨٠: أرسل السلطان محمد خان جيشاً مع علاء الدولة بك ذو القدر لمحاربة طائفة ذو القدر وانتزاع تلك الولاية من أخيه بداغ بك وإعطائها له. وبمجرد وصول علاء الدولة إلى هذه الولاية سقطت البلاد كلها في أيدي أولياء أمور الدولة.

وفي آخر هذه السنة أرسل السلطان محمد خان كدوك أحمد باشا لتسخير جزيرة پوليه فذهب إليها واستولى عليها.

سنة ٨٨٥/١٤٨٠-٨١: في مطلعها ندب السلطان محمد خان مسيح باشا لقتال حاكم ردوس، فبعث معه جيشاً عظيماً فذهب وخاض غمار حرب ضروس ولكنه عاد من غير أن ينال شيئاً من العدو.

وفي هذه السنة ندب قانصوي والي مصر الدواتدار باش بك مع جيش عربستان لتسخير ديار بكر. فلما علم الميرزا يعقوب بهذا النبأ أراد أن يقوم بنفسه بمهمة الدفاع ولكن الأمراء والقواد لم يوافقوه على ذلك وعلى هذا تقرر إرسال جيش بقيادة الأمراء بايندور بك، وسليمان بك بيژن أوغلي وصوفي خليل موصلو فجاءوا إلىالرحا يستقبلون العدو المغير والتقى الجمعان في ضواحي البلدة المذكورة فأسفرت المعركة عن إلقاء القبض على باش بك الدواتدار وعدة من رفقائه وقتلهم جميعاً. فمنح الميرزا يعقوب مقاطعة أصفهان لبايندور بك مكافأة له.

سنة ٨٨٦/١٤٨١-٨٢: مات السلطان محمد خان في تكور چايري اسكودار وقد كان في الحادية والعشرين حينما تسنم عرش السلطنة وحكم إحدى وثلاثين سنة. وخلفه بعد وفاته ابنه الصادق السلطان بايزيد خان في محمية دار السلطنة القسطنطينية.

فصل في ذكر خيرات السلطان محمد خان طاب ثراه

أولاً حول كنيسة آياصوفيا إلى مسجد التي لم يكن لها نظير من يوم ما خلقت الدنيا والتي كانت منذ سنين كثيرة وقرون عديدة. في رواية أكثر من ألف وثلاثمائة سنة معبداً للأصنام والأوثان. وأهل الكفر والظلام، وبغض النظر عن هذا الجامع فقد أنشأ جامعاً عظيماً في غاية الجلال والعظمة في مكان عال وسط المدينة، وأتم بناءه في ثماني سنوات. وأنشأ المدرسة المعظمة

المسماة ثمانية لم ير الدهر مثيلاً لها، وهي منذ ذلك الوقت مجمع العلماء والفضلاء، يشتغل بالعلم فيها كل سنة ماية وخمسون طالباً فيتخرج منهم الموالى العظام والأفاضل الكرام. ويصرف لكل منهم راتب قدره خمسماية آقجه، ويصلون إلى مرتبة القضاة في مكة المعظمة والمدينة المنورة ومصر القاهرة والشام وبغداد ودار السلطنة وأدرنه وحلب وديار بكر وتبريز، وبعد ذلك قد يبلغون بحسب استعدادهم وكفايتهم إلى منصب قاضي العسكر ومفتي الزمان. وله مسجد جامع آخر ومدرسة عالية وبجانبها زاوية لتوزيع الطعام على «الأعالي والأداني». في جوار سيدنا أيوب الأنصاري الذي كان من صحابة سيدنا الرسول عليه السلام.

وسيدنا أيوب هذا هو الذي كان مع جيش المسلمين جاء لفتح القسطنطينية بعد ثلاث وخمسين سنة من الهجرة النبوية فمات هنالك ودفنوه خفية. ففي عهد السلطان محمد خان اكتشف الشيخ آق شمس الدين قدس سره العزيز بطريق الكشف والكرامة قبر ذلك العزيز. وكذا بنى السلطان مسجداً جامعاً جميلاً وصومعة شريفة للدراويش. وله مبرات وخيرات أخرى كثيرة.

فصل في ذكر العلماء والمشايخ المعاصرين للسلطان محمد خان

- مولانا شمس الدين أحمد الكوراني: كان في الأوائل معلم السلطان ثم صار قاضي العسكر ومفتي الزمان.

- مولانا خضر بك: كان مدرساً في مدرسة السلطان في بورسا وهو أول قاضي تركي عين في القسطنطينية.

- قدوة نحارير الأمم علي قوشچي: وشهرته تغني عن ذكره وشرح حاله، فهو في الأصل من أتراك ما وراء النهر وكان والده قوشچي زاده. ويحتمل أن يكون من قبائل قوشچي التي هي عمدة عشائر الأتراك. ومهما يكن فإنه حصل في شبابه علوم الحكمة والهيأة ونبغ فيها حتى صار في مقدمة العلماء الماهرين فيها، ولذا كان مقرباً لدى الميرزا ألغ بك كوركان الذي كان يخاطبه بقوله يا بني. ولقد بنى بالاتفاق مع الميرزا رصداً في بلدة سمرقند وعمل زيجاً. جاء إلى آذربيجان بعد مقتل الميرزا ألغ بك فأكرم وفادته حاكمها حسن بك البايندوري

وأرسله على رأس وفد إلى بلاط السلطان محمد خان والي الروم. ولكن السلطان أبقاه لديه ولم يأذن له بالعودة. فعينه أولاً مدرساً في المدرسة السلطانية في بورسا وأخيراً أتى به إلى استانبول وعينه في مدرسة الثمانية بعد إتمام بناءها وعين له وظيفة ماية وخمسين آقجه عثماني يومياً مع قرية حسنة الموقع.

- مولانا خسرو: كان من أفاضل العصر وأساتذة الدهر الكمل أسند إليه قضاء استنبول وغلطة واسكودار مع التدريس في جامع أيا صوفيا.

- مولانا شمس الدين أحمد الشهير بخيالي: كان في إحدى مدارس ازنيق مدرساً وله حاشية بديعة على «شرح العقائد».

- مولانا مصلح الدين القسطلاني: كان في أول الأمر يشغل منصب القضاء في ثلاث مدن. وقد أسند إليه منصب قاضي الأناضول حين قسم منصب قاضي العسكر إلى منصبين.

- مولانا مصلح الدين البورسوي: اشتهر بخواجه زاده وقد عين قاضياً للعسكر وعمره ثلاثة عشر عاماً.

- مولانا حسن الصامسوني: كان رئيس علماء عصره في المعقول والمنقول وكان أول الأمر معلم السلطان ثم صار قاضي العسكر.

- مولانا عبد الكريم: كان مملوكاً مشترى للسلطان محمد خان ولكنه بجده واجتهاده نبغ في العلوم حتى صار زعيم علماء دهره ووصل إلى منصب قاضي العسكر ثم صار فقيه الزمان.

- مولانا محمد الشهير بحاجي حسن زاده: كان ماهراً في العلوم النقلية ليس له فيها نظير.

- مولانا فخر الدين زاده: وهو من مواليد هراة وله تآليف كثيرة، اشتهر بين علماء الروم بمصنفك. وعين له كل يوم ثمانين آقجه حينما قدم إلى بلاد الروم.

- مولانا سراج الدين الشهير بچلبي زاده: وهو الذي نقله الأمير تيمور من حلب وهو صغير السن إلى ما وراء النهر. ولكن مولانا عاد أخيراً إلى بلاد الروم وصار مدرساً بأدرنه.

- مولانا سنان باشا: وهو ابن خضر بك بن جلال الدين. كان أول الأمر معلم السلطان محمد خان ثم بلغ رتبة الوزير في آخر عمره.

- مولانا محيي الدين: اشتهر بين العلماء بأخوين وله «حاشية على التجريد» في غاية الجودة.

- مولانا عبد اللطيف: كان غاية في العلم والفضل، عهد إليه التدريس بمدرسة الثمانية مدة من الزمن.

- مولانا محيي الدين الشهير بكوبر لو زاده: بلغ منصب قاضي العسكر.

- مولانا أحمد باشا بن ولي الدين الشهير بولي الدين أوغلي: كان غاية في الفضل والعلم والفقه فكان أول الأمر قاضي بورسا، ثم صار قاضي العسكر وأخيراً وصل إلى رتبة الوزارة ثم عزل عنها فأعطي له ربع سنجاق بورسا لمعاشه.

هذا وكان من مشايخ السلطان الغازي المجاهد العظيم، الشيخ أبو إسحاق آق شمس الدين القونوي، وحضرة الشيخ أبو الوفاء القونوي، والشيخ حاجي خليفة الاستنبولي، والشيخ قوجوي خليفة وغيرهم الذين إذا ذكرناهم طال بنا الأمر عليهم الرحمة والغفران.

سنة ٨٨٧/١٤٨٢-٨٣: في مطلعها حدث ميلاد الأمير سليم خان باليمن والسعادة.

وفي هذه السنة كانت عودة السلطان جم أخي السلطان بايزيد خان من زيارة الحرمين الشريفين زادهما الله تعظيماً وتكريماً حيث ألقى بنفسه بين طائفتي طورغود وورساق، فألف منهما جيشاً ناوأ به السلطان بايزيد خان فلما لحقته الهزيمة المنكرة ولم يبق له وجه للبقاء في بلاد الروم بادر إلى الركوب في سفينة متجهة إلى بلاد الفرنج.

وفي هذه السنة صار وزيراً إبراهيم باشا بن خليل باشا، الذي كان قاضي عسكر الروم. وصار مولانا علاء الدين الفناري قاضي عسكر الروم والأنضول وتوفي في هذا المنصب.

سنة ٨٨٨/١٤٨٣-٨٤: شرع السلطان يعقوب بن حسن بك في بناء عمارة هشت بهشت الشهيرة في تبريز وأتمها في زمن وجيز.

سنة ٨٨٩/١٤٨٤-٨٥: أكرم السلطان بايزيد خان أحمد باشا بن شمس الدين محمد الفناري بمنصب الوزارة الجليلة وبعد مدة يسيرة عزله عنها.

سنة ١٤٨٥/٨٩٠-٨٦: سقطت قلعتا ورساق وأدنه في أيدي عمال السلطان بايزيد خان.

سنة ١٤٨٦/٨٩١: عزل مولانا محيي الدين محمد الذي كان قاضي عسكر الروم إيلي عن منصبه، ثم توفي وعين مولانا ولدان قاضياً لعسكر الروم إيلي.

سنة ١٤٨٦/٨٩٢-٨٧: أمضى الميرزا سلطان حسين الشتاء في ولاية مرو وفوض أمر ولاية استر آباد إلى الأمير نظام الدين عليشير.

سنة ١٤٨٧/٨٩٣-٨٨: قتل سلطان حيدر بن الشيخ جنيد الذي هو ابن أخت حسن بك في طبرسران على أيدي جيش سليمان بك بيژن أوغلي الذي كان قد جاء من قبل السلطان يعقوب لنجدة فرخ يسار والي شيروان.

سنة ١٤٨٨/٨٩٤-٨٩: وفي الثاني عشر من ربيع الأول خطب الميرزا سلطان حسين كريمة الميرزا ألغ بك بن الميرزا سلطان أبي سعيد، لنجله الميرزا محمد معصوم فأحضرت العروس من إقليم كابل بحفاوة عظيمة إلى دار السلطنة هراة.

سنة ١٤٨٩/٨٩٥-٩٠: انتاب المرض في مشتى قراباغ كلاً من السلطان يعقوب وأخاه يوسف بك ووالدته. فأما والدته فقد توفيت في اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة، ولكن نبأ وفاتها أخفي عنهما أثناء مرضهما.

سنة ١٤٩٠/٨٩٦-٩١: في ليلة الجمعة العاشر من محرم هذه السنة توفي يوسف بك أخو سلطان يعقوب واشتد مرض سلطان يعقوب حتى ارتحل إلى دار البقاء عقب والده ووالدته وأخيه في عصر يوم الخميس من شهر صفر. وتسنم عرش السلطنة ولده بايسنقر ميرزا بفضل مساعي ونجدة صوفي خليل وأمراء موصلوا. ونشب خلاف شديد بين أمراء الآق قوينلو. فمن ذلك أن بايندور بك الذي كان من عظماء الأمراء بالرغم من صوفي خليل نحي مسيح بك ولد حسن بك في العراق عن السلطنة، الأمر الذي أفضى إلى نشوء قتال عنيف بينه وبين صوفي خليل أسفر عن مقتل مسيح بك وأسر رستم بك حسن بك وحبسه في قلعة لنجق وفرار محمود بك ابن أغورلو محمد بن حسن بك إلى همذان حيث نصبه شاه على برناك سلطاناً للبلاد واضطر صوفي خليل لسوق جيش إلى تلك الجهات حيث تمكن منه وقتله في ناحية بروجرد. وفي خلال هذه الحوادث شق عصا الطاعة سليمان بك بيژن أوغلي من ديار بكر على صوفي خليل

فحدثت ملحمة عظيمة بين الفريقين في ظاهر قلعة وان أسفرت عن مقتل صوفي خليل وهكذا صار بيژن أوغلي وصياً على دولة بايسنقر.

في سنة ٨٩٧/١٤٩١-٩٢: اتفق إبراهيم بك بن دانا خليل قاجار الذي كان مشهوراً باسم أبيه السلطان، مع قرق سيدي على حاكم قلعة ألنجق وأطلقا سراح رستم بك بن مقصود بك وأخرجاه من القلعة ثم وجهاه إلى قتال بيژن أوغلي الذي انفضّ من حوله الأمراء فلاذ بالفرار إلى ديار بكر حيث قتل بها على يد نور علي بك أخي أبيه سلطان الكير. كما أن بايسنقر بك فر هارباً إلى جده لأمه فرخ يسار حاكم شيروان. وهكذا جلس رستم بك في أوائل رجب على عرش السلطنة في تبريز واستتب الأمن وسكنت الفتن نوعاً ما. وفي هذه السنة استولى السلطان بايزيد خان في ولاية الروم على قلعة دپه دلن وعلى ولاية الارناؤد.

سنة ٨٩٨/١٤٩٢-٩٣: ثار كوسه حاجي حاكم أصفهان على رستم بك فنهض رستم بك إلى العراق لمناهضته وسبقه القواد في السير واتصلوا بكوسه حاجي على حدود قم وتمكنوا من قتله. حيث قال مولانا شهيدي في ذلك:

«إيها الملك قصدت بلدة قم فوجدت فتحاً آخر ضربت رقبة حاجي وجدت الكعبة».[1]

وفي هذه السنة قامت رحى معارك طاحنة في حدود كنجه وبردعه بين رستم بك وبايسنقر بك ولد سلطان يعقوب فقتل هذا الأخير.

في سنة ٨٩٩/١٤٩٣-٩٤: توفي الميرزا سلطان أحمد النجل الأكبر للميرزا سلطان أبي سعيد كوركان، الذي كان قد تولي السلطنة بعد قضية أبيه في سمرقند وذلك بعد حكم موفق دام سبعاً وعشرين سنة، وخلفه أخوه الصغير الميرزا سلطان محمود. وفي ليلة الأحد رابع رمضان من هذه السنة توفي الميرزا عمر شيخ ولد الميرزا سلطان أبي سعيد الذي كان في عهد والده والي فرغانه وبعده سلطانها المستقل. وفيها كان يقاتل ويخاصم أخويه الميرزا سلطان أحمد والميرزا سلطان محمود. وسبب موته سقوطه يوماً من سطح برج الحمام في أخسى إحدى قصبات مقاطعة أندجان، وخلفه على العرش ولده الأرشد ظهير الدين ميرزا بابر الذي استولى في مدة وجيزة على بعض قلاع تركستان.

---

[1] عزم قم كردي شها وفتح ديكر يافتى كردن حاجي زدي وكعبه‌را در يافتى

سنة ٩٠٠/١٤٩٤-٩٥: في منتصف المحرم توفي بأجله الموعود الميرزا سلطان محمود ولد الميرزا سلطان أبي سعيد، الذي كان سلطان سمرقند بعد أخيه الأكبر. وخلفه نجله الأكبر الميرزا بايسنقر الذي بادر إلى سمل عيني أخيه الصغير خشية أن ينازعه في الحكم ولكن نور بصره لم يضع تماماً.

سنة ٩٠١/١٤٩٥-٩٦: في مطلعها فر الميرزا سلطان علي من سمرقند هارباً إلى بخارى حيث حشد جيشاً ضخماً وعاد به إلى سمرقند، فلم يثبت له أخوه الميرزا بايسنقر ولم يستطع المقاومة فاختفى في داخل المدينة حتى تمكن من الهرب سراً وذهب إلى شادمان لمحاصرتها، وهكذا أتاح الفرصة للميرزا سلطان للجلوس على عرش سمرقند.

سنة ٩٠٢/١٤٩٦-٩٧: لاذ بالفرار كوده أحمد بن أغور لو محمد بن حسن بك من صهره السلطان بايزيد خان والي الروم وذلك بركوبه سفينة اتجهت نحو الأنضول، فنزل بها على مقربة من أرزنجان حيث أعد عدداً من الفرسان للذهاب به إلى آذربيجان، فركب وسار مع عدة من رجاله إلى تبريز حيث أمده حسين بك عليخاني الذي كان متزوجاً بنت أوغور لو محمد، بجيش مناسب فخرج على رستم بك وحاربه حتى غلبه وأعلن سلطنته في تبريز بعد مقتل رستم بك.

سنة ٩٠٣/١٤٩٧-٩٨: أراد كوده أحمد أن يعمل بموجب آداب وقانون آل عثمان ولكن الأمراء التراكمة رفضوا ذلك ولم يستسيغوها حتى إن حسين بك عليخاني ومظفر بك پرناك قاوماه مقاومة أدت إلى قتله إياهما، كما أن إيبه سلطان قاجار وقاسم بك برناك شقا عصا الطاعة في العراق عليه فبادر إلى الزحف إليهما معلناً خصومتهما، إلى الصغير والكبير، فبلغ أصفهان في فصل الشتاء حيث تلاقى الجمعان وأسفرت المعركة عن مقتل كوده أحمد الذي كان قصير القامة واليدين والقدمين شبهه بعض الظرفاء بالكرنبه الرومي حيث يشير إليه بعض الشعراء بقوله:

«الكرنبه الرومي جعلوها سلطان العالم ولما جاء فصل الشتاء أخفوها في التراب».[1]

سنة ٩٠٤/١٤٩٨-٩٩: شق عصا الطاعة محمدي ميرزا بن يوسف بك ابن حسن بك على أخيه ألوند بك الذي كان قد جلس على عرش آذربيجان بعد

---

[1] كلم روم كه سلطان جهانش كردند فصل دي آمد ودرخاك نهانش كردند

كوده أحمد. فحدثت معارك دامية بين الأخوين في عزيز كندي قتل فيها أيبه سلطان الذي كان وصياً على ألوند بك. وحالف النصر جانب محمدي ميرزا الذي بادر إلى دخول تبريز وإعلان استقلاله بها. وفي خلال هذه الحوادث أقدم أخوة أيبه سلطان على إخراج سلطان مراد ولد يعقوب بك من قلعة روين دژ حيث كان قد حبسه بها أيبه سلطان وذهبوا به إلى قاسم بك پرناك في شيراز.

سنة ١٤٩٩/٩٠٥-١٥٠٠: زحف محمدي ميرزا بجيش جرار إلى دار الملك شيراز لقتال سلطان مراد وقاسم پرناك وحدث الصدام بين الطرفين في نواحي أصفهان فكان أن انتصر محمدي ميرزا في بادئ الأمر، إلا أن عدم احتياطه أفضى إلى هزيمته ومقتله في المعركة مما أشاع الخلل بين طائفة الآق قوينلو.

وفي هذه السنة ندب السلطان بايزيد خان بالي بك للإغارة على بلاد له «پولونيا» كما كلف نصوح بك بمثل هذه المهمة في بلاد أروس «روسيا؟». أما الأول فمن كثرة البرد والثلوج لم يتمكن من أن يعمل شيئاً سوى هلاك الخيول والخلق وعاد مخذولاً، ولكن الثاني عاد حاملاً الكثير من الغنائم والأموال.

سنة ١٥٠٠/٩٠٦-١: استولى السلطان بايزيد خان في ولاية الروم على قلعتي متون وقرون.

وفي هذه السنة قضى بالحيلة والتزوير، شيبك خان «ابن بوداق سلطان بن أبي الخير خان بن دولت شيخ أوغلن بن ابني أوغلن بن فولاد أوغلن بن أينه خواجه بن توقيا بن بلغان بن شيبان بن جوجي» على الميرزا سلطان على بن الميرزا سلطان محمود بن الميرزا سلطان أبي سعيد كوركان، وقتله وجلس في سمرقند على عرش سلطنة كوركان وامتد سلطانه على جميع ممالك ما وراء النهر التي خضعت أكثر من مائة وثلاثين سنة لحكم سلاطين چغتاي.

سنة ١٥٠١/٩٠٧-٢: كان خروج الشاه إسماعيل الصفوي في إيران. «وهو شاه إسماعيل ولد سلطان حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ علي بن الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفي الدين اسحاق». والشيخ صفي الدين يصل نسبه في ثمانية عشر بطناً إلى الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه، وأول من جاء من هؤلاء الأجداد العظام إلى أردبيل هو السيد فيروز شاه زرين كلاه «ذو القلنسوة الذهبية» حيث التف حوله أناس كثيرون يعتقدون فيه لما كان عليه من الزهد والصلاح وكثرة العبادة والانقطاع عن الناس. وفي عهد المغول والسلاطين الجنكيزية زاد اعتقاد الناس به، ولا سيما الأمير چوبان

الذي صار من أخلص وأعظم مريدي الشيخ صفي الدين عليه الرحمة مما جعل أكثر أعيان وزعماء المغول أن ينخرطوا في سلك مريدي الشيخ والمتعلقين به تعلقاً تاماً، وهكذا ذاع صيته وشاع أمره فأصبح له في أنحاء البلاد ولا سيما البلاد الإيرانية مريدون وأتباع كثيرون يفدونه بالروح والمهج، مما جعل الأمير چوبان يسأل الشيخ يوماً أثناء المصاحبة والحديث بقوله هل عدد جنود السلطان أكثر أم عدد مريديك؟ فأجاب الشيخ بقوله في إيران عدد مريدينا ضعف جنود السلطان. هذا وأخيراً في عهد أوزون حسن البايندوري حسن اعتقاد هذا في الشيخ جنيد حتى زوجه أخته خديجة خاتون التي ولدت له السلطان حيدر.

ولما تولى السلطنة السلطان يعقوب وتزوج ببنت فرخ يسار والي شيروان ومراعاة لها منع سلطان حيدر الذي هو ابن عمته، والذي كان يذهب كل سنة لجهاد وغزو الچركس عن طريق شيروان، من غزوه لهم. ولكن سلطان حيدر لم يرضخ له بل تمادى في خصومته لفرخ يسار وسافر لغزو الچركس حسب الطريقة المعهودة فأرسل سلطان يعقوب ليمنعه سليمان بك بشير بن أوغلي وأبيه سلطان القاجاري وليعاونوا السلطان فرخ بشيروان. فاجتمعت جيوش التراكمة مع الشيروانيين في طبرسران وقطعوا الطريق على الصوفية «جنود سلطان حيدر ومريديه» وقاتلوهم حتى قتلوا سلطان حيدر. وكان لهذا ثلاثة أولاد ذكور هم: سلطان علي وسيد إبراهيم وشاه إسماعيل الذين كانوا ولدوا من أخت السلطان يعقوب وكانوا صغاراً فلذا بادر السلطان يعقوب بحبسهم في بادئ الأمر في قلعة اختمار، ثم نقلوا إلى قلعة اصطخر شيراز ولبثوا معتقلين بها مدة أربع سنوات ونصف سنة حتى إذا ما حان أجل السلطان يعقوب وألقيت أزمة أمور التراكمة في قبضة رستم بك ولد مقصود بك، تفضل رستم بك بشفاعة من عمته فأطلق سراحهم وأحضرهم إلى تبريز وألحقهم بخدمته في البلاط. وحدث أن قامت في خلال ذلك حرب ضروس بين رستم بك وبين بايسنقر فظهرت من سلطان علي في تلك المعارك شجاعة وقوة فأوجس رستم بك خيفة من هذه البسالة الفائقة وساوره القلق من جهة سلطان علي، فجعل كل همه وديدنه خلق الأسباب للقضاء عليه، ولذا بادر إلى إرسال كل من أبيه سلطان القاجاري وحسن بك عليخاني إلى أردبيل بنية القبض على سلطان علي وإخوته، فقاتلهما سلطان علي مقاتلة شديدة واستشهد في إحدى المعارك ولاذ الشاه إسماعيل مع أخيه بالفرار ولجأ إلى كاركيا ميرزا علي والي كيلان بيه. وقد أرسل رستم بك إلى كاركيا ميرزا علي عدة مرات يطلبه منه فكان كاركيا

ميرزا يرفض إجابة الطلب معتذراً. حتى إذا بلغ الشاه إسماعيل الثالثة عشرة من عمره خرج من كيلان قاصداً الاستيلاء على السلطنة وأمضى الشتاء في أرجوان، ثم توجه في أول فصل الربيع إلى جهة منكول عند عشيرة استاجلو حيث التف حوله سبعة آلاف فارس، وساروا حتى اجتازوا نهر الكر عند قيون أولمي، فوجدوا فرخ يسار في انتظارهم مع جيش قوامه عشرون ألف فارس وستة آلاف راجل على أهبة الاستعداد للقتال، فالتحم الجمعان وحدثت معارك طاحنة قتل فيها فرخ يسار مع أعيان وزعماء شيروان، ونجا شيروانشاه برأسه بحصوله على سفينة والهروب بها إلى جهة گيلان. واستولى الشاه إسماعيل في شتاء ذلك العام على بعض ولايات شيروان وأمضى الشتاء في محمود آباد، وتوجه منها إلى مقاتلة ألوند بك بن يوسف بك بن حسن بك في جهة نخجوان. فحدث المصاف بينهما في بلدة شرور من أعمال تلك الجهة فقتل في تلك المعارك الدامية كل من ألوند بك مع عدد من أعيان التركمان منهم قرجغاي محمد ولطيف بك وسيد غازي بك وأولاد پيلتن بك كما قتل معهم سبعة آلاف مقاتل. وعاد الشاه إسماعيل من هنالك إلى دار السلطنة تبريز ظافراً فزين رؤوس المنابر ووجوه الدنانير باسمه الكريم، وأسند منصب أمير الأمراء إلى حسين بك شاملو والصدارة للقاضي شمس الدين الجيلاني الذي كان معلمه وأسند منصب الوزارة للأمير زكريا التبريزي.

سنة ٩٠٨/١٥٠٢-٣: اجتمع في بلاط السلطان بايزيد سفراء ورسل من لدن السلاطين العظام والخواقين الكرام في يوم واحد. فكان الأول من قبل راي الهند، والثاني من قبل عزيز مصر، والثالث من قبل حاكم أنكروس، والرابع من قبل ملك (قرال) پولونيا، والخامس من قبل حاكم أفلاق، والسادس من قبل سلطان العجم.

وفي هذه السنة نهض الشاه إسماعيل من تبريز قاصداً الاستيلاء على العراق فاستعد للقائه سلطان مراد بن سلطان يعقوب حيث توجه بجيش جرار قوامه سبعون ألف فارس من قشلاق ويلكان نحو همذان، فالتقى الجيشان صفين في مصيف في المه قولاغي ودارت بينهما رحى معارك دامية أسفرت أخيراً عن اندحار جيش سلطان مراد، ومقتل أمير أمرائه المسمى كوزل أحمد بايندوري ومعه عشرة آلاف من التركمان مما جعل سلطان مراد يلوذ بالفرار نحو شيراز لا يلوي على شيء. ولكن الشاه إسماعيل الذي سمي خصمه «نامراد» طارده مطاردة شديدة حتى حدود فارس.

سنة ٩٠٩/١٥٠٣-٤: دخل الشاه إسماعيل إقليم فارس فاتحاً واستقر في دار الملك شيراز هنيهة، ثم عمد إلى قتل خطباء كازرون حيث كانوا من أهل السنة والجماع ونهب بيوتهم وأموالهم جميعاً. وأقطع حكومة شيراز بطريق أوجا قلق لإلياس بك ذي القدر الشهير بكجل بك «البك الأقرع» وهكذا بقيت هذه الولاية في عهدته وأعقابه خمسين سنة. وبعد ذلك سار حتى فتح قلاع گلخندان وفيروز كوه وأستا. ووضع حسين كياي الجلاوي الذي كان قد قتل إلياس بك إيقوت أوغلي استاجلوي حاكم الري، في قفص من حديد وسلط عليه من العذاب حتى انتحر، كما أن الصوفية[1] عمدوا إلى قتل مراد بك جهان شاملو الذي كان رفيق حسين كيا وجعلوه كبابا «شواء» وأكلوه ليكون عبرة. وفي خلال هذه الحوادث غاضب محمد حسين ميرزا ولد سلطان حسين ميرزا، والي خراسان، أباه واستاء منه، فقدم على الشاه إسماعيل حيث وجد كل حفاوة وتكريم. كما أن سلطان حسين أخا كاركيا ميرزا علي والي گيلان قد وصل إلى بلاط الشاه إسماعيل أيضاً، فلقي تكريم وحفاوة بالغة فعاد إلى بلده مقضي المرام.

سنة ٩١٠/١٥٠٤-٥: أمضى الشاه إسماعيل الصيف في سورلق وتخت سليمان بعد أن انقطع أمل سلطان مراد ولد سلطان يعقوب في إقليم فارس وسار إلى بغداد خائباً خاسراً. كما أنه أمضى الشتاء بعد ذلك في أصفهان حيث امتد سلطانه خلال هذه السنة على بلاد أبرقوه ويزد وكرمان. ثم أسند إيالة تلك البلاد إلى حسين بك لاله شاملو، كما أسند إيالة كرمان إلى خان محمد استاجلو. وأقدمت الطائفة القزلباشية على نهب وقتل أهالي ولاية طبس بالرغم عن الميرزا سلطان حسين.

سنة ٩١١/١٥٠٥-٦: أمضى الشاه إسماعيل الشتاء في طاروم قزوين بقصد غزو ولاية گيلان بيه پش «گيلان بيه السفلى» التي كانت تحت تصرف الأمير حسام الدين. ولكنه عدل أخيراً عن هذا القصد بفضل شفاعة الشيخ نجم الدين الگيلاني زركر وهنا ألقي القبض على جلبان بك الخلخالي وقتل.

وفي أواخر هذه السنة انتقل الميرزا سلطان حسين من دار الفناء إلى دار البقاء وكان سلطاناً سعيداً من حيث الدولة والإقبال والعمر المديد، وكان محباً للعلماء والفضلاء يقربهم ويغدق عليهم، فقد كان الطلبة والمدرسون مميزين في عهده. وقد بنى لهم شارع في مدينة هراة ومدرسة وعمارة ليس لها نظير في

[1] أي أتباع الشاه إسماعيل الصفوي ويسمون القزل باش. المترجم.

إيران وتوران ولا في أكثر أنحاء الدنيا، وكان في هراة في عهده إثنا عشر ألف طالب علم وشاعر وكاتب وغيرهم من أرباب الحرف والصنائع تجري عليهم الجرايات من قبل جميع الأمراء والوزراء والسلاطين، فكان إقليم خراسان عامراً في عهده عمراناً لم يسبق له نظير في وقت من الأوقات، إذ بنى في مدينة هراة حدائق غناء وعمارات عالية فمنها حديقة مراد «باغ مراد» الواقعة بين المدينة وكازركاه، وقد أقام بها بيوتاً كثيرة وقصوراً أنيقة تغنى الشعراء والفضلاء القصائد الغراء في وصف عماراته. ولما كان السلطان مغرماً بالإكثار من بناء القصور وإنشاء الحدائق، فقد انهمك أمراء وقواد ذلك الزمان، أيضاً، في الإكثار من العمارات والحدائق الأنيقة، ولا سيما ما بناه المعمار العادل الأمير الكبير نظام الدين عليشير في البلدة المذكورة من المدارس والمساجد والزوايا ودار الشفاء والحدائق مما لم يسمع به في عصر من العصور.

هذا وكان الميرزا سلطان حسين في أيام شبابه يقضي بعض أوقاته في ملازمة الميرزا سلطان أبي سعيد في ما وراء النهر، ويمضي البعض الآخر في خدمة الميرزا أبي القاسم بابر في خراسان، ولما مات الميرزا أبو القاسم بابر حدث قتال بين ابنه الميرزا شاه محمود وبين الميرزا إبراهيم ولد الميرزا علاء الدولة، إذ انتهز الفرصة جهانشاه ولد قرا يوسف فقدم من العراق بقصد الاستيلاء على استر آباد؛ كما أن الميرزا سلطان أبي سعيد جاء من وراء النهر للاستيلاء على خراسان، فلما تم للميرزا جهانشاه الاستيلاء على استر آباد من الميرزا إبراهيم وعهد بحراستها إلى حسين سعد لو هاجمه الميرزا سلطان حسين وكسره شر كسره وأخذ منه استر آباد. ولما استولى الميرزا سلطان أبو سعيد على ولاية خراسان انتزع استر آباد أيضاً من المستولى عليها وهو الميرزا سلطان حسين الذي اضطر إلى أن يهيم على وجهه في صحارى خوارزم زهاء عشر سنوات على طريقة القازاق «يوسون قازاق» معادياً الميرزا أبي سعيد. ولما جاء خبر وفاة الميرزا سلطان أبي سعيد ومقتله إلى الميرزا سلطان حسين في أبيورد أرسل بعض الأمراء لحراسة المشهد المقدس ونيسابور، وأما هو فقد توجه نحو مرو ومنها قدم إلى هراة وتمكن من الجلوس على عرش السلطنة.

وقد سبق أن ذكرنا في حوادث سنة ٨٧٥/ ١٤٧٠-٧١: أن الميرزا يادكار محمد بتعضيد من أوزون حسن نازع الميرزا سلطان حسين في أوائل سلطنته لخراسان حيث اضطر مدة من الزمن أن يمضي الأوقات في ميمنه وفارياب وسهول بادغيس وسواحل مرغاب حتى إذا وجد الفرصة ليلة ما أغار فيها من

بابا الهي فوصل صباحاً باغ زاغان هراة وتمكن من قتل الميرزا يادكار محمد وصار بعد ذلك حاكم خراسان المستقل. وقد بلغ حكمه المستقل ثمانية وثلاثين عاماً وأربعة شهور. وفي أواخر أيامه طمع في ملكه شيبك خان أوزبك وأغار على خراسان، فخف الميرزا حسين لمقاتلته خارج هراة وما أن قطع عدة مراحل من الطريق حتى حان أجله في مغرب شمس يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ذي الحجة من السنة المذكورة في موضع يقال له بابا الهي من أعمال بادغيس. وبعد أربعة أيام نقلوا نعشه إلى هراة ودفنوه في القبة التي كان بناها لتكون مقبرة له، وكان قد بلغ من العمر سبعين سنة وأصيب في آخر عمره بالفالج فلذا كان يجلس على محفة ولا يقدر على الركوب، وكانت طباعه أصبحت طباع الأطفال فكان يلعب ويلهو بالكباش والديكة وتطيير الحمام، ولكنه لم يقصر قط في تقريب العلماء ورعايتهم وتشجيع أهل الأدب والفضل في أواخر عمره كما كان في أوائله. ومن جملة الأفاضل والعلماء النوابغ الذين نشأوا في كنفه حتى صار كل منهم فريد عصره ووحيد دهره، منهم مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي والأمير عليشير نوائي الطائر الصيت. غير أن أولاده لم يكونوا يطيعونه في شيخوخته، ودب الخلاف بينهم حتى تفاقم، ولذلك خرج الحكم من هذه الأسرة بعده بمدة قليلة. وهاك أسماء أولاده الذكور الذين هم أربع عشرة كما هو المشهور بين العوام (١) بديع الزمان ميرزا. (٢) مظفر حسين ميرزا. (٣) كپك ميرزا. (٤) أبو المحسن ميرزا. (٥) فريدون حسين ميرزا. (٦) محمد المعصوم. (٧) فرخ حسين. (٨) محمد حسين. (٩) إبراهيم حسين. (١٠) شاه غريب ميرزا. (١١) محمد قاسم. (١٢) أبو تراب. (١٣) ابن حسين. (١٤) حيدر محمد. وقد مات سبعة منهم في حياة أبيهم والسبعة الآخرون عاشوا بعده.

سنة ٩١٢/١٥٠٦-٧: في مطلعها بلغ مسامع الميرزا بابر بن الميرزا عمر شيخ ابن الميرزا سلطان أبي سعيد كوركان وهو في حدود غزنين وكابل، خبر وفاة الميرزا سلطان حسين وتحقق لديه أن شيبك خان مصمم على الاستيلاء على خراسان، فأخذ يفكر في الأمر ويقول إذا لم يتفق في هذه الآونة الدقيقة أحفاد الأمير تيمور ولم يوحدوا جهودهم أمام الأزبكين الطامعين في خراسان، فلا شك في أن شيبك خان سيلحق هذا الإقليم أيضاً لأملاكه، ويقضي على البقية الباقية من أسرة الأمير تيمور كوركان. وبعد تفكير طويل وتقليب الرأي على وجوه كثيرة استقر رأيه على أن يسرع إلى دخول دار السلطنة هراة ليجتمع بأولاد الميرزا سلطان حسين ويتداول معهم الرأي في حدود الدفاع عن البلاد. وتنفيذاً لغرضه الشريف هذا نهض من كابل متوجهاً نحو خراسان، ولما بلغ نبأ

هذا مسامع كل من بديع الزمان ميرزا ومظفر حسين ميرزا، خفا إلى استقباله وبالغا في إكرامه والحفاوة به حتى أنزلاه في منزل الأمير عليشير ضيفاً؛ وتبارى كل من الأخوين في إكرام وفادة الميرزا بابر. وفي خلال هذه الأيام ورد رسول من بلخ يقول إن شيبك خان قد نزل في ظاهر بلخ بجيش في عدد قطرات الأمطار لا نهاية له وحاصر المدينة. فبادر بديع الزمان ومظفر حسين بعد سماعهما هذا الخبر بالاتفاق مع الميرزا بابر وسائر الأمراء المتحمسين إلى عقد مجلس ثورة استقر الرأي فيه على قتال شيبك خان وعلى إرسال رسل ورسائل إلى الأمراء في أنحاء مملكة خراسان للحضور والاجتماع في الوقت الذي رافق الإخوة الثلاثة، الميرزا بديع الزمان ومظفر حسين ميرزا ومحمد قاسم، الميرزا بابر وغادروا جميعاً مدينة هراة ولما بلغوا موضعاً يقال له «چهل دختران بادغيس» التحق بهم أبو المحسن ميرزا قادماً من مرو، كما أن ابن حسين ميرزا قدم مع أمرائه وقواده وثوار خراسان من قاين والتحق بمعسكر الإخوة عند شاطئ مرغاب. ولكن كپك ميرزا، متعلقاً بخيال محال، لم يتحرك من مقره في المشهد المقدس ولم يرسل أحداً من رجاله وأركان دولته مدداً لإخوته، الأمر الذي أدى إلى قذف زجاج عزيمة الإخوة بالحجارة فكان أن فترت الوحدة بينهم تماماً. فلما رأى الميرزا بابر نفاقهم توجه نحو كابل. كما أن كل واحد من الأمراء عاد إلى مقر ملكه.

وفي هذه السنة خرج الشاه إسماعيل من سلطانية إلى مصيف قيد وأمضى الشتاء في خوى آذربيجان وخصص قسماً من جنوده لقتال «صارم الكردي المكري» وجعل قائدي جيشه هذا «عبدي بك شاملو» و «وصارو على المهردار» ولكنهما قتلا في أيدي الأكراد وعاد جيش القزلباش هذا خائباً وخاسراً.

سنة ٩١٣/١٥٠٧-٨: في غرة المحرم جرد شيبك خان جيشاً على خراسان فبادر كل من الميرزا بديع الزمان والميرزا مظفر حسين إلى حشد جيشهما الموجود ولقاء العدو المغير في موضع يقال له «مرل» من أعمال بادغيس فقتل في ساحة الوغى الأمير ذو النون الذي كان أمير الأمراء وحائز لمنصب حجلة الملك «الوصي» للميرزا بديع الزمان، مما أفضى إلى فرار كل من الأخوين من الميدان على أقبح حالة فلم يريا بعد ذلك وجه الدولة، فراح مظفر حسين إلى إستر آباد حيث توفي بها في هذه السنة، ولكن بديع الزمان قصد شجاع بك ولد الأمير ذي النون والي قندهار علّه يساعده، فلما رأى منه عدم الوفاء

اضطر إلى أن يعود إلى استر آباد. وأما شيبك خان فقد دخل دار السلطنة هراة وجلس على عرشها ومن هنالك وجه كلاً من تيمور سلطان وعبيد الله ملكان ولد محمود سلطان، إلى قتال ومطاردة كل من الميرزا كپك والميرزا أبي المحسن في جهة مشهد فلحقا بهما في موضع يقال له «سنكك بست» على فرسخين من مشهد وحارباهما فاستشهدا في المعركة، وتم استيلاء شيبك خان على مملكة خراسان كلها وخرجت من أيدي الجغتائيين نهائياً.

وفي هذه السنة نهض الشاه إسماعيل لتسخير ولاية مرعش ودفع طائفة «ذو القدر»، ولما بلغ أطراف بلدة قيصريه باغت جماعة ذو القدر ليلاً جيش الشاه وكانت غنائمهم قليلة ثم تشتتوا أخيراً في الجبال ولم يتجمعوا بعد ذلك، أما الشاه إسماعيل فقد واصل السير والغزو حتى تورنا طاغي «جبل تورنا» ثم عاد منه إلى قلعة خربرت التي كانت ملكاً لطائفة «ذو القدر» وفتحها.

وفي أثناء ذلك قدم أميرخان موصلو والي ديار بكر طاعة قومه وعشائره إلى الشاه إسماعيل مسلماً ديار بكر إلى عماله، فشمله الشاه بعطفه وثقته وأقطع ولايته و«الكا» لخان محمد ولد ميرزا بك استاجلو. ومن هنالك توجه رأساً نحو مشتى خوى.

وانتهز علاء الدولة بك فرصة غيبة الشاه إسماعيل فنصب ابنه صارو قپلان قائداً للجيش وأرسله لقتال خان محمد استاجلو الذي كان يشتو بناحية أرزن فحدث بينهما قتال شديد أسفر عن مقتل قاسم بك الذي كان مشهوراً باسم صارو قپلان «النمر الأصفر» لفرط شجاعته وشديد تهوّره وبسالته ومعه عدد من أعيان طائفة ذو القدر وبادر خان محمد إلى إرسال رؤوس هؤلاء القتلى إلى الشاه إسماعيل في قصبة خوى. وفي أواخر هذه السنة أقدم علاء الدولة مرة أخرى، وكان متأثراً جداً بهزيمته السابقة، على إرسال ولديه كورشاهرخ وأحمد بك ومعهما أربعة عشر ألفاً من الفرسان المسلحين بالحراب لمحاربة خان محمد بديار بكر وإخراجه منها. وما كان من خان محمد هذه المرة إلا أن غادر معسكره إلى جهة في الخارج تاركاً جيشه في يد العدو؛ الأمر الذي جعل طائفة ذو القدر تقتحم آمنة المعسكر وتأخذ في النهب والسلب وإذا بخان محمد يخرج من كمينه كالأسد الهصور والنمر الشرس فيعمل فيهم سيفه البتار وفي طرفة عين قتل ولدا علاء الدين وولى جيشهما الإدبار وملأ خان محمد رأسيهما تبناً وأرسلهما إلى الشاه.

سنة ٩١٤/١٥٠٨-٩: توجه الشاه إسماعيل نحو بغداد بقصد الاستيلاء على العراق العربي؛ فأظهر بازيك بك پرناك الذي كان قد حمل سلطان مراد ولد سلطان يعقوب من شيراز إلى بغداد ونصبه هناك سلطاناً، أظهر بازيك هذا الطاعة وكان قد لبس التاج في أول الأمر، ولكنه لما قرب الموكب الشاهي من أبواب بغداد توجس خيفة وساوره الخوف والقلق على مصيره فحمل سلطان مراد وذهب به إلى علاء الدولة ذي القدر لاجئاً. وهكذا أتاح الفرصة لدخول القزلباش بغداد بقيادة حسين بك لاله، الذي كان يشغل منصب النيابة عن الشاه، والذي كان قائد الطليعة، وأن يعلن الخطبة ويصدر السكة باسم الشاه إسماعيل الذي قدم بغداد بعد ذلك، ونزل في مكان يقال له «چهار باغ پيربوداق» واستراح به مدة ثم توجه لزيارة العتبات؛ وفي أثناء ذلك أغار على أعراب البادية ثم طارد أسود الصحراء وقتل بالسيف والسهم عدداً منها من غير مساعدة أحد له وكان ينعم على كل من كان يخبره بوجود أسد في جهة ما بفرس بعدته ثم يخرج لصيد الأسد وحده. ثم عهد بإيالة بغداد إلى «خادم بك طالش» وأسند منصب الوكالة إلى الأمير نجم وبأمور الوزارة إلى الأمير «يار أحمد الخوزاني الأصفهاني» وبأشغال الاستيفاء «المالية» إلى مولانا شمس الأصفهاني الذي أصبح الاعتماد عليه في ضبط الدفتر والحساب، وبذلك كف يد الترك عن الأموال السلطانية. ثم توجه إلى منطقة عرب المشعشع واستولى على بلادهم قهراً، وعاد إلى دار السلطنة شيراز عن طريق كوهگيلويه. وعيّن كلاً من بيرام بك القرماني والأمير نجم، ولاله بك، للإغارة على عشائر شاه رستم اللُر.

سنة ٩١٥/١٥٠٦-١٠: لما توجه الشاه إسماعيل من شيراز إلى العراق في مطلع هذه السنة وجد أن القاضي محمد الكاشي الذي كان قد جمع بين الصدارة والإمارة قد حاد عن طريق الصواب، وارتكب أعمالاً قبيحة علاوة على خلافه وعدائه للأمير نجم، فأمر بقتله في شهر صفر من هذه السنة. وفي تلك الأيام أيضاً كان عزل أبدال بك دده ذو القدر الذي كان حاكم قزوين وساوج بلاغ والري وخوار عن إمارته، وأعطى منصبه إلى زينل خان شاملو. كما أسند منصب الصدارة، مستقلاً، إلى مقدم السادات عالي النسب الأمير سيد شريف بن الأمير تاج الدين علي بن الأمير مرتضى الأستر آبادي الأصل الشيرازي المنشأ الذي كان من أحفاد الأمير السيد الشريف العلامة الشهير. وكذا عزل حسين بك لاله شاملو الذي كان مقدم الأمراء القزلباشية وأعطى منصبه إلى محمد بك سفره چي استاجلو الذي لقب بچايان سلطان. وانتقل إلى دار الآخرة

الأمير نجم الوكيل متأثراً بمرضه ذات الجنب في شبستر، فأعطى منصبه إلى الأمير يار أحمد الخوزاني ولقب بنجم الثاني. وقد نظم الشاعر أميدي باسمه قصائد غراء.

وفي أواخر هذه السنة توجه الشاه إسماعيل إلى فتح شيروان، فلجأ واليها شيخشاه إلى قلعة بيغرد، وفتح الشاه قلاع باكو وشابران وأسند إيالة هذه القلاع إلى لاله بك شاملو.

كما أن الميرزا بديع الزمان ولد السلطان حسين ميرزا قد التجأ في هذه السنة إلى بلاط الشاه إسماعيل هارياً من أستراباد التي أغار عليها الأوزبكيون وكسروه، فلقى الحفاوة البالغة فكان يدخل المجلس الشاهي مقدماً بعد الأمراء.

سنة ٩١٦/ ١٥١٠-١١: ظهر في الأناضول شخص يدعى شيطان قولي = عبد الشيطان من طائفة القزلباش فعاث في الأرض فساداً. وما وسع السلطان بايزيد خان إلا أن ينعب على باشا الوزير الأعظم لقتاله وقطع دابر فساده ولكن الباشا استشهد في المعارك.

وفي اليوم الثاني عشر من ذي الحجة من هذه السنة بلغ مسامع الشاه إسماعيل وهو في مصيف خرقان أن جيش الأوزبك العتاة غزا إقليم كرمان، فبادر الشاه إلى إرسال القاضي نور الله بن أخي القاضي عيسى الصدر مرة كما أرسل الشيخ محيي الدين المشهور بشيخ زاده اللاهجي مرة أخرى إلى بلاط شيبك خان يحذره من الاسترسال في الإغارة على بلاده وارتكاب الأعمال الشنيعة. فرد شيبك خان بإرسال الأمير كمال الدين حسين الأبيوردي إلى البلاط الشاهي، ومعه خطاب إلى الشاه متضمناً شيئاً غير قليل من التهور والغرور مما أثر في نفس الشاه وحمله على التوجه حالاً من مصيف خرقان نحو خراسان، فلما بلغ دامغان لاذ أحمد سلطان صهر شيبك خان منها والخواجه أحمد القنقراتي بالفرار من أستراباد كما أن بقية عمال وموظفي السلطات الأوزبكية أخلوا الولايات الأخرى من خراسان.

وبعد أن قام الشاه إسماعيل بزيارة روضة الإمام الرضا المنوّرة عليه التحية قصد بلدة سرخس، في الوقت الذي توجه شيبك خان في أواخر رجب بنفس الطريقة المخزية من دار السلطنة هراة إلى مرو؛ كما أن دانا محمد أفشار، مع حشد من القزلباش الأبطال، زحف بالطليعة حتى تصادم مع جمع من القوات الأوزبكية في جهة طاهر آباد ونشب القتال بين الفريقين فقتل دانا محمد أفشار

في المعركة، ومع ذلك فإن القزلباش طاردوا العدو الأوزبكيين حتى أبواب قلعة مرو حيث وصل في عقبهم الشاه إسماعيل وحاصر البلدة، ولما رأى الشاه ألا فائدة عاجلة في الحصار ونضاله بادر إلى الرحيل عنها في عصر يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر شعبان ونزل على شاطئ نهر المحمودي الواقع على مسافة ثلاثة فراسخ منها بعد أن اجتازه بجيشه العرمرم فبات هنالك يوم الخميس وليلة الجمعة ومن هناك أرسل خطاباً خاصاً بصحبة معتمد له من الحرس «قورچي» ضمنه شيئاً كثيراً من التقريع لشيبك خان. ثم أصبح راحلاً عن ذلك المنزل متجهاً نحو تلختان وآمراً الأمير خان موصلو بأن يبقى في جوار فتحة الجسر الواقع في الطريق مترصداً حركات العدو بحيث إذا ظهر أثر لجيش العدو فليس عليه أن يقاتله بل ينسحب تدريجياً حتى يلحق بمعسكر السلطان، الأمر الذي جعل شيبك خان ينخدع بهذه المظاهر والحركات الاستراتيجية فيبادر بالخروج من القلعة مع خسمة عشر ألف فارس والهجوم على أمير خان الذي انسحب حسب الخطة المدبرة ظاناً أنه ضعيف لا يصمد له فأقدم على اجتياز نهر المحمودي وما كاد يتم ذلك إلا وعاد الجيش الشاهي إلى الميدان وأحاط بالعدو من كل جهة ودار القتال الشديد من الصباح إلى وقت الزوال ولما ضاق الحال بالعدو، ولا سيما شيبك خان نفسه الذي اضطر إلى اللجوء مع خمسماية من فرسانه إلى خرابة لم يكن منها مخرج فبادر برون سلطان تكلو وبعض أمراء من القزلباشية بمهاجمتهم فصعق قادة الأوزبك، وأما شيبك خان فخر صريعاً فقطعوا رأسه وذهبوا بها إلى الشاه الذي أمر بفض جمجمته مما بها وتكفينها بالذهب وأخذ يشرب بها الراح والريحان. هذا وقد أرسل الخواجه محمود الساغرچي الذي كان وزير شيبك خان - وكان شيعياً - مفاتيح قلعة مرو إلى بلاط الشاه الذي شمله بعفوه وعنايته حيث أدخله ضمن وزرائه. ثم عطف الشاه عنان عزيمته نحو هراة فبلغها في العشرين من رمضان وأمضى الشتاء بها، وقد أسند حكومة هذه البلدة إلى لاله بك شاملو كما أسند حكومة المرو إلى دده بك، ثم إنه أقدم في مشتاه على قتل شيخ الإسلام بخراسان مولانا سيف الدين أحمد بن يحيى بن مولانا سعد الملة والدين مسعود التفتازاني تحت تأثير التعصب المذهبي ودسائس أهل الهوى والغرض. وهناك أيضاً قدم عليه طائعاً الميرزا سلطان أويس المشهور بخان ميرزا بن ميرزا سلطان محمود بن سلطان أبي سعيد كوركان فنال ما تمناه وعاد إلى مقره في قلعة شاومان مقضى المرام.

سنة ٩١٧/١٥١١-١٢: في ربيعها توجه الشاه إسماعيل من هراة دار السلطنة لفتح ما وراء النهر، فلما وصل بلاد ميمنه وفارياب وضرب خيام عسكره فيها تقدم إلى بلاطه الظافر خوانين أوزبك، الذين كانوا قد أعلنوا استقلالهم بعد مقتل شيبك خان، يلتمسون العفو متخذين أركان الدولة ورجال البلاط شفعاء لهم، وقد فصل الخواجه محمود الساغرجي في أمرهم وكان يتوسط لهم. وعلى هذا أسند الشاه أمور حكومات بلخ وأندخود وشبرقان وچيچكتو وميمنه وفارياب ومرغاب وغرجستان إلى بيرام بك قرامانلو. وعاد الشاه إلى جانب العراق. ولما بلغ الشاه الري سمع أن زهاء خمسة عشر ألف من التكلوية كرروا ثورتهم في بلاد الروم على أمراء العثمانيين واشتبكوا معهم في القتال في نواحي أرزنجان حيث باغتوا قافلة منهم فأطلقوا يد النهب والسلب فيها وقتلوا رجالها البالغين أكثر من خمسماية نفر، فأصدر الشاه أمراً بالقضاء على رؤساء الذين اقترفوا هذا الجرم فألقي القبض عليهم وقُتلوا وقسم أتباعهم على الأمراء.

وفي هذه السنة أمضى الشاه إسماعيل الشتاء في مدينة قم حيث ورد عليه كل من الأمير عبد الكريم وآغا محمد روزافزون الذي كان يشغل منصب حكومة مازندران وهما يحملان هدايا وتحف كثيرة إلى البلاط السلطاني، وتعهدا بدفع مبلغ ثلاثين ألف تومان من رايج العراق إلى الخزانة العامرة كل سنة. ثم استقال الأمير السيد الشريف من منصب الصدارة وتوجه لزيارة القباب المقدسة. وقد أسند ذلك المنصب العالي في أوائل ذي الحجة إلى الأمير عبد الباقي. وفي خلال هذه الآونة ورد الخبر إلى الشاه بأن الميرزا بابر الذي كان قد استولى على بلاد ما وراء النهر بفضل معاونة وتعضيد الشاه له، قد انحرف عن جادة الصواب والطاعة، فأصدر الشاه أوامره القاضية إلى الأمير نجم الثاني ومعه جمع من الأمراء والقواد الخراسانيين بتأديب الميرزا بابر والاستيلاء على ولاية ما وراء النهر فغادر هذا الجمع في أواخر ذي الحجة مشتى قم متوجهين نحو البلاد المذكورة.

وفي هذه السنة شق السلطان سليم خان عصا الطاعة على والده بتشجيع من عساكر الإنكشارية «يكيچري» وتحريض عسكر الروم إيلي، وزحف على والده العظيم السلطان بايزيد خان، فحدث القتال والنضال بين الولد والوالد في محل يقال له چورلي وبعد معارك طاحنة بين الفريقين لحقت الهزيمة بالولد الذي لاذ بالفرار وتمكن من بلوغ سفينة ذهبت به إلى كفه.

سنة ٩١٨/١٥١٢-١٣: في أولها استقر رأي الوزراء وأركان دولة السلطان بايزيد خان على خلعه وتنصيب ابنه السلطان سليم خان الذي كان قد قدم من كفه إلى الروم إيلي وقد انضم لرايته كثيرون، قاصداً قتال والده والاستيلاء على السلطنة، فأرسلوا إليه سراً يدعونه إلى الشخوص إلى استنبول ليقلدوه السلطنة مظهرين له خلوص العقيدة وصفاء الطوية. وعلى هذا تقدم السلطان سليم خان من الروم إيلي نحو استنبول ولما بلغ أدرنه قپوسي «باب أدرنه» ونزل به تقدم الوزراء والأمراء لاستقباله بالحفاوة والطاعة مقبلين أنامله الكريمة وعادوا به باليمن والإقبال إلى دار السلطنة. فأول ما قام به السلطان سليم خان هو أن تقدم لوالده وقبل يديه واسترضاه ثم وضعه في محفة في نفس اليوم وأرسله إلى أدرنه. وهكذا تسنم العرش مكان أبيه الذي مات بعد ذلك بيومين كمداً. كان قد ولى السلطنة في الثلاثين من عمره وحكم اثنتين وثلاثين سنة. وكان رحمه الله صوفي المشرب زاهداً تقياً متديناً أخذ الطريقة عن الشيخ محيي الدين الذي هو والد مفتي الزمان أبي السعود أفندي فكان يعتكف معه في الخلوة.

وأسماء أولاد المغفور له هذا السلطان العظيم هم:

سلطان شهنشاه، سلطان علمشاه، سلطان أحمد، سلطان سليم، سلطان قورقود، سلطان محمود، سلطان عبد الله، سلطان محمد. ولقد فقد سلطان قورقود ولم يظهر له أثر. وشرب بقيتهم كأس الحمام على يدي السلطان سليم خان. هذا وتولى في عهده تسعة عشر وزيراً منصب الوزراة العظمى حيث خلفوا آثاراً عظيمة وعمارات أنيقة من جوامع وخوانق ومدارس ومساجد وزوايا لا تزال باقية عامرة.

وفي أواخر السنة الماضية حين توجه الأمير نجم الثاني ومعه الأمراء الخراسانيون إلى ما وراء النهر، بلغوا ظاهر قبة الإسلام بلخ ولبثوا فيها عشرين يوماً، ثم بعثوا الأمير محمد يوسف الذي كان قد صحبهم من هراة، لطلب الميرزا بابر في قلعة شادمان. فذهب الأمير محمد يوسف هذا ومر في شهر رجب من مضيق ترمذ حتى بلغ موضعاً يقال له چكچك وهو الذي يطلق عليه اسم دربندآهنين أيضاً حيث التقى بالميرزا بابر ووقع الاتفاق بينهما فترافقا وتوجها نحو الخزر فلم يستطع حاكم هذه الجهة واسمه آق پولاد سلطان مقاومتهما وسلم وخرج من القلعة فأسر، ولكن من يدعى هلقوتو بهادر الأوزبكي تولى الدفاع عن تلك القلعة حتى قتل هو مع جمع كبير من رجال

الأوزبكية. ثم واصل الأمير محمد يوسف والميرزا بابر السير حتى وصلا قلعة قرشي وحاربا حاكمها شيخم ميرزا الذي أصر على الدفاع فاستوليا عليها عنوة بعد قتال دام ثلاثة أيام وأعملا السيف فلم يبقيا على أحد من المدافعين صغيراً كان أو كبيراً وكان من جملة الضحايا فريد زمانه ووحيد عصره حاوي الكمالات النفسانية مولانا بنائي الذي لم يعرف الدهر مثله فاستشهد في أيدي السفاكين المتهورين. والشائع على ألسنة العوام في تلك الجهات أنه في اليوم الذي استولى جيش القزلباش على مدينة قرشى كان مولانا بنائي قد ملأ عبه حجارة على سطح بيت عال يرجم بها الذين يقصدون حياته. ولما بقي لديه حجر واحد تصادف أن لحقه أحد رجال القزلباش وطعنه بحربة فما كان من مولانا إلا أن قذفه بالحجر الوحيد هذا منشداً هذا البيت الفارسي:[1] أنا أطلب الرحمة من ذي العرش. والصخرة هي فوق سطح قرشى فذهب المصراع الأخير من هذا البيت مثلاً في بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق. والخلاصة أن الأمير نجم الثاني بعد غزو قرشي ونهبها رحل منها إلى ناحية بخارى ونزل على مسافة فرسخين منها حيث سمع أن عبيد خان قادم إلى بخارى فأرسل بيرام بك قرامانلو مع جمع من الجنود إلى مقاتلة هؤلاء القادمين من الأوزبك الذين لم يصمدوا لهم فاعتصموا بقلعة غجدوان، الأمر الذي حمل الأمير نجم على محاصرتهم فيها ولبث يحاصرهم مدة من الزمن أبدى خلالها كل من الميرزا بابر والخواجه محمود الساغرچي اللذين كانا من الخبراء بأحوال تلك الجهات النصائح اللازمة للأمير نجم قائلين بأن الوقوف هنا على هذه الحالة ليس مما يتفق مع مصلحة ولا يتناسب مع الوقت، فلم يصغ إليهما وأصر على البقاء حتى إذا حل صباح يوم الثلاثاء ثالث شهر رمضان، خرج كل من جاني بك وخان وعبيد خان من بخارى لنجدة الأوزبكيين الذين بادروا إلى ترك الدفاع عن داخل قلعتهم إليهما والشروع في إشعال نار القتال مع المحاصرين القزلباش. ففي أول معركة نشبت بين الفريقين قتل بيرام بك قرامانلو ولاذ بقية الأمراء الذين كانوا يأنفون متابعة الأمير نجم بالفرار كما أن الميرزا بابر توجه نحو قلعة شادمان، وهكذا دب الفشل بين القزلباش وقتل وأسر جمع كثير منهم وفي مقدمتهم الأمير نجم والأمير زين العابدين الصفوي. ولم يكتف جاني بك سلطان بذلك بل طاردهم حتى هراة ونزل في ألنك كهدستان ثم جاء على أثره عبيد خان وضرب خيامه في سهل ساقسليمان وأدام الحصار على هراة مدة شهرين ولم ينل منها شيئاً. ولما بلغ نبأ هذه الحوادث الموحشة إلى مسامع الشاه إسماعيل في أصفهان استقر رأيه حالاً على الزحف إلى خراسان مرة أخرى.

---

[1] مدد ميخواهم از سلطان عرشى همين سنگ است وپشت بام قرشى

فصل في ذكر خيرات وحسنات السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والغفران

له في بلدة أماسيه جامع شريف ومدرسة لطيفة ومكتب ورباط ودار الضيافة وزاوية أقامها جميعاً وأتم بناءها وهي في غاية من العظمة، وفي عثمانجق بنى قنطرة ذات تسع عشرة عيناً على نهر قزل إيرماق، كما أنه بنى جسراً ذا أربع عشرة عيناً على نهر صقريه في قصبة كيوه، وفي ولاية صاروخان بنى على نهر كدوس جسراً ذا تسع عشرة عيناً وأتم بناءه، فضلاً عن أنه خصص مبالغ سنوية كبيرة من الخزانة العامرة لتصرف إلى مفتي الزمان والمدرسين والموالي العظام وغيرهم من الأهالي الكرام، وعلاوة على ما تقدم كان يرسل كل سنة مبلغ عشرة آلاف درهم من الفضة إلى مولانا عبد الرحمن الجامي وخوجات النقشبندية ببخارى.

فصل في ذكر العلماء والمشايخ الذين كانوا معاصرين للسلطان بايزيد خان

- مصلح الدين: الذي كان في الأول قاضي عسكر الروم إيلي ثم آثر التقاعد مكتفياً بمعاش ضئيل.

- مولانا محمد الصامسوني: تولى في بادئ الأمر قضاء عسكر الروم ثم عزل عن المنصب.

- مولانا إبراهيم: تولى منصب قضاء العسكر ثم رقي فبلغ رتبة الوزارة.

- مولانا علاء الدين الفناري: بلغ منصب قضاء عسكر الروم إيلي والأنضول.

- مولانا حاجي حسن زاده إمام علي: توصل بألف مشقة ورياضة إلى منصب قاضي عسكر الأنضول.

- أخي زاده جعفر چلبي: كان مدرساً في مدرسة محمود باشا ولكنه لحسن خطه وبديع إنشائه صار نشانجي باشي في الديوان العالي.

- مولانا يوسف التوقاتي: كان رجلاً فاضلاً له تأليفات معتبرة في أكثر العلوم، وقد صار مدرساً في مدرسة «الثمانية» ونال وظيفة يومية قدرها ثمانون أقجة.

- مولانا عذارى: كان رجلاً فاضلاً وله «حاشية على المواقف» وله قصائد وأشعار حسنة باللغتين التركية والفارسية.

- مولانا سنان چلبي العجمي: الذي اشتهر باسم بردعي زاده. كان في بادئ أمره مدرساً في أماسيه وأخيراً بلغ منصب الفتوى الجليل القدر وكتب «شرحاً على المواقف» و«حاشية على التجريد».

- مولانا زيرك: وهو من أفاضل الموالي العظام في الروم، تولى قضاء استنبول في بادئ الأمر ثم توصل إلى منصب قاضي عسكر الروم إيلي والأنضول.

- مولانا مجمع الفضائل والكمالات ومصنف الرسائل في العبادات عالم ممالك الملكوت وكاشف أسرار ملك الجبروت الحكيم إدريس البدليس: الذي يجل وصف مناقبه عن الذكر والبيان، وشهرة آثاره ومؤلفاته تغنينا عن التعرض لها.

- مولانا شجاع الدين كوسج: كان مدرساً في مدرسة «الثمانية» ثم ترقى إلى منصب قضاء بروسه.

- مولانا عبد الرحمن: وكان متشرفاً بصحبة السلطان أكثر أيامه كتب «حاشبة على المطالع» ونقد المتن والشرح نقداً قيماً معتبراً لدى العلماء.

- مولانا ميرم چلبي: صار معلم السلطان فكان له مهارة تامة في العلوم العربية وعلم الهيئة، وترجم زيج الگورگاني إلى الفارسية.

- الحكيم شاه محمد: جاء من قزوين إلى استنبول فكان له اختصاص تام في علوم الحكمة، ولا سيما الطب حتى صار أخيراً طبيب السلطان.

- مولانا مظفر الدين الشيرازي: لم يكن له نظير في علم الهيئة.

- مولانا قطب الدين أحمد بن مولانا نفيسي: كان في علم الطب لقمان الثاني، وكان دائماً مصاحباً للسلطان. وله «كتاب نفيسي» في علم الطب.

وفي عهد هذا السلطان الفاضل اجتمع الشعراء والأدباء والعلماء من كل صوب في بلاطه وقصدوه بآثارهم وأشعارهم ومدائحهم. فمن هؤلاء مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي عليه الرحمة، أرسل قصائد غراء باسمه السامي وأنشأ كتابه الدفتر الثالث المسمى «بسلسلة الذهب» باسم ذلك السلطان العالي الشأن.

سنة ٩١٩/١٥١٣-١٤: في صباح يوم الجمعة ثالث شهر المحرم من هذه السنة تخلى سلاطين الأوزبك عن حصار قلعة هراة فاجتاز جاني بك سلطان جيحون، أما عبيد خان فقد التقى عند حدود مرغاب بمحمد تيمور سلطان ولد شيبك بك الذي كان يقصد خراسان، فاتفقا على السير إلى المشهد المقدس واستوليا جبراً وقهراً على البلاد من مروحتي اسفراين. ولما كانت المؤن والذخائر قد قلت في مدينة هراة فلم ير حسين بك لَلَه وأحمد سلطان صوفي أوغلي من المصلحة البقاء بها فعادا عن طريق طبس وسيستان إلى العراق «العجمي» فأرسل متعصبو هراة مثل الخواجه أبي الوفاء وغيره هذا النبأ إلى محمد تيمور سلطان يدعوه إلى الحضور فاغتنم محمد تيمور سلطان هذه الفرصة وعدها فوزاً عظيماً وحضر إلى هراة ونزل في باغ جهان آرا. وبادر جماعة أهل السنة والجماع بهراة إلى قتل كثيرين من الشيعة ولم يرجعوا عن هذا الفصل الشنيع إلا بعد تدخل الأمير محمد يوسف في الأمر.

وجاء الشاه إسماعيل إلى الري بقصد الزحف إلى خراسان ولما بلغ موضعاً يقال له صاروقمش عهد بمنصب الوكالة العليا وأمير الأمراء لخُدّام الأمير عبد الباقي، ثم واصل السير إلى خراسان ولما ضرب خيامه في مصيف كاليوس أرسل خليل سلطان حاكم شيراز في الطليعة. وبمجرد وصول هذا النبأ إلى مسامع عبيد خان أوزبك غادر المشهد المقدس سالكاً طريق شيرشتر إلى بخارى؛ كما أن محمد تيمور سلطان بارح هراة إلى سمرقند. ونهض الموكب الشاهاني من كاليوس إلى النك رادكان حيث أمر بالتشهير بدده بيك، الذي كان قد ترك مرو للعدو، وهرب، وذلك بأن أركبه حماراً وهو لابس ثوب النساء وطافوا به في المعسكر أمام الملأ ليكون عبرة للغير. ثم عهد بحكومة هراة إلى زينل خان شاملو كما أرجع حكومة بلخ مع توابعها إلى ديو سلطان روملو. وشرف أميره سلطان موصلو بإيالة قاين. ثم ذهب الجيش الشاهاني إلى مصيف بابا خاكي، ومنه عاد إلى النك كهدستان هراة حيث نظم بها شؤون خراسان أحسن تنظيم وعاد باليمن والإقبال إلى أصفهان.

سنة ٩٢٠/١٥١٤-١٥: في يوم الأحد الخامس عشر من المحرم جاء السلطان سليم خان إلى حدود أرزنجان بقصد الاستيلاء على إيران. ولما بلغ النبأ مسامع الشاه إسماعيل في أصفهان خف إلى آذربيجان بقصد قتاله ودفعه عن بلاده فحدث المصاف بين الفريقين في موضع يقال له چالدران حيث دارت رحا معارك طاحنة قتل فيها أكثر أعيان القزلباش أمثال: الأمير عبد الباقي

الصدر، والأمير سيد شريف ومحمد كمونه وخان محمد استاجلو والي ديار بكر ووليجان بك قزقلو التركماني وصاروپره قورچي باش استاجلو وحسين بك لَلَه شاملو وسلطان على ميرزا أفشار وپير عمر بك شيره‌جي باشي ومعهم زهاء خمسة آلاف فارسي مما أفضى إلى اندحار جيش القزلباش اندحاراً تاماً ولاذ الشاه إسماعيل بالفرار لا يلوي على شيء حتى بلغ درجزين «درگزين» وهمذان وأعقب ذلك دخول السلطان سليم خان دار السلطنة تبريز وإقامته فيها عدة أيام، ثم غادرها بسبب قلة المؤن فيها وانتشار المجاعة في أطرافها إلى دار السلطنة القسطنطينية مصطحباً معه سلطان بديع الزمان ميرزا ولد سلطان حسين ميرزا الذي كان الشاه إسماعيل قد خصص له وظيفة من مال تبريز يتعيش منها، وكان مثل هذا الأمير يمضي الأوقات في بؤس وشقاء، فلذا عطف عليه السلطان سليم وأكرم وفادته في «القسطنطينية دار الملك». ولكن بعد مضي أربعة شهور انتهى أمر سلطان بديع الزمان ميرزا بالقسطنطينية. وأما ابنه ميرزا محمد زمان الذي كان قد التحق ببلاط الشاه إسماعيل أيام التحاق والده تبعية الشاه، فقد انتهز فرصة توجه الشاه إسماعيل من تبريز إلى قتال السلطان سليم، وتخلف عن متابعته متأثراً بغواية بعض المفسدين وزحف نحو استرآباد واستولى عليها فالتف حوله بقية جيوش الچغتاي. ولكن الخواجه مظفر تبكجي. بالاتفاق مع أمراء خراسان، زحفوا إليه وكسروه شر كسرة في صباح يوم السبت السادس عشر من شهر رمضان من تلك السنة فلاذ بالفرار وذهب عن طريق صحارى وسهول أبيورد إلى ناحية غرجستان واتفق مع حاكمها الأمير أردوشاه، الذي كان أحد خاصة رجال جده، وتوجها سوياً لفتح إقليم بلخ. واتفق أن كان واليها ديو سلطان قد ترك الأمير محمد بهارلو بالنيابة عنه في بلخ وذهب هو إلى خدمة الشاه إسماعيل. فلذا تمكن الميرزا محمد زمان بجهد ضئيل من الاستيلاء على ذلك الإقليم وصار يحكمه مدة عشر سنوات مستقلاً تمام الاستقلال بفضل تعضيد ومعاونة الميرزا بابر، إلى أن غرق في نهر كنك في معركة نشبت بينه وبين شيرخان الأفغاني في عهد الميرزا همايون. وهكذا لم يبق أحد بعده من أحفاد وأولاد الميرزا سلطان حسين فانطفأت شعلة هذه الأسرة النبيلة نهائياً.

ولقد عاد الشاه إسماعيل من درجزين إلى تبريز بعد رحيل السلطان سليم خان منها وأمضى الشتاء بها وهناك عهد بمنصب أمير الأمراء إلى چايان سلطان وبنظارة الديوان إلى الميرزا شاه حسين وبالصدارة إلى السيد عبد الله

ولد السيد أحمد لاله الذي عزله بعد بضعة أيام وعهد بالمنصب إلى الأمير جمال الدين محمد شيرنكي.

سنة ٩٢١/١٥١٥-١٦: استولى السلطان سليم خان على قلعتي كماخ وبايبورت، وهزم علاء الدولة ذو القدر حاكم مرعش، ونصب بدله علي بك بن شهسوار بك أميرا على طائفة «ذو القدرية». وهكذا دخلت جميع إيالة تلك الطائفة في ملك الدولة العثمانية.

وفي هذه السنة قدم أميره سلطان حاكم قاين على بلاط الشاه إسماعيل في أردبيل وعرض بعض أحوال خراب خراسان. كما أن ديو سلطان قدم من بلخ وعرض ما يؤيد الأقوال السابقة. وبناء على هذا عهد الشاه إسماعيل بحكومة خراسان إلى طهماسب ميرزا، وجعل أميره سلطان موصلو وصيا ولقبه بأمير خان. وأرسلهما على سبيل الاستعجال إلى خراسان وأمضى هو الشتاء في تبريز.

سنة ٩٢٢/١٥١٦-١٧: في مطلعها قام السلطان سليم خان من استنبول بقصد التوجه إلى إيران والاستيلاء عليها، فنزل بأسكودار حيث أرسل منها وفدا مؤلفا من الملا زيرك زاده وقرچه باشا إلى قانصوه والي مصر، وبعد ذلك واصل موكبه السلطاني سيره نحو البلاد العربية فما كان من قانصوه إلا أن زحف بجيشه حتى بلغ نواحي حلب والبستان بقصد قتال السلطان فالتقى الجمعان في موضع يقال له مرج طابق «مرج دابق» ودارت رحى معارك حامية أسفرت عن مقتل قانصوه وسقوط قلاع ملاطية وديورك ودارنده وبهسني وعينتاب وكرك «كركر» وكاخته وبره چوك في أيدي العثمانيين، وفي خلال هذا تقدم علماء حلب والشام والسادات العظام بها إلى العتبات السلطانية وتشرفوا بها، كما أن زعماء ومشايخ العرب أمثال ابن خرفوش وابن حنش وابن سعد ومشايخ جبل نابلوس وبني إبراهيم وبني سوالم وبني عطا ومشايخ صفة والرملة والقدس الشريف وغزة قدموا الطاعة والولاء، وهكذا تمهد السبيل إلى زحف السلطان على قاهرة مصر للاستيلاء عليها وفي أثناء الطريق استولى السلطان على قلعة صفد وزار القدس الشريف.

سنة ٩٢٣/١٥١٧-١٨: في أوائلها كان طومان باي الچركسي والي مصر، الذي كان قد توصل بفضل شجاعته من حضيض الإمارة إلى أوج السلطنة فصار سلطانا مستقلا قد جمع حوله بقية الچراكسة «السيف چراكس» الأدنياء وأخذ يناوئ السلطان، فلما بلغ هذا عتبات خليفة المستقبل أحث السير

أحد عشر منزلا من غزة حتى بلغ الريدانية، فلقيه بها طومان باي واصطف الجيشان ودارت المعركة فاستشهد فيها في بادئ الأمر الوزير سنان پاشا وبعد ذلك لحقت الهزيمة المنكرة بجيش الچراكسة وقتل طومان باي نفسه في المعركة، وهكذا دخلت بلدة مصر الفاخرة في الثالث والعشرين من محرم الحرام من هذه السنة في أيدي العثمانيين وانقرضت دولة الچراكسة في هذا الفتح، وعهد السلطان بإيالة مصر إلى خير بك الجركسي الذي كان قد قدم الطاعة للسلطان من قبل. ثم عاد الموكب السلطاني العالي باليمن والإقبال إلى الشام حيث أمضى الشتاء.

سنة ٩٢٤/١٥١٨-١٩: عاد السلطان سليم خان من رحلته بالبلاد العربية إلى دار الملك القسطنطينية.

وفي هذه السنة أمضى الشاه إسماعيل الصيف في سرلق، وأرسل الأحمال بصحبة الميرزاشاه حسين إلى بلدة قم، وذهب هو إلى ناحية جمجمال وجبل بيستون للصيد ومنها توجه إلى قم بقصد تمضية الشتاء بها ومنها أرسل دورمش خان وزينل خان شاملو لتسخير مازندران ورستمدار، ولكن حكام مازندران ورستمدار وهزار جريب بادروا إلى تقديم الطاعة والولاء، فحضروا إلى بلاط الشاه وتشرفوا بالمقابلة قرب أصفهان وعادوا إلى ولاياتهم.

سنة ٩٢٥/١٥١٩-٢٠: بلغ مسامع الشاه إسماعيل خبر تمرد أميره دباج والي گيلان بيه پش، فما كان من الشاه إلا أن ندب كلا من والي گيلان بيه پيش كاركيا سلطان أحمد بالاتفاق مع حكام مازندران ورستمدار ودورمش خان وزينل خان شاملو لتسخير إيالة گيلان بيه پش «گيلان بيه الخلفي» فحار حاكمها أميره دباج في أمره ولجأ إلى بلاط الشاه بفضل تدخل كاركيا سلطان أحمد في ألنك همدان فشمله الشاه بعطفه وأناله ثقته، وأنعم عليه بلقب السلطان المظفر، وصاهر الأسرة الشاهية في هذه السنة.

سنة ٩٢٦/ ١٥٢٠-٢١: توفي السلطان سليم خان في مكان على مقربة من چورلي في طريق أدرنه مصابا بمرض الآكلة وهي قرحة من صنف الطاعون معروفة باسم شيرينچه «مخلب الأسد» فبادر الوزراء العظام إلى إخفاء نعشه وخبر وفاته عشرة أيام حتى أحضروا السلطان سليمان خان من مغنيسا وأجلسوه على عرش السلطنة، ثم نقلوا جثته المباركة إلى استنبول حيث ووريت التراب. ولم يكن له ولد غير السلطان سليمان خان وكان قد بلغ من العمر أربعا

وخمسين سنة وحكم ثمان سنوات وتسعة شهور وعشرة أيام. ووزر له عشرة وزراء منهم ثمانية قتلهم غضبا عليهم واثنان فقط ماتا بالأجل الموعود. وفي هذه السنة أيضا ندب الشاه إسماعيل كورسليمان قورجي إلى شيراز حيث قتل حاكمها سلطان خليل على الفراش في الديوان وأرسل رأسه إلى الشاه بأصفهان. وعهد البلاط الشاهي بإيالة شيراز إلى علي سلطان چيچكلو، كما أرسل أمراء شاملو مثل درومش خان وزينل خان لمعاونة الأمير طهماسب والأمير خان موصلو بخراسان. وبعد ذلك اتجه الموكب الشاهاني نحو مصايف سلطانية.

فصل في ذكر خيرات و حسنات السلطان سليم خان

تعمير مشهد شيخ التوحيد، فائض الأنوار الشيخ محيي الدين العربي الذي بنى في ظاهر بلدة دمشق وبنى بجانبه مسجدا جامعا لطيفا.

وفي مدينة قونيه أسال الماء من مسافة بعيدة إلى جانب مرقد مولانا جلال الدين الرومي، وأقام به شاذروانا عظيما «فسقية».

وبنى في استنبول جامعا صغيرا وبجانبه مدرسة وزاوية حيث مرقده بجانبها.

فصل في ذكر العلماء والمشايخ الذين كانوا معاصرين للسلطان سليم خان

- مولانا صوفي چلبي: كان في بادئ أمره مفتي الزمان ثم اختار التقاعد بوظيفة هي مائتا أقچه يوميا.

- مولانا مؤيد زاده عبد الرحمن أفندي: كان في أول حرب مع الأعجام قاضي عسكر الروم إيلي ثم اختار التقاعد بوظيفة يومية قدرها مائتا أقچه والتزم العزلة والانزواء.

- مولانا كمال پاشا زاده شمس الدين أفندي: حسبما يعتقد علماء الروم أن ليس له نظير في بلادهم في العلم والفضل فله تأليفات كثيرة وأشعار لطيفة من عربية، وتركية. تولى منصب مفتي الزمان واشتهر بمفتي الثقلين، وآخيرا رضي بوظيفة في التقاعد وصار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد.

- مولانا حليم چلبي القسطموني كان على جانب عظيم من العلم والأخلاق الحميدة فكان محدثاً عظيماً لطيف المعشر أنيساً مما هيأه لأن يصاحب السلطان.

- مولانا ركن الدين زيرك زاده: كان قاضي عسكر الروم إيلي ثم اختار التقاعد بمائة أقجه يومياً.

- مولانا محيي الدين چلبي الفناري زاده كان مدرساً «بالثمانية» ثم قاضي عسكر الروم إيلي.

ومن مشايخ عصره الزاهر الشيخ محمد البدخشي الذي زاره السلطان زيارة طويلة حين فتحه للشام. وكذا لامعي چلبي الذي لم يكن له نظير في طريقة التصوف وفي إتقانه فن الإنشاء والشعر وله في ذلك تأليفات حسنة منها تذكرة الشعراء باللغة التركية ورسالة مناظرة الربيع مع الشتاء هي موضع إعجاب الفضلاء.

سنة ٩٢٧/١٥٢٠-٢١: ثار في مصر أمير من الچراكسة على السلطان سليمان خان العثماني، فندب هذا وزيره فرهاد باشا لدفع ذلك الثائر فحدث القتال بين الفريقين في نواحي الشام لحقت الهزيمة بالچراكسة وقتل جان بردي في المعركة وأرسلت رأسه إلى عتبة السلطان سليمان خان.

وفي هذه السنة أيضاً كان تنصيب الشاه إسماعيل لديو سلطان روملو سرداراً لجيش يزحف إلى كرجستان مما حمل حكام لوند وداود وغرغره على القدوم إلى البلاط الشاهي طائعين حاملين هدايا وتحفاً وقبلوا دفع الجزية والخراج.

وفي التاسع عشر من شهر جمادى الثانية من هذه السنة جاء عبيد خان الأوزبكي لمحاصرة هراة وعاد إلى ما وراء النهر في يوم الجمعة ثاني رجب من السنة المذكورة.

وفي يوم الثلاثاء سادس شهر رجب ألقى أمير خان موصلو رائد الشاه طهماسب، بسبب الحقد، القبض على الأمير محمد يوسف الذي كان من سادات خراسان العظام متهماً إياه بالاتفاق مع الميرزا بابر وأرسله إلى قلعة اختيار الدين، وفي غداة ذلك اليوم قتل هذا السيد المبجل، ولما شاع نبأ هذا العمل الشنيع في الموكب الشاهاني وبلغ المسامع الكريمة ثارت ثائرة الشاه وغضب غضباً شديداً فأصدر أمره بعزل أمير خان من منصب الريادة وحكم خراسان وطلب إليه الحضور في مقر الجيش الشاهاني للتحقيق معه في قضية الأمير محمد، وعهد بإيالة هراة إلى دورمش خان شاملو. وقدم شيخ شاه والي

شيروان على البلاط الشاهي في مصيف سهند آذربيجان حيث نال العطف والثقة فجددت له مناشير الإيالة ثم عاد إلى ولايته.

وفي أواخر هذه السنة توجه السلطان سليمان خان لفتح ولاية انكروس فتم له تسخير وفتح قلاع: بكوردلن، زمين، اسلانقمن، كرينك، ايلوق، ايرشوه. وأرسل حملة إلى ولاية خروات حيث وقع في أيدي الغزاة عدد كبير من الأسرى.

وفي هذه السنة أيضا كان خروج شخص مفسد يدعى اسكندر في بلاد اليمن قضى على أمراء تلك البلاد ثم قضي عليه وعلى أتباعه بعد مدة وجيزة.

ولما لبثت البلاد المذكورة خالية من حاكم مستقل يدير شؤونها، ندب السلطان سليمان خان، الوزير رستم باشا لفتحها وضمها إلى الأقاليم العثمانية فتمكن رستم باشا من ذلك وأعلن الخطبة والسكة بها باسم سلاطين آل عثمان. وفي هذه السنة كان القضاء على الأميرين السلطان محمود والسلطان مراد. وعاد السلطان سليمان خان إلى استنبول بقصد تمضية الشتاء بها.

سنة ٩٢٨/ ١٥٢١-٢٢: في أولها غادر السلطان سليمان خان استنبول إلى اسكودار بقصد التوجه إلى فتح بعض بلاد الافرنج فتوجه منها إلى ردوس فشرع أولا في ضرب الحصار على قلعتها الشامخة الذرى.

وفي هذه السنة كان الشاه إسماعيل أمضى الشتاء في مدينة تبريز، وفي الصيف توجه إلى مصيف سهند حيث قدم عليه الميرزا طهماسب نجله العظيم من خراسان وتشرف بلقاء والده الكريم الذي كان في غاية الشوق إليه. وأصيب أمير خان موصلو في هذه الأثناء بمرض عضال لم يمهله حتى قضى عليه في ليلة الأحد الثاني عشر من شعبان تلك السنة.

سنة ٩٢٩/١٥٢٢-٢٣: في أولها استولى السلطان سليمان خان عنوة، بعد حصار دام أربعة شهور على قلعة ردوس.

وبعد فإنا حين نقول بعد هذا، السلطان الغازي فإنا نقصد السلطان سليمان خان. وسقطت عدة قلاع أخرى من هذه الولاية في أيدي رجال السلطان. وشق عصا الطاعة في هذه السنة أيضا شهسوار أوغلي ذو القدر على السلطان فأرسل السلطان إليه الوزير فرهاد باشا فصرعه وأرسل رأسه إلى السلطان.

وفي هذه السنة أيضا كان عصيان كل من كاشف الشرقية بمصر المدعو جانم الجركسي والكاشف أينال فجرد الوزير مصطفى باشا محافظ مصر

حملة عليهما واشتبك معهما في حرب ضروس أسفرت عن مقتلهما وقطع رأسيهما وإرسالهما إلى السدة السلطانية السليمانية.

وفي هذه السنة خلال تمضية الشاه إسماعيل الشتاء في تبريز حدث أن المهتر شاه قلي عربكيرلو رئيس ديوان الركائب «مهتر ركاب خانه» أقدم على فعلة شنعاء وهي اغتيال الوزير الميرزا شاه حسين لما كان يكن له من العداء والبغضاء، فانبرى له في أول الليلة وهو خارج من لدن الشاه في قصر «هشت بهشت» متوجها نحو بيته وتتبعه من وراء ظهره ثم طعنه بخنجر بين كتفيه طعنة نجلاء وصاح في الحرس قائلا أن هذا أمر الشاه فهلموا وأتموا أمر هذا اللعين المجرم وما كان من الحرس إلا أن انقضوا عليه وقطعوه إربا إربا وهكذا تمكن المهتر شاه قلي من الفرار. غير أن القدر لم يسمح له بالنجاة فقبض عليه بعد بضعة أيام وقتل بهذا الأمر الشنيع الذي ارتكبه.

ولما توفي چايان سلطان استاجلو، الذي كان أمير أمراء الشاه، عهد بمنصبه إلى الخواجه جلال الدين محمد.

سنة ٩٣٠/١٥٢٣-٢٤: في الخامس من جمادى الأولى توجه الشاه إسماعيل من مشتى نخجوان بقصد صيد الخيول الصحراوية الوحشية في جهة شكى، ثم عاد إلى أردبيل وصيف في سولان، وفي موسم الخريف بعد أن قام بزيارة مزارات آبائه وأجداده العظام توجه إلى مشتى تبريز، ولما بلغ عقبة صاين ومضيقها التابع لمقاطعة سراب، انحرف مزاجه الشاهاني واشتد عليه المرض الذي عجز عن مداواته الأطباء حيث أسلم روحه إلى بارئها صباح يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رجب المعظم وارتحل من هذه الدار الفانية إلى دارالخلود.

وكان ولده الأمير طهماسب البالغ من العمر إحدى عشرة سنة حاضرا في ركاب والده فبادر إلى تسنم عرش إيران مستقلا دام حكمه ما يقرب من قرنين.[١]

هذا وكان ميلاد الشاه طهماسب السعيد في مدينة شهآباد أصفهان في صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٩١٩هـ في طالع الحمل.

وكان جلوسه على العرش في يوم الاثنين التاسع عشر من رجب هذه السنة الموافقة لسنة پيچين ييل.

---

[١] لعله يقصد دورين فإنه حكم من ٩٣٠ إلى ٩٨٤. (المترجم).

وصفوة القول إن الجيش الشاهاني العظيم حينما اجتاز عقبة صاين وتوجه نحو يبلاق «مصيف» سهند رأى أمراء القزلباشية القضاء على كل من الخواجه جلال الدين محمد الوزير والخواجه أدهم المنشي لاعتبارات سياسية وعهدوا بمنصب الوزارة إلى القاضي جهان القزويني الذي كان من أجلة السادات الصفية الحسينية في قزوين، وأشركوا الأمير قوام الدين حسين أشرف الأشراف بأصفهان في أمر الصدارة مع الأمير جمال الدين شرنكي الأسترآبادي.

وبعد وفاة الشاه إسماعيل بقليل توفي بايزيد سلطان بن چايان سلطان، الذي كان يتولى منصب أمير الأمراء بعد والده، فاستقر الرأي على تعيين عمه مصطفى بك الشهير بكپك سلطان في الوكالة مع إشراكه مع ديو سلطان روملو.

سنة ٩٣١/١٥٢٤-٢٥: كان السلطان سليمان خان يمضي أوقاته متمتعا بالاستقلال التام منصرفا إلى الهناء في دار السلطنة استنبول، كما أن الشاه طهماسب قضى الشتاء في تبريز والصيف في مصيف سهند. وأما ديو سلطان روملو الذي كان قد ذهب إلى خراسان لدفع شر عادية الأوزبك عنها فقد شخص إلى العراق نظرا لما كان يحس غدرا من أمراء استاجلو وكراهية نحوه واتفق هنالك مع عظماء أمراء القزلباش مثل چوها سلطان تكلو والي أصفهان وعلى سلطان ذو القدر حاكم شيراز وقراجه سلطان تكلو والي همدان وبرون سلطان حاكم مشهد وعادوا جميعا إلى تبريز، حيث قابلهم كسبا للوقت كپك سلطان استاجلو في الطريق متلقيا إياهم في تركمان كندي من أعمال كرمرود فقر رأيهم هنالك على أن يتوجهوا جميعا إلى بلاط الشاه حيث تشرفوا بالمقابلة في چرنداب وبعد يومين صدر الأمر بقتل قارنجه سلطان استاجلو ونارين بك قاجار وبعزل قاضي جهان من منصب الوزارة وحبسه في قلعة لوري وعهد بالوزارة إلى الأمير جعفر الساوجي. ولما علم كپك سلطان بجلية الأمر ومدى ما وصل إليه الحال في البلاط الشاهي من دس الأمراء وفتنهم رأى من السياسة الحكيمة الابتعاد عن هذا الجو الخانق ونال ما تمناه بحجة الاضطلاع بمهمة الجهاد والغزو في كرجستان. وهكذا أتاح الفرصة لچوها سلطان لأن يعين مكانه في مسند الصدارة وأن يحمل خاتم البراءات والفرمانات.

وقد توفي دورمش خان والي خراسان في هذه السنة أيضا.

سنة ٩٣٢/١٥٢٥-٢٦: غادر السلطان سليمان خان استنبول بقصد غزو بلاد أنكروس فاستولى في طريقه عنوة على قلاع: أونيك وپتروواردين وأيلوق التي كانت تناطح السحاب علوا. ثم فتح قلعة أوسك الواقعة على شاطئ نهر الدانوب «الطونة». وبعد ذلك نصب جسرا من السفن المسلسلة على نهر درواه، حسب العادة المتبعة، واجتاز به النهر إلى جانب بدون واستولى على قلاع راچه، غراغوريچه، يرقاص، ديمتروفجه، نوكاي، صوتين، لقوار، أرور. وخف حاكم أنكروس بجيش عرمرم من الكفار الخاسرين إلى لقاء السلطان الغازي في صحراء مهاج حيث وقع قتال مرير بين الفريقين أسفر عن انتصار جيش السلطان المجاهد الغازي انتصارا باهرا وانكسار عدوه شر انكسار وسقط حاكم أنكروس الذي جرح في المعركة وهو لائذ بالفرار منها، عن جواده في الطين وديست جثته بسنابك خيل العدو والمسلمين فلم يعرف له أحد أثرا. وبعد هذا الفتح المبين سقطت عاصمة حكام أنكروس «بدون» في أيدي رجال الدولة العثمانية بكل مالها من المضافات والملحقات. وعاد السلطان غانما وسالما إلى عاصمة ملكه السعيد.

وفي هذه السنة أقدم أمراء روملو وتكلو على تغيير الحالة في إقليم كيك سلطان أثناء غيابه عنه، فما وسع كيك سلطان إلا أن جمع حوله كلا من قليج خان ولد محمد خان استاجلو ومنتشا سلطان شيخلر وبدرخان شرفلو وكردبك شرفلوي استاجلو وتوجه بهم إلى خلخال لقتال هؤلاء المعتدين فالتقى الفريقان في موضع يقال له سكسنجوك ودارت رحى معارك حامية في ضحى اليوم الرابع عشر من شعبان، فقتل من أمراء تكلو قراجه سلطان وبرون سلطان ولكن الهزيمة لحقت بطائفة الاستاجلو الذين لاذوا بالفرار حتى بلغوا طارم ولم يستقر لهم المقام هنالك أيضا فلجأوا إلى والي رشت. هذا وقد اتفق كل من عبد الله خان استاجلو وأحمد بك صوفي أوغلي والوزير قاضي جهان وأظهروا مخالفة التكلوية ولكن عقد اجتماعهم هذا قد انفرط سريعا، فلجأ قاضي جهان إلى جانب گيلان وذهب كل من عبد الله خان والأمراء الآخرين إلى خوار وسمنان. وأخيرا اجتمع الأمراء الاستاجلوية والتقوا مرة أخرى في قرية في خرزويل من أعمال طارم بأمراء تكلو ولكنهم هزموا من أول صدمة ففروا إلى گيلان بيه پش.

وفي شتاء هذا العام أمضى الشاه طهماسب وقته في قزوين.

سنة ٩٣٣/١٥٢٦-٢٧: سلك ذو النون أوغلي ذو القدر طريق العصيان مع السلطان سليمان خان وأكثر في تلك البلاد من الفساد والفتن ثم أراد التوجه إلى بلاد القزلباش عن طريق أرضروم فما وصل إلى جهة«ياسين» إلا أن أدركه يعقوب باشا ميرميران الروملي الذي كان يطارده وقتله وقطع رأسه وأرسلها إلى السلطان.

وفي هذه السنة كان خروج شخص يدعى قلندرشاه من أولاد حاجي بكتاش وادعى السلطنة والتف حوله جمع كثير، فكلف السلطان الوزير إبراهيم باشا بدفعه والقضاء عليه فقام بذلك خير قيام إذ تمكن منه وقتله.

وفي هذه السنة ذهب الشاه طهماسب بقصد مهاجمة خراسان حتى بلدة «ساوغ بلاغ» فقدم الأمراء استاجلوية الذين كانوا في گيلان إلى أردبيل وقتلوا حاكمها بادنجان سلطان روملو وتوجهوا منها إلى نخجوان وجخر سعد ونهبوا معسكر ديو سلطان. ولما شاعت هذه الأخبار في ساوغ بلاغ وبلغت مسامع الشاه بادر بإرسال كل من ديو سلطان وچوها سلطان مقدما إلى آذربيجان ليقابلوا المغيرين فوقع الصدام بين الفريقين في «آريه چاي شرور» من أعمال نخجوان فقتل في المعركة برصاصة بندقية كپك سلطان. فعاد الأمراء من تلك الجهة إلى بلاط الشاه حيث تشرفوا بالمقابلة في مصيف گوزل دره بالسلطانية. هذا ولما كان سبب هذه الفتن ونافخ نيرانها المتقدة بين القزلباش هو ديو سلطان فقد حمل چوها سلطان الشاه طهماسب على أن يقدم على رمي «ديو سلطان» بالسهام حتى يجرحه حينما يحضر الديوان الشاهي فيقتدي به سائر رجال الشاه حيث يمطرونه بالسهام ويقطعونه بالخناجر إذا سمعوا الشاه يصيح قائلا كل من يريدني ويريد بقاء دولتي لا يتراخى في مقتل ديو سلطان. واتفق أن وافق التدبير التقدير فقدم في تلك اللحظة ديو سلطان إلى الديوان وبادر الشاه إلى توجيه السهم الذي كان في يده إلى صدر القادم فنفذ السهم إلى صدره عميقا مع ضعف الشاه ورخاوة قوسه وهنا حسب الخطة المتفقة أمر رجال البلاط بقتله فبادروه بالسيوف والخناجر حتى قضوا عليه وقطعوه إربا إربا وعهدوا بإيالته وحكومة الري إلى سليمان بك روملو الذي كان يشغل منصب أمير ديوان ديو سلطان.

وفي هذه السنة التقى كل من أخي سلطان تكلو ودمري سلطان شاملو مع عبيد خان أوزبك في ظاهر بسطام ودار بينهم قتال شديد لقى الأولان حتفهما فيه، فاعطيت حكومة أخي سلطان إلى محمد بك شرف الدين أوغلي أحد ملازمي چوها سلطان ولقب بسلطان.

وكان مشتى الشاه في هذه السنة في قزوين.

سنة ٩٣٤/١٥٢٧-٢٨: أمضى السلطان سليمان خان الربيع والشتاء في دار ملكه القسطنطينية متمتعا بالسعادة والدولة والإقبال متفرغا لشؤون العمران وإقامة المبرات في أنحاء مملكته.

وفي يوم الأربعاء التاسع عشر من (؟) من هذه السنة نهض الشاه طهماسب من مشتى قزوين إلى مصيف خرقان. هذا وبينما كان زينل خان شاملو الذي كان من عظماء أمراء القزلباش والذي كان يقوم بأعباء حكومات قزوين وهراة وأسترآباد، مقيما في مصيف فيروز كوه إذا بزنيش بهادر أوزبك يغير عليه بغتة ويقتله ويقتل معه جكركه سلطان شاملو والي سبزوار ومصطفى سلطان أفشار حاكم ساوه. الأمر الذي أثار الشاه حينما بلغه في مقره وبادر إلى الرحيل نحو خراسان مرحلة بعد أخرى في الوقت الذي نهض چوها سلطان من سلطان ميداني يتعقب زنيش بهادر حتى أدركه في قلعة دامغان وقبض عليه وقطع رأسه وأرسلها إلى الشاه وقد ترك الموكب الشاهي قاصدا خراسان فحط رحاله في سهول ولاية جام.

وفي اليوم الرابع عشر من رمضان هذه السنة قام ذو الفقار بك بن علي بك الذي كان قد اشتهر باسم نخود سلطان، والذي كان حينئذ حاكم كلهرستان، بهجوم على عمه إبراهيم خان الذي كان والي دار السلام بغداد وكان في أوج عظمته حيث كان، مع عشرة آلاف فارس من التركمان حملة الخناجر، ينزل في سهل ماهي دشت فخف ذو الفقار وقت الظهيرة حين اشتد الحر مما ألجأ إبراهيم بك وأنصاره إلى الراحة في الخيام والمضارب غافلين عما يدبر لهم في الخفاء وباغت عمه بثلاثمائة فارس وتمكن من قتله مع بضعة من خاصة رجاله واستولى على الحكومة ورفع راية الاستقلال عالية ولم يصمد له أحد من أبناء عمه القتيل الذين كان كل واحد منهم يلي الحكم في إحدى مقاطعات بغداد بل فروا جميعا من سهل ماهي دشت حتى دخلوا قلعة بغداد واعتصموا بها. وأما ذو الفقار فبعد أن استولى على موارد عمه وأبناء عمه وصار حاكما مستقلا كل الاستقلال في تلك الجهات واصل السير حتى حاصر بني عمه في قلعة بغداد ولما طال أمد الحصار أربعين يوما دخل أهل الخير لإصلاح ذات البين فاستقر الرأي على أن يسلم بنو عمه القلعة وألا يتعرض ذو الفقار لأرواحهم. وبناء على هذا خرج سلطان معصوم بك بن أمير خان الذي كان عمدة المدافعين عن القلعة مع بني الأعمام المذكورين وقابلوا ذو الفقار وسلموا له القلعة. ولكن ذو الفقار

بادر في نفس اليوم بتدبير مكيدة لهم فكلف بضعة عبيد من المخلصين له أن ينتظروا بسلاحهم في منزل أعد خاصة لذلك فأرسل أبناء عمه الواحد تلو الآخر إلى المنزل المذكور بحجة إلباسه الخلع السنية فكانوا يقضون عليه ساعة وصوله إلى المنزل وهكذا قضى على زهاء عشرين شخصا من هؤلاء من غير أن يعرف أحد من هؤلاء مصير الآخرين الأمر الذي أفنى هذه الأسرة كلها سوى ولد يدعى ملك قاسم كان يشغل منصب المهردار نيابة عن والده، ولم يبق من أولاد أمير خان أيضا سوى ولد يدعى محمدي بك يبلغ من العمر عشر سنوات وكان أخا من الرضاعة للشاه طهماسب فكان مع والدته في معية الشاه طهماسب وهكذا لم يبق من الأولاد الذكور لأسرة كلابي لو في قيد الحياة أحد سوى الولدين المذكورين.

سنة ٩٣٥/١٥٢٨-٢٩: في غرة جمادى الأولى شرع ملك الألمان والنمسا في استرداد بلاد أنكروس فهاجم قلعة بدون واستولى عليها فنهض السلطان سليمان خان لدفعه فغادر استنبول متوجها نحو بلاد أنكروس وقضى المهمة على أحسن ما يرام وعاد إلى مقر ملكه مقضي المرام هانئا.

وفي هذه السنة كان اعتزام عبيد الله خان وسائر سلاطين وملوك الأوزبك فتح ولاية خراسان وما وراء النهر وقتال الشاه طهماسب بها؛ فخف إلى لقائهم وقتالهم الشاه طهماسب عاطفا عنان سفره إلى خراسان، ولما بلغ موكبه الشاهي ولاية جام حدث المصاف بين الفريقين في قرية عمر آباد في يوم الأحد الموافق للحادي عشر من المحرم فالتقى الجمعان وكل منهما كالجبل ودارت المعركة فأسفرت في بادئ الأمر عن انكسار يمين ويسار الجيش القزلباشي فلاذ بالفرار كل من چوها سلطان والقواد الأفشاريين مما حمل الأوزبكيين على مطاردتهم وبقاء عبيد الله خان مع بضعة من رجاله في ساحة الوغى فوقع نظر القزلباش عليه حينما انجلى الغبار عنها فلاح لهم أن جند الأوزبكية منصرفون للمطاردة وأن رأس عدوهم باق في مكانه مع عدة من رجاله القليلين أمام الجمع الكثير من جيشهم القزلباشي فما كان من أبطال القزلباشي إلا أن حملوا عليه حملة واحدة وزحزحوه من مكانه ووصل رجل من الحرس الشاهي إليه وضربه بسيفه على معقره وتركه ولم يعرفه حق المعرفة وهكذا تعقبوه حتى سفيد كوه، ثم قفلوا راجعين. وأما عبيد خان فقد أخرجه من المعركة دين قليج بهادر وغيره من ملازميه مع خوانين الأوزبك وواصلوا السير الحثيث لا يلوون على شيء حتى بلغوا مرو. هذا ولما تم هذا الظفر

الباهر للشاه طهماسب، صحت عزيمته على البقاء مدة شهر في النك شقا بادجام المعروفة باسم صار وقمش وبعد ذلك غادرها إلى جانب العراق فأمضى شتاء هذه السنة في بلدة قم. وفي أول الربيع عطف عنان عزيمته إلى جهة بغداد حيث اشتد أمر عصيان ذي الفقار وصار يدعي السلطنة والاستقلال في تلك الجهات. وما وصل الموكب الشاهي إلى أرباض قلعة بغداد حتى ضرب القزلباش الحصار عليها من كل جانب، وبعد أن مضت بضعة أيام على ذلك أثر الحر الشديد في جيش القزلباش وأثار فيهم المخاوف والقلق مما حمل أمراء الدولة ترجيح الحركة على السكون، فاستقر رأيهم على فك حصار القلعة والتوجه إلى المصايف مؤجلين أمر الحصار إلى الخريف والشتاء.

وفي خلال ذلك حدث أن كان المدعو علي بيك من أحفاد صوفي خليل، وهو من أعيان ومعتمدي رجال ذي الفقار، يدافع عن القلعة مع مائتي رجل من أتباعه، في حراسة ذي الفقار، في تلك الليلة، مع أخيه أحمد بك فقتل ذا الفقار وهو في غفلة من النوم وقطع رأسه. وهكذا فتح أبواب القلعة وتقدم إلى بلاط الشاه طهماسب طائعا خادما. فاضطر سائر الطوائف التركمانية ممن كانوا في القلعة إلى تقديم الطاعة.

وتمكن عدد قليل من أقرباء ذي الفقار من الفرار والخروج من القلعة. فأعطى الشاه حكومة تلك الديار إلى محمد خان تكلو شرف الدين أوغلي. وفي أثناء عودته بادر بقتل علي بك بن ملك بك الخويي الشهير بشاطر علي سياسة في مكان يقال له «چمن فارسچين أبهر » من أعمال العراق. وفوض منصب الإمارة إلى حفيد صوفي خليل ولقبه بعلي سلطان ذي الفقار كش «قاتل ذو الفقار ».

سنة ٩٣٦/١٥٢٩-٣٠: استولىالسلطان سليمان خان بالقوة على قلعتي «بدون» و «بتاق حصارى». ثم توجه نحو قلعة «بج»، فما كان من ملك بج، وهو من بلاد النمسا إلا أن غادر دار ملكه وعهد بمحافظة قلعتها إلى رجاله وتوجه هو إلى بعض أنحاء مملكته. هذا ولما كانت قلعة بج من الممتنعات على الفتح والاقتحام إذ كان يحيط بها النهر دائرا ما دار في خنادق وأقنية، فضلا عن أن لها عدة حصون وأبراج متداخلة الواحدة تلو الأخرى، مما كان يجعل اقتحامها عسيرا، ولا سيما بعد أن مضى خمسة عشرة يوما على نزول السلطان عليها ومباشرته القتال والهجوم فلم يظهر أثر للغلبة والنصر، علاوة على هجوم جيش البرد والشتاء على المهاجمين المحاصرين في العراء من كل الجهات، وضاق

الحال بالجيش العثماني فأمر السلطان الغازي بفك الحصار والعودة بالجيش إلى دار الملك، مكلفا من يدعى قاسم ويوده ومعه اثنا عشر ألفا من فرسان الروملي بالإغارة على ولاية بج، الأمر الذي جنب الجيش السلطاني تعرض جيش الكفار له وانصراف همتهم إلى مقاتلة قاسم ويوده ورجاله الذين لم يعرف لهم أثر فيما بعد.

وفي هذه السنة بفضل توسط چوها سلطان عاد أمراء الإستاجلوية أمثال بدرخان شرفلو ومنتشا سلطان شيخلر وحمزة سلطان الشهير بقازق حمزة الذين كانوا لاجئين إلى سلطان مظفر بگيلان بيه پش، إلى بلاط الشاه طهماسب وتشرفوا بالمقابلة في شرف آباد قزوين حيث شملهم الشاه بعطفه وأنعم عليهم بالأقاليم والمناصب حسب حال كل واحد منهم.

وتوفي الأمير قوام الدين حسين صدر شيرنكي الاسترآبادي (؟) مفوضا منصب الصدارة الشاهية إلى الأمير غياث الدين منصور، على أن يكون الأمير نعمة الله شريكا له في تصريف الأمور.

ثم توجه الموكب الشاهي إلى جانب خراسان بقصد مقاتلة الأوزبكية فما كان من سلاطين الأوزبك الذين كانوا مجتمعين بمرو إلا أن تشتت شملهم وانسحبوا إلى بلاد ما وراء النهر. واقتضت الإرادة الشاهية بتفويض حكومة هراة إلى بهرام ميرزا ومنصب رائده إلى غازي خان تكلو. ثم عاد الموكب الشاهي عن طريق طبس إلى العراق وأمضى الشتاء بأصفهان.

سنة ٩٣٧/١٥٣٠-٣١: في مطلعها غادر السلطان سليمان خان مدينة استنبول بقصد الاستيلاء على بلاد النمسا ونزل في «حلقلوبيكار».

وفي هذه السنة حشد أولمه تكلو في تبريز سبعة آلاف شخص حوله قاصدا خدمة الشاه طهماسب وإبعاد چوها سلطان عن منصبه والحلول محله في منصب الصدارة. ولكن الشاه طهماسب علم بحقيقة هذا الرجل وما انطوت عليه نفسه من الغرور فساق عليه سريعا فما كان منه إلا أن لاذ بالفرار إلى وان لاجئا إلى عتبة السلطان سليمان خان حسبما تقدم التفصيل في ذكر أحوال الأمير شرف الحاكم في الصحيفة الرابعة.[1]

---

[1] الجزء الأول صفحة ٣٢٠ وما بعدها.

وفي أواخر هذه السنة توفي الميرزا بابر بن الميرزا عمر شيخ بن الميرزا سلطان أبي سعيد كوركان الذي كان ملك الهند وغزنة وكابل وقندهار فتولى مكانه نجله الكريم الميرزا همايون.

سنة ٩٣٨/ ١٥٣١-٣٢: منح السلطان سليمان خان الغازي ولاية بدليس بطريق البكلربكي لأولمه الذي بادر . كما سبق ذكره بالتفصيل . بالاتفاق مع ميرميران مرعش وديار بكر بالزحف إلى قلعة بدليس وضرب نطاق الحصار عليها، مما حمل حاكمها شرفخان على الالتجاء إلى الشاه طهماسب الذي بالغ في إكرامه والحفاوة به حتى قدم بنفسه حتى بلدة أخلاط حيث اضطر كل من فيل يعقوب ميرميران دياربكر وسر دار العسكر العثماني وكذا أولمه إلى ترك الحصار والفرار، فعاد بعد ذلك الموكب الشاهي إلى تبريز وقضى الشتاء بها.

وفي أواخر هذه السنة بلغ المسامع الشاهية أن عبيد خان أوزبك حاصر الميرزا بهرام بهراة فخف إلى خراسان.

سنة ٩٣٩/ ١٥٣٢-٣٣: في مطلعها نزل السلطان سليمان خان بقلعة كوسك، وأخذ العسكر المنصور في ملء خندق هذه القلعة بالحطب مما اضطر أهلها إلى تسليمها طالبين الأمان لأنفسهم.

وفي هذه السنة خضعت القلاع الآتية لحكم السلطان، وهي: قاپولنه، پاپوزچه، بيلوار، برزنجه، أرشاك، بلشكرد، نشارواد، شقلوش، قپورناق. وأطلق يد النهب والسلب في ولاية النمسا والكروات وأحرق البلاد والقصبات فيهما، واستحوذ الجيش المظفر على الغلمان والجواري الحسان من جنسيات مختلفة كما غنم الأموال والخزائن والكنوز الكثيرة، وما لا يحصى من المراعي والمواشي. وفي أثناء التأهب للعودة حضر إلى البلاط رسل ملوك الألمان والنمسا عارضين دفع الجزية لمدة ثلاث سنوات فقبل التماسهم؛ كما أن أحمد باشا الوزير الذي كان قد توجه إلى المورة لفتح «قرون» ومعه ثمانون سفينة وكان الافرنج قد حاصروه في البحر، قد نجح في مهمته وفتح القلعة وعاد مقضي المرام.

وفي يوم الثلاثاء رابع شعبان من هذه السنة قام قمش أوغلان أوزبك على سبيل برتاولي (؟) بإغارة على ولاية الري ونهب جيش محمد خان ذي القدر أوغلي الذي كان حاكم استرآباد، وقد كان حينئذ مقيما في مرج چخور ساوغ بلاغ، مما جعل محمد خان يركب حصانا من غير سرج ويضطر للفرار وينجو برأسه بكل أعجوبة.

وفي هذه السنة منح الشاه طهماسب أخاه القاس ميرزا مقاطعة شيروان. وعين بدرخان استاجلو وصيا عليه. ولما توفي محمود بك ذو القدر المهردار. لسقوطه عن فرسه أثناء لعبه رمى القبق في ميدان صاحب آباد تبريز، أسند منصب المهر دارية إلى شاه قلي خليفة ذي القدر.

وأسندت ولاية تبريز ومحافظة آذربيجان إلى موسى سلطان موصلو، حيث بادر بعد ذلك إلى الزحف على ناحية خراسان لدفع الأوزبكية الذين انسحبوا إلى ما وراء النهر.

وأمضى الشاه الشتاء في هراة. وفي ربيع هذه السنة أقام أربعين يوما في النك كهدستان يستعد للزحف نحو ما وراء النهر فإذا بهذا الشاه الصادق العقيدة يرى ليلة في المنام أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول له: «لا تذهب إلى الجانب الآخر من النهر فإن مهمتك في هذا الطرف، وقد تاب الله عليك من المناهي، وعليك برعاية حق ويردي التركماني الذي هو من أولاد الشيخ جنيد». فلما استيقظ من النوم أسرع إلى الرحيل نحو المشهد المنور المطهر للإمام الرضا عليه التحية والثناء وتشرف بزيارة روضة ذلك الإمام الشريف وتاب عن جميع ذنوبه وتشدد في منع الآثام والملاهي إلى حد أنه أمر بصلب كل من الخواجه شاه قلي وزير الحرس «قورچيان» الذي كان من جملة من خدم الشاه بصدق وإخلاص ومحمود بك إبشك آقاسي تركمان أنوك أوغلي معلقا في رقبتيهما إناءي الخمر اللذين شربا الخمر بهما.

ثم سلم الشاه إيالة هراة إلى أخيه سام ميرزا، وعين أغزي وار سلطان ولد دمري سلطان شاملو رائدا له. ثم نزع حكومة شيراز من حمزة سلطان وأعطاها إلى غازي خان أخي سلطان خليل ذو القدر.

سنة ٩٤٠/١٥٣٣-٣٤: قتل شرفخان حاكم بدليس فأرسل أولمه تكلو نبأ ذلك إلى استنبول. فبادر السلطان سليمان، بتحريض من أولمه هذا، إلى تعيين الوزير الأعظم إبراهيم باشا سردارا لجيش عرمرم وإرساله لفتح آذربيجان. فجاء إبراهيم هذا حتى مدينة حلب وأمضى الشتاء بها. وفي هذه السنة كان الشاه طهماسب مقيما في المشهد المقدس الرضوي حيث جاءه النبأ بمقتل شرفخان وزحف أولمه وإبراهيم باشا إلى آذربيجان فبادر على جناح الطائر إلى التوجه نحو العراق وآذربيجان.

سنة ٩٤١/١٥٣٤-٣٥: نهض السلطان سليمان الغازي من استنبول وغادرها متوجهاً نحو آذربيجان لمعاونة وإمداد جيش الوزير إبراهيم باشا الذي كان يرسل الخبر تلو الخبر إليه بأن الشاه طهماسب عاد من خراسان زاحفاً نحو آذربيجان. فبلغ مصف أوجان آذربيجان في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول من تلك السنة وكان قد مضى ماية وعشرون يوماً منذ غادر القسطنطينية؛ وقد خف لاستقباله الوزير إبراهيم باشا مع كبار القواد والأعيان ولا سيما سلطان مظفر والي گيلان بيه پش الذي كان في ذلك الوقت في تبريز ومعه زهاء خمسة آلاف فارس فساروا جميعاً رجالة بالموكب السلطاني العثماني. هذا واتخذ الشاه طهماسب كلاً من محمد قلي خليفة شاملو الشهير بأدغلان خليفة، ومنتشا سلطان استاجلو طلائع لجيشه الكبير وأرسلهما إلى آذربيجان، وجاء هو في عقبهم بعد واحد وعشرين يوماً ونزل بكوك كنبدي حيث أقام بها بضعة أيام بقصد إراحة الدواب. ثم أرسل كلاً من ألقاس ميرزا، وبهرام ميرزا، وحسن خان شاملو، وغازي خان تكلو، وأمير سلطان، وسليمان سلطان روملو وملك بيك الخولي على سبيل الطليعة والمقدمة إلى آذربيجان وأخذ هو يسير في عقبهم نحو الميدان تاركاً أثقاله وخزائنه في قزوين، حتى إذا بلغ منزل قرا آغاج أبهر قزوين واتخذه معسكراً له جاء الخبر من قواد الطليعة أن السلطان الغازي وصل تبريز في عقب وزيره إبراهيم باشا. فبادر الشاه طهماسب حينئذ إلى التوجه نحو سلطانية. ولم يكن وقتئذ معه سوى سبعة آلاف من القزلباش ولم يكن معه من الخيول الصالحة سوى ثلاثة آلاف.

ولقد صحت عزيمة السلطان الغازي سليمان أيضاً على تعقب الشاه فتوجه من ورائه إلى سلطانية. وفي أثناء الطريق، وكان الوقت في أوائل تحويل الشمس إلى برج العقرب، اشتد البرد ونزل ثلج عظيم، فهلك كثير من الخيول والجمال والخدم والحشم من قلة المؤن وشدة البرد، وغمرت الطرق في بحار من الوحل والطين. مما حمل العساكر السلطانية المنصورة على التذمر والنفور والقلق فاضطرت إلى تحويل وجهتها إلى بغداد عن طريق درجزين وهمذان. وأمر السلطان الغازي كلاً من محمد خان ذو القدر أوغلي والي طارم وخلخال الذي كان حينئذ مع قيا سلطان ذو القدر وحسين سلطان تكلو بن برون سلطان ومعهم ثلاثة آلاف قزلباشي خارجون على الشاه طهماسب ومنضمون إلى البلاط العثماني في حدود سلطانية، بالانضمام إلى قوات أولمه وميرميران ديار بكر المكلفة بحماية آذربيجان. وتوجه هو بنفسه مع العساكر السلطانية إلى بغداد. فأخلاها واليها محمد خان شرف الدين أوغلي بأمر من الشاه

طهماسب وارتحل بأهله وعياله وأتباعه في سفينة إلى جهة شوشتر. وهكذا تم للسلطان سليمان خان فتح دار السلام من غير قتال. وتقاطرت وفود أعيان البلاد وكبارها إلى بلاطه لتقديم الطاعة والتشرف بتقبيل عتباته. كما أن رؤساء حاميات قلاع شهريان، وهارونية، وداقوق، وكركوك، والحلة بادروا بالحضور بمفاتيح هذه القلاع إلى بلاط السلطان بعد دخول موكبه بغداد. وبادر السلطان في أول يوم دخل بغداد إلى التشرف بزيارة مرقد قدوة الأمم الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي، ثم زار روضة الإمام موسى الكاظم.

فتشرف ووزع الصدقات والنذور بها. وأقام الشتاء في بغداد. وفي هذه الأثناء انتهز الشاه طهماسب الفرصة والتفت إلى الأعداء في الداخل غير عابئ بالعدو الخارجي فعمد إلى قتل حسين خان وكان مستاء منه ثم أغار على أولمه بتبريز وفي أثناء الإغارة هذه دب القلق في نفس غازي خان تكلو وساوره الوهم والخوف من الشاه طهماسب فانفصل عن جيشه المغير وسبق والتحق بقوات أولمه بتبريز وأعلمه حقيقة الحال وقدوم الشاه طهماسب. فما كان من أولمه هذا إلا أن أخلى قلعة شنب غازان التي كانت قد جددت في تلك المدة وبادر إلى الرحيل إلى قلعة وان واعتصم بها. ولكن الشاه طهماسب بعد أن أقام بتبريز عشرين يوما توجه نحو وان وحاصر أولمه بها ودام الحصار إلى آخر الشتاء وكاد الفتح أن يتم ويسلم المحصورون بغير شرط، وإذا بخبر سيئ يأتي من طرف العراق وفارس يقول بعصيان سام ميرزا وتقديمه الطاعة للسلطان سليمان الغازي الذي خلع عليه واتخذه ابنا له ونادى به ملكا على إيران، الأمر الذي أشاع الخلاف والشقاق بين طوائف القزلباش واضطر الشاه طهماسب إلى ترك حصار قلعة وان والتوجه نحو العراق «العجمي».

وفي أواخر هذه السنة نهض السلطان الغازي من مشتى بغداد وتوجه نحو آذربيجان. وفي أثناء ذلك تشرف غازي خان تكلو بالعتبات السلطانية ونال عطفه وثقته وخضعت لحكمه السامي ولايات لرستان وكلهر ستان وأعراب المشعشع والجزيرة وواسط، وقرئت الخطب على منابرها وضربت السكة باسم الحضرة السلطانية. وفي الطريق أمر السلطان بقتل حاكم السهران عقوبة له لاتحاده مع القزلباش. وسار من هنالك نحو تبريز عن طريق آلتون كوبري.

سنة ٩٤٢/١٥٣٥-٣٦: في غرة المحرم دخل السلطان سليمان خان الغازي دار السلطنة تبريز فجاءه رسول من قبل الشاه طهماسب يطلب الصلح فلم يلتفت إليه السلطان بل واصل سيره إلى جهتي أرجيش وأخلاط. فلما بلغ هذا

النبأ إلى مسامع الشاه طهماسب بادر هذا بالقدوم إلى ناحيتي مرند وخوى ومن هناك أرسل كلا من منتشا سلطان وأمير بك روملو وشاه قلي خليفة المهردار وبوداق خان القچار وصدر الدين استاجلو ومحمد أمين بك السفره جي التركماني، بقيادة بهرام ميرزا لتعقب السلطان الغازي، وذهب هو إلى «قرانقودره» يتلهى بصيد السمك فجاءت الأنباء في نفس يوم الوصول إلى تلك الجهة بأن أولمه في وان فما وسعه إلا أن يغير بالسرعة الخارقة للعادة على وان. وفي أثناء الطريق شعر بحرارة خفيفة فلهذا، أو لأنه أراد الحذر، توقف في جهة زاوية ملا حسن وأرسل ثلاثين فارسا مع كل من قبايا بك القچار وشير حسن إيمور للاستطلاع فجاء منهم الخبر بأن أولمه أخلى وان ومضى. وعلى هذا رحل الشاه في اليوم التالي من الجهة التي كان متوقفا بها ونزل في ظاهر وان حيث وردت له الأنباء من الأمراء والقواد الذين كانوا تحت قيادة بهرام ميرزا، وكانوا يتعقبون السلطان، بأنهم اصطدموا مع حاجي بك الدنبلي حارس مؤخرة الجيش السلطاني وقتلوا من رجاله زهاء مائتين وخمسين شخصا ولم ينج قائدهم إلا بشق الأنفس، مما حمل السلطان الغازي على أن يكلف الوزير الأعظم إبراهيم باشا بالذهاب إلى أرجيش ومعه ثلاثون ألفا من الفرسان لقتال جيش بهرام ميرزا. ولكن إبراهيم باشا عاد من حيث أتى من غير قتال. فأرسل السلطان حينئذ محمد باشا ميرميران دياربكر مع أولمه لحراسة قلعة وان. ولما علم الشاه طهماسب بمجيء هؤلاء بادر إلى الرحيل من وان والتقدم إلى ناحيتي كواش واختمار. فلم يسع أولمه إلا أن فر مع محمد باشا إلى جانب دره' كيسان. وفي مضيق وعقبة كواش، الذي اشتهر بعد ذلك اليوم باسم قشون قران، أدركهم عساكر الحرس التركمان حيث كانوا طليعة جيش الشاه وعلى رأسهم عثمان شاه قلي اليوزباشي وقرا إسماعيل وكورشهسوار وصرعوا من العدو عددا كبيرا من الضباط والأعيان وأسروا عددا آخرا وتمكن أولمه ومحمد باشا من الفرار وسارا حتى وصلا الجيش السلطاني في قرية تاتوان بتليس والتحقا بمعسكر السلطان حينما رحل من أخلاط متوجها نحو ديار بكر عن طريق موش.

هذا وقد نزع السلطان الغازي حكومة بدليس من حاكمها الأمير شمس الدين واعطاه بدلا منها حكومة ملاطية مرعش. وأعطى حكومة بدليس لأولمه. ثم سار من ديار بكر إلى دار السلطنة القسطنطينية وأمضى الشتاء بها.

وأما الشاه طهماسب فقد فتح إقليمي أرجيش ووان، وأعطى محافظة قلعة وان لأحمد سلطان استاجلوي صوفي أوغلي. وسلم ألوندخان أفشار والي

كوهكيلويه، الذي تمرد وخان، إلى شحنة القهر[1] لتشنقه عقابا له، وعهد بحكومة إقليمه وإدارة جيشه إلى محمدي بك بن حسن سلطان فرزند زاده أفشار منصور ملقبا إياه بشاهرخ خان. ثم عاد إلى تبريز وأمضى الشتاء بها. وقدم قاضي جهان القزويني الحسيني الذي كان منذ سنوات عدة محبوسا في رشت، إلى البلاط الشاهي فنال العطف والثقة من الشاه وأسند له منصب الوزارة في الديوان الشاهي. وحدث أن قبض على سلطان مظفر والي گيلان بيه پش الذي كان هاربا من سطوة الشاه ومتخفيا في شيروان تحت اسم «أميره دباج» وأتى به إلى تبريز فأمر الشاه بوضعه في قفص خشبي وتعليقه من منارة جامع المظفرية ثم إطلاق النفط عليه وإحراقه.

وفي رمضان هذه السنة دبر السلطان سليمان مقتل الوزير الأعظم إبراهيم باشا فقد كان هذا الوزير يلقب نفسه في غزوة العجم بالسلطان إبراهيم. وقد تمكن منه الغرور إلى حد أنه ارتكب حماقات منها أنه جعل اسمه في الخطبة والسكة رديف اسم السلطان. فذات ليلة دخل سراي السلطان فسقوه الخمر طول الليل ثم ادخلوه غرفة نوم السلطان الخاصة وهناك فاجأه السلطان ومعه كبير البستانيين «بوستانجي باشي» فقتلاه وأخفيا جثته في الحديقة ولم يدر أحد عنه شيئا.

سنة ٩٤٣/١٥٣٦-٣٧: نهض السلطان سليمان خان الغازي من دار السلطنة القسطنطينية متوجها نحو بلاد الآرناود «أرنود» قاصدا تأديب طائفة الأرنود وانتدب كلا من الوزير لطفي باشا وخير الدين باشا القبطان «ناظر البحرية» لتسخير بعض الجزاير التي كانت تحت تصرف ملك الإسپان.

وفي هذه السنة أيضا نهض طهماسب من أوجان آذربيجان وجاء إلى قزوين بقصد الزحف منها إلى خراسان فأنزل هنالك جام غضبه على مولانا ركن الدين الطبيب الكازروني، وسطع نجم سادات أسكو مرة أخرى فأسند منصب الصدارة إلى الأمير شمس الدين أسد الله الشوشتري. وتوفي إلى رحمة الله ميرك شرف الدين الكرماني الذي كان متوليا منصب الإنشاء مدة من الزمن فأسند منصب دار الإنشاء الشاهي إلى محمد بك أخي الأمير زكريا الوزير.

وفي هذه السنة أيضا كانت وفاة سلطان حسن والي گيلان بيه پيش فأسندت إدارة گيلان هذه إلى بهرام ميرزا الذي أمضى الشتاء بقزوين وتوجه

---

[1] بوليس التعذيب.

في آخر السنة إلى گيلان، الأمر الذي حمل كلا من قرا محمد ومير عباس وسرا فراز سلطان لشته نشايي الشهير بحبكه‌بند على استصحاب خان أحمد بن سلطان حسن الذي كان طفلا والاعتصام به في جبال أشكور الوعرة التي ليس لها نظير في گيلان في الوعورة وبذلك أعلنوا تمردهم وعصيانهم على الشاه. ولكن بقية الأعيان والأهالي قدموا الطاعة، وثبتوا على ذلك، فلبث بهرام ميرزا عدة أيام في لاهيجان وقام بأعباء الحكم بها.

سنة ٩٤٤/١٥٣٧-٣٨: عاد السلطان سليمان خان إلى استبول بعد أن نهب بلاد الأرنود وسلبها؛ كما أن الوزير لطفي باشا تمكن من فتح ثلاث قلاع من بلاد الإسپان إلا أنه دمرها كلها لعدم إمكان المحافظة عليها وعاد أدراجه سالما غانما.

وفي هذه السنة توجه الشاه طهماسب إلى طهران بقصد الزحف منها إلى خراسان. ثم قبض على الأمير قوام الدين نور بخشي وأهلكه حسب العادة والعرف ثم عاد إلى قزوين وتوجه منها في قلب الشتاء إلى تبريز.

هذا وكان الخواجه كلان ملك زاده الخوافي، الذي تربى في ظل نعمة السلطان، قد حمله الغرور والعجب بالنفس على شق عصا الطاعة وسلوك طريق التمرد والشقاق متحصنا في قلعة قرية استاد من أعمال ولاية باخرز. وكانت هذه القلعة على جبل عال يبلغ ارتفاعه بضعة آلاف ذراع ولم يكن لها سوى طريق واحد للمشاة ولا يعرف أهل البر والبحر لها نظيرا فلما بلغ عصيان هذا الرجل مسامع الشاه أرسل إليه أولا الأستاذ شيخي الطوبجي ليسدي إليه النصائح ويعيده إلى الطاعة، فما كان منه إلا أن قتل الأستاذ شيخي بضربة سهم. فاضطر الشاه لتكليف أمراء وقواد خراسان ضرب الحصار على القلعة المذكورة فطالت أيام الحصار ولكن كرديا من طائفة الچكني تمكن أخيرا من الصعود إلى القلعة من جانبها الشرقي وجر جماعة من الفدائيين إلى الأعلى بالجبال والأطناب، فهجم هؤلاء دفعة واحدة على رجال الخواجه كلان الذين كانوا يحرسون باب القلعة فشتتوهم ووقع الخواجه كلان في الأسر فأتوا به إلى تبريز حيث أمر الشاه بتعليقه من إحدى رجليه من مأذنة نصرية صاحب آباد حتى سلم روحه إلى قابض الأرواح.

وحدث أن اتفق رجال گيلان مع قرا محمد وإخوته وشقوا عصا الطاعة على بهرام ميرزا وأرادوا محاصرته في لاهيجان. ولكن الميرزا أسرع بالذهاب إلى طرف الديلم ولم يتوقف هنالك أيضا فواصل السير إلى أن بلغ قزوين.

وفي هذه الأثناء كان عبيد الله خان أوزبك قد أغار على خراسان وقتل والي هراة المدعو صوفيان خليفة روملو في قلعة عبدل آباد من أعمال نيسابور وضرب نطاق الحصار على مدينة هراة. فلما بلغ نبأ ذلك إلى مسامع الشاه بادر بالتوجه نحو خراسان لقتال المغير. فما كاد الشاه يبلغ إلى دامغان حتى بادر عبيد الله خان إلى ترك الحصار والعودة إلى ماوراء النهر. وحينئذ حول الشاه إيالة خراسان من سام ميرزا إلى ولده محمد ميرزا وعين محمد خان شرف الدين أوغلي تكلو رائدا له. وفي شتاء هذه السنة توجهت الرايات الشاهية نحو نسا وأبيورد حيث لاقى الجيش في الطريق كثيرا من المشاق والمتاعب من شدة البرد ولكن الشاه مع ذلك تمكن من مواصلة السير والزحف حتى تسنى له ضم قندهار وزمين داور إلى الممالك الشاهية المحروسة وعهد بإيالتها إلى بوداق خان القچار. وعاد الشاه بالجيش مرحلة مرحلة إلى العراق.

سنة ٩٤٥/١٥٣٨-٣٩: قصد السلطان سليمان خان بلاد بغدان لقتال ملكها لأنه اتفق مع الملوك الأفرنج والألمان عليهم السخط والنيران على السير إلى بلاد الإسلام مزدرين بها ولأنه امتنع عن دفع الجزية. وقد استولى السلطان على قلعة سجاو من أعمال بغدان الأمر الذي حمل الملك المسيء على الفرار إذ لم يستطع المقاومة والثبات فأخلى الولاية وترك أهاليها فنصبوا لهم حاكما خاصا وتقدموا به للسلطان بالطاعة وبقبول دفع الجزية والخراج، ثمانين ألف قرش سنويا للخزانة. فقبل السلطان التماسهم وعاد إلى استبنول باليمن والسعادة.

وفي هذه السنة أرسل الشاه طهماسب ألقاس ميرزا لقتال ودفع شاهرخ بن فرخ يسار والي شيروان الذي تحصن في قلعة بيغرد وهي من قلاع شيروان شديدة الإحكام. ونهض الشاه طهماسب عقب ألقاس ميرزا إلى شيروان زاحفا فاستولى على قلعة بيغرد هذه صلحا. ومع ذلك فإن القزلباش قتلوا زهاء ستماية من المتحصنين بها بالسيوف البتارة حتى إن الشاه بنفسه قتل عدة رجال من أعيان شيروان قصاصا منهم لجده سلطان حيدر الذي كان قد قتل هنالك. ثم أعطى إقليم شيروان لألقاس ميرزا وعاد إلى تبريز وأمضى الشتاء بها.

وفي هذه السنة ثار محمد صالح حفيد الخواجه مظفر التبكجي في استرآباد على واليها صدر الدين خان وأخرجه من الولاية. ولكن صدر الدين خان باغته بالإغارة عليه وتمكن من القبض عليه وإرساله إلى البلاط الشاهي،

فصدر الأمر بتعليقه من مأذنة نصرية تبريز. وهكذا انقرضت به أسرة التبكجي.

سنة ٩٤٦/١٥٣٩-٤٠: أرسل السلطان سليمان خان الوزير سليمان باشا للاستيلاء على الهند عن طريق بحر عمان، كما أن خير الدين باشا اصطدم في البحر بمن يدعى «أندره دوره» من قبطانات الإفرنج فقامت بينهما معركة بحرية طاحنة فاستولى أندره دوره على قلعة «نوه» وعين لها حاكما من الكفار فاضطر خير الدين باشا للهجوم مرة أخرى على القلعة المذكورة واستردادها من أيدي الكفار وأبادهم عن آخرهم وعين حامية إسلامية لها.

وفي هذه السنة توفي عبيد خان أوزبك في بخارى وخلفه مستقلا بالسلطنة في ما وراء النهر وتركستان عبد الله خان بن كوچونجي خان بن أبي الخير خان. وقد أبدى الشاه طهماسب سروره وابتهاجه بوفاة عبيد خان وبالغ في ذلك حتى إنه وزع الصدقات والنذور لاجل ذلك. وكذا توفي غازي خان والي شيراز في المعسكر فأعطى منصبه إلى إبراهيم خان ولد كجل بك ذو القدر. ثم ظهر الطاعون في تبريز ومات منه خلق كثيرون.

سنة ٩٤٧/١٥٤٠-٤١: نهض السلطان سليمان الغازي من استنبول لدفع ملك النمسا المسمى فرندوش الذي أغار على ولاية أنكروس فحاصر قلعة بدون. وقد سبق أنه حين استولى العثمانيون على قلعة بدون أعطيت حكومتها إلى بان أردل «ملك أردل» وبعد وفاته أسندت الحكومة إلى البان استفان. فجاء الملك فرندوش إلى البان استفان هذا زاحفا ومحاصرا حيث خف إلى نجدته الوزير محمد باشا بجيش الروملي قبل ورود الموكب السليماني السامي.

وفي هذه السنة استاء غازي خان تكلو من بلاط السلطان الغازي وانحاز بمن معه وكان عددهم ستة آلاف فارس إلى جانب الشاه طهماسب في مصيف «يلاق» سرلغ فنال منه العطف والثقة إذ أسند إليه حكومة بعض ولاية شيروان مثل مقاطعات ساليان ومحمود آباد وباكو. ثم أغار الشاه طهماسب بنفسه على إقليم گرجستان فأطلق يد النهب والتخريب في ولاية تفليس التي كانت تخضع لحكم لوارسب الگرجي وعاد مثقلا بالغنائم الكثيرة إلى تبريز وأمضى الشتاء بها.

سنة ٩٤٨/١٥٤١-٤٢: حينما وصل الوزير محمد باشا الذي كان قد خف إلى قلعة بدون قبل وصول الموكب السلطاني، إلى تلك الجهة، وجد أن الملك

فرندوش قد ترك حصار القلعة وأعد ميدانا ليكون ساحة الحرب والقتال جمع فيه اسباب الدفاع والقتال الطويل من حفر خنادق ووضع عربات وجذوع الشجر في أطرافها وبناء حصون واستحكامات حولها ويقال لمثل هذا المكان في اصطلاحهم «اصطبور». ولما التقى الجمعان لحقت الهزيمة بجيش الكفار وبادر الملك فرندوش إلى الخروج من الاصطبور ولاذ بالفرار، وقتل خلق كثير من جيوشه الخاسرة تحت ضربات سيوف الغزاة المسلمين.

وكان فتح قلعة «پشتة» أيضا في هذه السنة وعاد السلطان الغازي إلى دار السلطنة القسطنطينية.

وفي هذه السنة أيضا قدم محمد خان والي شكى مع ألقاس ميرزا على بلاط الشاه في مصيف سهند فنالا عطفه وعادا من حيث أتيا. وأمضى الشاه الشتاء في تبريز. وتوفي عبد الله خان بن كوچونجي خان الذي كان قد تولى الحكم بعد وفاة عبيد خان في ما وراء النهر، وخلفه في الحكم عبد العزيز خان ين عبيد خان حيث رفع راية الاستقلال عالية.

سنة ٩٤٩/١٥٤٢-٤٣: قضى السلطان سليمان الغازي أوقاته السعيدة في الشتاء والربيع في دار ملكه القسطنطينية متمتعا بالسعادة والسرور والبهجة.

وفيها أرسل سلاطين الأزبكية رسلا من قبلهم إلى الشاه طهماسب حيث قدم من قبل كستن قرا سلطان ولد جاني بك خان حاكم بلخ المدعو جان چهره بهادر، ومن قبل عبد العزيز خان ولد عبيد خان حاكم بخارى المدعو خداي بردى بهادر، فأكرم الشاه وفادتهما وعين حاجي أغاي المهمندار لمرافقتهما حتى عادا إلى بلادهما مسرورين.

وفي فصل الخريف توجه الشاه نحو خوزستان وأخضع بلاد دزفول وشوشتر وغيرها من ولاية خوزستان إلى حكمه. وفوض أمور حكومة دزفول وشوشتر إلى أبي الفتح بك الأفشاري وعاد إلى العراق حيث أمضى الشتاء به.

سنة ٩٥٠/١٥٤٣-٤٤: نهض السلطان سليمان الغازي من استنبول مشمرا عن ساعد الجد قاصدا تسخير بلاد «بچ» وطرد ملكها «قرالها» وتأديبه فتسنى له أولا فتح قلعتي والپوه وشقلاوش اللتين هما في الواقع أشهر قلاع بلاد الكفار. وكذلك تمكن فيما بعد من فتح القلاع: استرغون، شغراد، سازوا، پجوى، تاتا، اوستوني بلغراد التي هي من الأبنية القديمة جدا حتى إنها تذكرنا

بقصر الشداد وبالبروج المشيدة المنسوبة لعاد. وعين لإدارة هذه القلاع جماعة من ضباط الإنكشارية مع حاميات مناسبة للحراسة والمحافظة. وهكذا تحولت الكنائس ومعابد الأصنام بتلك البلاد إلى مساجد ومدارس للمسلمين حسب الشريعة.

وفي هذه السنة توجه الشاه طهماسب من مشتى قم إلى مصايف سربند همدان فمرض في أطراف نهاوند واختل مزاجه الشريف وبادر الأطباء الحاذقين والحكماء المدققين إلى مداواته ومعالجته بالأغذية والأشربة الموافقة حتى عادت صحته كما كانت في بضعة أيام، مما حمل الأمراء والقواد والأعيان من القزلباش الذين كانوا في قلق شديد واضطراب مستمر من جراء مرض الشاه، على توزيع الصدقات والنذور على أرباب الحاجات المستحقين. ثم تعين عبد الله خان استاجلو والي همدان وشاه علي سلطان للإغارة على ولاية وعشائر الكلهر فقاما بذلك ونشروا الفوضى والخراب فيها وعادا غانمين سالمين، كما أن الأمر الشاهي صدر بقتل غازي خان تكلو، الذي كان قد بدت منه مرارا آثار الخيانة وعلائم النفاق، مع إخوته في شيروان، فنفذ الأمر. وأمضى الشاه الشتاء في قزوين هذه السنة.

سنة ٩٥١/١٥٤٤-٤٥: أمضى سلطان الروم وسليمان بلادهم «سليمان القانوني» أوقاته السعيدة في استنبول بالسعادة والهناء.

كما أن الشاه طهماسب ملك العجم غادر قزوين قاصدا مصايف آذربيجان. وفي خلال ذلك قدم الميرزا همايون بن الميرزا بابر بن الميرزا عمر شيخ بن الميرزا سلطان أبي سعيد بن الميرزا سلطان محمد بن الميرزا ميرانشاه بن الأمير تيمور كوركان، لنزاع بينه وبين أمراء دولته وأعيان جيشه، وخاصة مع أخيه الميرزا كامران، وشيرخان والي هندستان، ولم يصمد لهم، وفضل قطع علاقته بالهند ومغادرتها إلى العراق وآذربيجان من بلاد إيران لاجئا إلى بلاط الشاه طهماسب فتشرف بالمقابلة الشاهية في چمن أبهر مقدما إلى الشاه هدايا وتحفا عظيمة منها قطعة ألماس وزنها أربعة مثاقيل وأربعة دوانيق لم ير لها الدهر نظيرا في مختلف العصور والأدوار. فبالغ الشاه أيضا في إعزازه وتكريمه فأقام عدة حفلات ملكية وولائم شاهانية فخمة في مصايف سرلغ وأقيمت مباراة الصيد والطراد. ومن غريب الاتفاق أن سهما من سهام الصائدين أصاب أبا القاسم خلفاي قاچار فمات.

وأما الشاه طهماسب فقد كان ينوي قتل الميرزا همايون ولكنه عدل أخيرا عن نيته هذه بفضل شفاعة أخته سلطانم، ورق لحاله فأصحبه زهاء ستة آلاف من القزلباش بقيادة بوداق خان قاچار وأرسله إلى الهند. وتمكن الميرزا همايون بهذا الجيش من قهر شيرخان والاستحواذ على سلطنة تلك البلاد مرة أخرى، وفي نظير هذه المساعدة القيمة أعطى ولاية قندهار إلى الشاه طهماسب فمن ذلك التاريخ حتى الآن لا تزال تلك الولاية خاضعة لحكم القزلباش تدفع سنويا لهم مبلغ أربعين ألف تومان.

سنة ٩٥٢/١٥٤٥-٤٦: أمضى السلطان سليمان فاتح الروم أوقاته الشريفة في أدرنه واستنبول في الصيد والقنص فارغ البال مرتاح الضمير إذ لم يقع شيء من الحوادث في أية جهة من جهات ممالكه الواسعة.

وأما الشاه طهماسب فإنه توجه نحو العراق بسبب الطاعون الذي تفشى في تبريز حتى إذا ما بلغ محلة تدعى علي بولاغي في حدود خراسان عاد إلى قزوين وأمضى الشتاء هنالك حيث بلغته أنباء تمرد وعصيان ألقاس ميرزا بإغراء بعض المفسدين من القزلباش.

سنة ٩٥٣/١٥٤٦-٤٧: في مطلعها توفي في مدينة مغنيسا الأمير السلطان محمد خان بن السلطان سليمان خان فنقل نعشه إلى استنبول وبني على قبره مسجد عال. وفتح ميرميران بغداد، البصرة وجوارز وواسط وأدخلها في عداد الممالك العثمانية المحروسة وتعين من قبل الباب العالي موظفون وعمال وأمراء وبكلربكية لتلك الجهات.

هذا وغادر الشاه طهماسب مشتى قزوين متوجها إلى آذربيجان حتى إذا ما بلغ موكبه مصيف أوجان تشرفت بالمقابلة السنية خان بيكي خانم والدة ألقاس ميرزا مع ولدها سلطان أحمد ميرزا لأجل التماس العفو لابنها والتجاوز عن سيئات عصيانه. فأصدر الشاه العظيم عفوه الكريم عنهم جميعا وألف وفدا من أعيان وأمراء القزلباش، أمثال سيد بك كونه وبدرخان استاجلو وشاه قلي خليفة مهردار ذو القدر وسوندوك بيك قورچي باشي أفشار ومعصوم بك الصفوي والميرزا إبراهيم قاضي المعسكر الشاهي، وأرسله مع والدة ألقاس ميرزا إلى شيروان ليطمئنوه على نفسه ويستميلوه إلى الشاه على أن يحلف بأن لا يعود إلى ارتكاب ما يخالف الرضاء الشاهي وألا يحيد عن جادة الصواب

والطاعة قط. ثم توجه الشاه بنفسه إلى غزو گرجستان، وأرسل ألقاس ميرزا من دربند شيروان إلى غزو الچركس.

واجتاز الشاه طهماسب ناحيتي سوركل وپنيك ودخل كرجستان وقضى أكثر شتاء هذه السنة في تسخير بلاد هذه المقاطعة والضرب على أيدي أشرارها من الكفار ثم عاد منها إلى قراباغ أران فدخل إقليم شيروان عابرا نهر الكر في جهة معبر «قيون أولمي» في الحادي عشر من شهر ذي الحجة ومنها ذهب إلى علي چوبان.

سنة ١٥٤٨/٩٥٥-٤٩: نهض السلطان سليمان الغازي من دار الملك القسطنطينية متوجها نحو آذربيجان. وذلك بتأثير وإلحاح ألقاس ميرزا الذي كان يقول للسلطان إنه فور توجه جيشه نحو إيران ينفر جميع أعيان القزلباش وقوادهم من أخي الشاه طهماسب وينضمون عن طيب خاطر إلى الجيش الهمايوني السلطاني. ولكن السلطان واصل السير حتى بلغ دار السلطنة تبريز من غير أن يقابله أحد من القزلباش لا في الطريق ولا في المدينة، بل إن أتباع ألقاس ميرزا الذين كانوا قد ذهبوا من شيروان معه إلى بلاد الروم لاجئين نفروا منه وانفصلوا عنه وعادوا إلى الشاه. فلذا لبث السلطان في تبريز أربعة أيام فقط نظم فيها شؤون البلد واستراح بها مصدرا أوامره المشددة بأن لا يقدم أحد من الجنود على أخذ أموال الناس بالغضب والتعدي ولو حمل تبن لخيول الجيش وأن تفتح الأسواق والمدينة أبوابها كما كانت وتجري معاملات البيع والشراء حسب العادة. وفي أثناء ذلك عاد الموكب السلطاني إلى جهة «وان» وحاصر هذه القلعة الشامخة الذرى إلى عنان السماء وأخذ في ضربها بالعرادات والمناجيق والمدافع الهائلة حتى طلب صاحبها شاه علي سلطان الحسيني الأمان لنفسه وسلم القلعة لرجال الدولة العثمانية، وهكذا دخلت بلاد وان ووسطان وأرجيش وعدلجواز في عداد الممالك العثمانية. ولما فرغ السلطان سليمان من فتح القلاع وما يقتضيه من الأمور توجه نحو مشتى حلب فسلك طريق بندماهي حيث ذهب إلى أرجيش وخنس.

وكان الشاه طهماسب متوقفا في جهة پاسين وأوينك حيث أبلغه الجواسيس بأن السلطان الغازي يقصدك ومعتزم الإغارة عليك حالا. فلاذ الشاه بالفرار إلى أرزنجان في الوقت الذي أبلغوا السلطان بأن الشاه طهماسب قطع الطريق على السلطان قاصدا إلحاق الأذى بجيوش الإسلام، مما حمل السلطان على العدول عن السير في تلك الطريق فرجع من أرجيش إلى موش

ومنها إلى بدليس مجتازا دربند قاصدا ديار بكر ومنها توجه إلى حلب. فجاء بعده الشاه طهماسب إلى بدليس وأحرق موش وخويت ووصلت جيوش القزلباش حتى «كوك ميدان بدليس» محدثة في البلاد التخريب والدمار. ثم سار الشاه نحو وان وحاصرها. وأرسل السلطان الغازي ألقاس ميرزا إلى بغداد وشهرەزول لتدمير العراق وإمضاء الشتاء بها، وفي ربيع هذه السنة جاء السلطان الغازي من مشتى حلب لقتال الشاه طهماسب إلى ديار بكر وقصد «مصيف ألمالو» وأقام به عدة أيام. وفي هذه السنة وصلت الأنباء إلى مسامع نواب الشاه طهماسب بأن ألقاس ميرزا قدم من بغداد إلى العراق «العجمي» وأنه نهب وسلب معسكر أخيه بهرام ميرزا وچراغ سلطان استاجلو في همذان وأسر عيالهم وأولادهم ثم توجه من هنالك إلى جهة قم وكاشان وأصفهان وأن أعيان ولاية العراق وسكانها قدموا إليه الطاعة. فأرسل الشاه بعض القواد مع بهرام ميرزا كطليعة للجيش الزاحف إلى العراق ثم غادر هو قلعة وان وتوجه نحو قراباغ قاصدا تمضية الشتاء بها؛ بيد أنه عاد فغادر شاطئ نهر الكر وتوجه نحو قزوين عن طريق أردبيل وخلخال، وأرسل الأمراء والأعيان قبل وصوله للمحافظة على جيش القزلباش وأهليهم وعيالهم الذين كانوا مشتتين في ولاية العراق.

ولما شاع خبر قدوم الشاه في أصفهان وبلغ نبأ ذلك لمسامع آلقاس ميرزا خف على الفور قاصدا ولاية خوزستان، واستولى على قلعة يزد خواست وأحدث فيها مذبحة ثم توجه نحو شوشتر ودزفول، فحاصر قلعة شوشتر وبذل الجهود في الاستيلاء عليها، ولكنه عجز عن ذلك بفضل حسن دفاع أولاد الأمير شمس الدين أسد الله وهما الأمير زين الدين السيد علي ووجيه الدين عبد الوهاب وهما مرجع الأمور في تلك البلاد، وقد قاما بتضحيات كثيرة فكلما ضيق رجال الروم الحصار على القلعة وشددوا الهجوم عليها استماتا في الدفاع عنها... وهكذا أفسدا هجوم ألقاس وحملاه على العودة إلى دزفول ولم يعمل هنا أيضا شيئا فعاد خائبا إلى بغداد عن طريق قلعة بيات.

سنة ١٥٤٩/٩٥٦-٥٠: في مطلعها عين السلطان سليمان الغازي وزيره الأعظم سردارا لجيش عرمرم أرسله من مصيف ألمالو إلى جهة كرجستان لقتال الشاه طهماسب. ومع أن المسافة بين الفريقين لم تكن تزيد في وقت من الأوقات عن مرحلة واحدة فإن السردار العظيم لم يجرء على التقدم والاشتباك في قتال مع القزلباش بل اكتفى بالاستيلاء على عدة قلاع من ولاية «شوشاد»

وعاد إلى المعسكر السلطاني العظيم كما عاد السلطان الغازي في خلال الأيام المذكورة إلى مقر ملكه.

وأما الشاه طهماسب فأمضى الشتاء في قزوين ومنها توجه نحو مصيف خرقان حيث رفع إليه بأن آلقاس ميرزا فقد ثقة السلطان العثماني به لما صدر منه من الأخطاء مما يطول شرحه، وأن الوزير الحالي رستم باشا أخذ يعاديه ويبغضه، فلذا قدم آلقاس ميرزا إلى شهرزول وأعرب عن أمله في الصلح مع أخيه. فسر الشاه طهماسب لهذا الخبر وخف إلى كردستان يقطع المرحلة تلو المرحلة، وأرسل الأمير عبد العظيم متولي عتبات الإمام رضا عليه التحية والثناء إلى الميرزا آلقاس يستميله ويطمئنه، وبينما الميرزا متردد في الإجابة على أخيه إذا بجيش من الروم «العثمانيين» يباغته ويشتت شمل جيشه وينهب معسكره، ويضطر هو مع بضعة أشخاص إلى الالتجاء إلى قلعة سرخاب بك حاكم أردلان. فندب الشاه طهماسب سوندك بك قورجي باشي ومعه طائفة من القورجية فحاصروا القلعة التي لجأ إليها ثم عرضوا أمره على السدة الشاهية فأرسل الشاه هذه المرة إليه الأمير نعمة الله الثاني ليسدي له النصيحة فوفق الأمير نعمة الله في مهمته حيث أحضر آلقاس ميرزا مع عشرين من رجاله الملازمين له إلى بلاط الشاه، فأمر الشاه بعد يومين باعتقاله وإرساله إلى قلعة القهقهة حيث أمضى مدة عمره مقيدا إلى أن صدر الأمر بإلقائه من أسوار القلعة لقتله لئلا يعود إلى نقض العهود والمواثيق مرة أخرى.

ومات في الخامس عشر من شهر رمضان هذه السنة بهرام ميرزا الأخ الأصغر للشاه طهماسب، تاركا ثلاثة أولاد صغار وهم: سلطان حسين ميرزا وإبراهيم ميرزا وبديع الزمان ميرزا.

وفي أواخر هذه السنة ظهر شخص يدعى برهان من أحفاد سلاطين شيروان، فعلا شأنه وذاع صيته حتى استولى على أكثر بلاد شيروان فأسند الشاه طهماسب حكومة هذه البلاد إلى عبد الله خان استاجلو وانتدبه لقتال ذلك الثائر الخارج على سلطة الشاه، ومن غرائب الصدف ان مات «برهان» حتف أنفه بمجرد عبور عبد الله خان نهر الكر. ولكن أهالي شيروان اختاروا مكانه شخصا آخر يدعى «محراب». ولما أغار عبد الله خان على هذا الزعيم لم يطق المقاومة ولاذ بالفرار. وهكذا دخلت ولاية شيروان من جديد تحت تصرف القزلباش.

سنة ٩٥٧/ ١٥٥٠-٥١: شرع السلطان سليمان خان في إنشاء مسجد جامع في استنبول فأتم بناءه في ثمان سنوات وسمي بسليمانية وهو الثاني في القدر للجامع الأموي والثالث لمسجد أيا صوفيا.

وفي هذه السنة أيضا توجه الشاه طهماسب من قزوين إلى مصيف سلطانية ومنها نهض إلى جهة آذربيجان مرسلا الأثقال والأحمال مع الجيش إلى العراق، وذاهبا هو إلى قراباغ لتمضية الشتاء به.

سنة ٩٥٨/ ١٥٥١: عين السلطان سليمان الغازي وزيره الأعظم أحمد باشا سردارا لجيش عرمرم من الإنكشارية وجنود ميرميران الروم إيلي وكلفهم الاستيلاء على قلعة طمشوار، تلك القلعة التي كانت تناطح السحاب في العلو وتناظر السماكين بالمناعة، وكانت بيد كافر يدعى «لوسانجه» وكان دائما يلحق الأذى والإهانات بالمسلمين على الحدود العثمانية. فهرع أحمد باشا مسرعا إلى هذه القلعة وحاصرها وحمي وطيس القتال وعلا الصياح وارتفع الغبار إلى عنان السماء من قصف المدافع وسنابك الخيل فنزلت الويلات من كل الجوانب على المشركين والكفار فسلمت القلعة مع حصن صولنق الشهير وغيرهما من التوابع والملحقات التي يبلغ عددها تسع قلاع ضمت إلى الممالك المحروسة العثمانية وعين الوزير الميرميران والسناجق والقضاة للمحافظة على تلك الولاية وحراستها. ثم عاد إلى دار السلطنة المحمية.

وفي هذه السنة أرسل الشاه طهماسب حملة عسكرية على درويش محمد خان والي شكى، وكانت قد بدت منه مرارا آثار العصيان والتمرد. فجاءت هذه الحملة وانتزعت منه القلعة عنوة واضطرته إلى الفرار متنكرا فاشتراه كوسه پيرقلي فدخل ملازم چرنداب سلطان شاملو فلم يعرفه فقتله.

وفي هذه السنة حول الشاه حكومة المشهد المقدس عن شاه قلي سلطان استاجلو وأعطاه حكومة «چقرسعد»، وأسند حكومة المشهد إلى علي سلطان ذو القدر تاتي أوغلي.

وفي أواخر هذه السنة وصل رسول من قبل ملك إسبانيا عن طريق هرمز إلى البلاط الشاهي. وبعد ذلك جاء شخص يدعى قلي محمد بهادر إلى البلاط رسولا من قبل دين محمد خان أوزبك، والي خوارزم، وأثناء عودته إلى بلاده علم بسبزوار أن دين محمد قد توفي فعمد إلى الفرار ليلا إلى المرو تاركا القاضي عطا الله أخا القاضي محمد الرازي، الذي كان قد صحبه في السفر.

وكان في هذه السنة ظهور الطاعون في جيش القزلباش مما حمل الشاه طهماسب على تشتيت جيشه في أنحاء البلاد وقضى هو أيام الشتاء في قراباغ أران.

سنة ٩٥٩/١٥٥١-٥٢: بنى السلطان سليمان الغازي قبة عالية على الصخرة المباركة الواقعة على الجانب القبلي من القدس الشريف وزين داخلها وخارجها بالقيشاني «كاش كاري» الغالي، وبنى جامعا شريفا، رفيعا، وزاوية منيعة وسيعة في الشام في موضع يقال له كوك ميدان واشتهر بالقصر الأبلق، وأتم ذلك في مدة وجيزة وعين جرايات وتعيينات صباحا ومساء من الأطعمة الكافية للمسافرين الوافدين عليه.

وفي شهر رمضان من هذه السنة تحرك ركاب الشاه طهماسب نحو ولاية «وان» لتسخيرها فحاصر قلعة «أخلاط».

ولما كانت هذه القلعة واقعة على صخر رخو ناعم شرع النقابون يحفرون السراديب من كل الجهات مما حمل المتحصنين بها على طلب التسليم والأمان على أرواحهم، فمنحهم الشاه الأمان وأرسل معهم من يوصلونهم سالمين إلى بدليس في نفس اليوم. ثم عمد الشاه إلى تدمير القلعة تدميرا كليا. ثم نهض من هناك نحو أرجيش وأمر بضرب الحصار الشديد على قلعتها، فأخذ القزلباش في تضييق الحصار ومنازلة من بالقلعة بكل الوسائل الممكنة، ولكن أيام الحصار طالت وبلغت أكثر من أربعة شهور وحل موسم الشتاء والزمهرير، وهطلت الأمطار والثلوج، ومع ذلك فإن الشاه طهماسب واصل الحصار وأمر بتضييقه وهو مع جيشه مقيم في الخيام في قلب الشتاء تحت رحمة الثلوج والأمطار الغزيرة.

هذا وكان في القلعة صدفة بعض طوائف البختية مثل الأمير إبراهيم گوركيلي ومعه عدة من رجاله فلم يقبلوا التسليم قط على عكس بعض الأهالي من الروم «الترك» الذين كانوا ميالين إلى التسليم بعد هذا الدفاع الطويل. فبادروا سرا إلى الاتفاق مع القزلباش المحاصرين لهم فأدلوا لهم الحبال والأطناب، فأصعدوا منهم طائفة إلى القلعة هجموا بهم على الممتنعين عن تسليم القلعة وهم طائفة البختية وأبعدوهم إلى ناحية من نواحي القلعة وسلموا القلعة إلى رجال الشاه طهماسب الذي بادر إلى قتل البقية الباقية من البختية الأبطال بسلخ جلود رؤوسهم أحياء. ثم قتل مير لواء القلعة بديع الزمان ولد علي بك تركمان جليلو وهو ابن خال آلقاس ميرزا.

سنة ٩٦٠/١٥٥٢-٥٣: غادر السلطان سليمان الغازي دار السلطنة استبول قاصداً الاستيلاء على إيران فلما بلغ الموكب السلطاني قصبة أركيلي واتخذها مضرباً للخيام والسرادقات، قدم عليه ولده الأرشد الأمير سلطان مصطفى من أماسيه بجيش كبير للتشرف بالمقابلة.

وكان الوزير الأعظم رستم باشا خائفاً من سطوة الأمير فعمد بالاتفاق مع السيد محمد حاكم الحكاري إلى تزوير خطاب على لسان الشاه طهماسب ورفعه إلى السلطان. فلما وقع نظره على هذا الخطاب توجس منه خيفة فأمر فوراً بالقبض على الأمير وأعدمه سراً. ولقد أرخ أحد الفضلاء هذه الواقعة بقوله «مكر رستم». ثم نقل النعش إلى بورسا حيث دفن بها. وواصل الموكب السلطاني السير حتى حلب حيث أمضى الشتاء بها. وتوفي الأمير جهانگير في هذه السنة فنقلوا رفاته إلى استنبول وبنوا على قبره الواقع على تل عال مسجداً جامعاً.

وفي أول الربيع من هذه السنة غادر الموكب السلطاني مشتى حلب إلى جانب نخجوان. فلما بلغ ظاهر هذه المدينة اتخذه مضرباً لخيام جيوشه المنصورة. وهرب الشاه طهماسب إلى مصايف وجبال هذه البلاد إذ لم ير في نفسه المقدرة على المقاومة والثبات. ورأى السلطان بثاقب نظره أن الشتاء مقبل وأن احتمال إغارة الشاه طهماسب على البلاد الرومية «العثمانية» إغارة خاطفة قد يترتب عليها تدمير البلاد وتشتيت العباد فآثر العودة من نخجوان والقدوم إلى آماسيه حيث أمضى الشتاء فيها.

سنة ٩٦١/١٥٥٣-٥٤: قتل السلطان سليمان الغازي الوزير الأعظم أحمد باشا ونصب مكانه صهره رستم باشا الذي كان قد عزله سابقاً من جراء واقعة الأمير سلطان مصطفى أثناء التوجه إلى سفر نخجوان.

هذا وقد جاء الشاه طهماسب إلى تبريز في فصل الخريف وعقد خطبة ابنه إسماعيل ميرزا على بنت شاه نعمة الله من أحفاد الأمير نعمة الله القهستاني وابن أخت الشاه طهماسب نفسه وأقام لذلك أفراحاً عظيمة.

سنة ٩٦٢/١٥٥٤-٥٥: في مغرب يوم من أيامها كان الميرزا همايون والي الهند متكئاً على عصاه يشاهد الشفق على سطح قصره في بلدة دهلي فسقط من علياء قصره وأسلم روحه إلى بارئها، وخلفه ولده الأرشد السلطان جلال الدين محمد أكبر في سن... وأخذ يكبر شأنه حتى استولى على أكثر بلاد

الهند. والآن. وقت تحرير هذا الكتاب. له خمسة وأربعون عاما يحكم البلاد الهندية بالعدل والحزم والإحسان وبلغ صيت ذلك أقصى بلاد العالم.

وكان بود هذا الضعيف المكسور الخاطر أن أدرج تاريخ هذا السلطان العادل في هذه النسخة، المتواضعة، من الكتاب. ولكن اتساع رقعة بلاد الهند وكونها خارجة عن بلاد إيران وتوران يحملني على الاحتراز في تطويل الكلام ومضايقة الأنام.

وقد أرخ مولانا قاسم كاهي وفاة الميرزا همايون.

سنة ٩٦٣/١٥٥٥-٥٦: أمضى السلطان سليمان أوقاته السعيدة في دار السلطنة القسطنطينية في هناء.

وفيها عهد الشاه طهماسب بإمارة هراة إلى ابنه الثاني إسماعيل ميرزا وأرسله إليها بصحبة علي سلطان تكلو. وجعل محمد خان شرف الدين أوغلي رائداً له.

وسلم إسماعيل ميرزا، سلطان محمد ميرزا، إلى علي سلطان لكي يحضره إلى بلاط السلطان حسب الأمر.

فجاء علي سلطان بسلطان محمد ميرزا إلى حضرة السلطان في مصيف درياوك بقزوين. وحدث حين كان علي سلطان في صحبة إسماعيل ميرزا بهراة أن اتفق علي سلطان مع تاتار مسلطان وعلي بيك ولدي محمدخان وبعض الأمراء التكلويين، وخاصة شرف الدين بيك ولد أويس سلطان بن أخي خان محمد، على تحقير وإهانة «الرائد»، وبلغ بهم الأمر إلى حد أنهم هموا بقتله.

وعلى أثر بلوغ علي سلطان مصيف درياوك رفع «الرائد» الأمر إلى الشاه طهماسب. وبعد أن لقى علي سلطان العطف والرعاية، غضب عليه طهماسب بعد أن اطلع على تقرير «الرائد» وأمر بقتله تحت لكمات أبناء كلباد الكرجي فقتل أمام باب الديوان في مرعى ساوج بلاغ.[١]

وفي هذه السنة عقد الشاه طهماسب خطبة بنته جوهر سلطان خانم على ابن أخيه المدعو سلطان إبراهيم ميرزا ولد بهرام ميرزا مسندا إليه حكومة مشهد طوس وأرسله إلى خراسان.

---

[١] في النص ساوخ بلاغ. وصححنا اللفظ عن الترجمة العربية لكتاب لوسترانج: بلدان الخلافة الشرقية. حيث جاء أن معناه بالتركية «العيون الباردة». أنظر ص ٢٥٣ من هذا الكتاب، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. «مطبوعات المجمع العلمي العراقي».

وفي أواخر هذه السنة تجنب جميع الأمراء والقواد والقورجية بأمر من الشاه جميع المناهي والمنكرات وتابوا إلى الله توبة نصوحا فأرخ لهذه التوبة بعض الأدباء.

سنة ٩٦٤/١٥٥٦-٥٧: أمضى سلطان الزمان الفاتح السلطان سليمان خان أوقاته صيفا وشتاء في بلدة أدرنه المحمية في الصيد والقنص.

وفي هذه السنة أيضا كان عزل الشاه طهماسب لابنه إسماعيل ميرزا عن إمارة هراة لما صدر منه بها من الموبقات، وأعاد إلى حكمها سلطان محمد ميرزا، وقد أرسله مع سوندك بك قورچي باشي أفشار الذي كلف بالعودة بإسماعيل ميرزا إلى البلاط الشاهي. وما وصل نبأ عودة القورجي باشي بإسماعيل ميرزا إلى مسامع الشاه طهماسب في ساوه حتى أرسل أمير ديوانه معصوم بك الصفوي لاستقبالهما وتنفيذ الأمر بقيد إسماعيل ميرزا ووضع السلاسل في يديه ورجليه وحبسه في قلعة القهقهة. وعقب ذلك تحرك الموكب الشاهي إلى مصيف سهند فأصدر أمره هنالك بإلقاء القبض على القاضي محمد ولد القاضي مسافر الدين والي آذربيجان ومحافظ تبريز منذ عدة سنوات وكان يقوم بأعباء الحكم بها على خير وجه، فحسده أقرانه وحقد عليه أهل الغايات والأغراض، كما أمر بالقبض على حيدر بك أنيس ولد الأستاذ شيخي الطوبجي، وذلك لأمور نقمه عليهما وبعد أن صادر أموالهما وأخذ منهما ذهبا كثيرا وعذبهما عذاباً شديداً حبسهما في قلعة «ألموت» حتى ماتا.

وفي أواخرر هذه السنة توفي محمد خان شرف الدين أوغلي والي هراة. وأمضى الشاه الشتاء في قزوين مفوضا منصب الصدارة إلى الأمير تقي الدين محمد بن الأمير معز الدين محمد الإصفهاني.

سنة ٩٦٥/١٥٥٧-٥٨: أمضى السلطان سليمان خان كعادته أوقاته الشريفة في سعادة وهناء في دار ملكه الواسع استنبول.

وأما الشاه طهماسب فإنه جرد حملة عسكرية قوامها خمسة عشر ألفا من الفرسان تحت قيادة كل من شاه قلي خليفة المهردار وبدرخان استاجلو وبتعضيد الأمراء إبراهيم خان ذو القدر والي استر آباد ورستم خان أفشار حاكم كوهكيلويه وغيرهما من أمراء العراق وساقهما إلى طوائف التركمان من يقه وكراي‌لو وأوقلو الذين كانوا يلحقون أذى كثيرا بولايتي خراسان واستراباد كل سنة. فلجأ هؤلاء التركمان إلى حماية علي سلطان أوزبك أخي دين محمد.

الذي كان قد خلفه في ولاية أوركنج. ولقد توجه الشاه طهماسب عقب قواده هؤلاء إلى يلاق خرقان «مصيف خرقان» ليرقب الحالة ويرسل إليهم المدد وليتوجه من هنالك إلى خراسان إذا اقتضى الأمر.

وحدث أنه لما وصل الأمراء والجنود إلى أطراف استرآباد، لاذت جموع التركمان مع طائفة أوقلو بالفرار وذهبت إلى شاطئ نهر أترك ولكن الأمراء القزلباشية طاردوهم وأوغلوا في صحراء أترك حيث أصيب شاه قلي خليفة المهردار بمرض القولنج فمات من قلة المياه وشدة الحر، ومع ذلك فلم يروا أثرا لخيام وجموع التركمان في تلك الصحاري القاحلة سوى عدة عشائر وقبائل من التركمان عثروا عليها فنهبوها. واتفق أن خرج على سلطان أوزبك ومعه ثلاثة آلاف فارس من أوركنج وقطع الفيافي والصحاري أربعين يوما حتى لحق بالتركمان بشاطئ أترك وكانت المسافة بين الجيش تقدر بيوم واحد. ولما علم علي سلطان حقيقة قوى القزلباش وما كانوا عليه من الكثرة والاستعداد اتخذ لنفسه مكانا أمينا على شاطئ النهر فحفر حوالي معسكره، هذا، الخنادق حيث جعل ظهره للنهر وجعل جماله على حافة الخنادق كالحصار. واستعد هكذا للحرب والقتال. وتملك القزلباش العجب والغرور فهاجموه بلا حذر فجاء علي سلطان مع الرماة الماهرين إلى حافة الخنادق وأخذ مكانه فيه وأرسل جموع التركمان ومعهم ألف فارس لمطاردة القزلباش والإغارة عليهم من كل جانب وهو ثابت في مكانه يحاربهم ويقاتلهم بجلد فبعد أن دارت رحى معارك حامية لحقت الهزيمة بالقزلباش فوقع بدرخان استاجلو الذي كان مقدمهم أسيرا وقتل منهم كل من إبراهيم خان والي استر آباد ورستم خان أفشار حاكم كوهكليويه، كما أن الأمراء يادكار محمد بك موصلو حاكم ساوه، وحسن سلطان فيج أوغلي حاكم دينور، وعباس علي سلطان ولد چرنداب شاملو، وشاه قلي سلطان ولد كجل شاهوردي استاجلو وقعوا أسرى وغرق أكثر جندهم في نهر أترك.

ولما بلغت أنباء هذه الهزيمة المنكرة مسامع الشاه بخرقان تأثر كثيرا وتولته الدهشة والكآبة فبادر إلى تعيين أمراء وقواد آخرين بدل هؤلاء وعاد هو إلى قزوين حيث أمضى الشتاء.

وفي ربيع هذه السنة جاء سيل عظيم فاقتحم هذه المدينة وقضى على بضعة آلاف من بيوتها وجعل كثيرا من الأموال والنفائس تحت الوحل. وقد أخرجوا هذه الثروات من تحت الطين بعد فترة.

سنة ١٥٥٨/٩٦٦-٥٩: صدر أمر السلطان سليمان الغازي بتعديل أماكن إقامة ولديه السلطانين سليم وبايزيد. السلطان سليم خان الذي كان بقونيه نقل إلى أماسيه ونقل إلى مكانه، بقونيه، السلطان بايزيد. ولما كان السلطان بايزيد هذا خفيف العقل ومتهورا، حمل هذا التدبير المقرون بالأمر السلطاني على أنه دسيسة من الوزير الأعظم رستم باشا الذي كان زوج أخت السلطان سليم الكبرى. وقال في نفسه إنه يرمي بذلك إلى تقريب أخي من دار الملك وإبعادي مع كوني أرشد الأولاد إلى مكان بعيد حتى يتسنى لأخي الجلوس على العرش بعد وفاة والدي. ولكنه غفل عن الحكمة القائلة بأن الأمور لا تجري بمشيئتك وإنما هي بمشيئة الله. وفي بلاهة وغرور جمع حوله الغوغاء والدهماء وزحف على أخيه في قونيه وخاض غمار معارك طاحنة ولكن كل ذلك لم يجده نفعا فعاد إلى أنقرة. ولما علم السلطان الغازي بذلك أمر بتوجه جيوش كثيرة من قبوخلقي ومن الإنكشارية وميرميران الأنضول وقرامان ومرعش وسيواس وديار بكر لمساعدة السلطان سليم خان. فما كان من السلطان بايزيد حينما اطلع على سخط والده عليه إلا أن قرر التوجه نحو أرضروم ثم أرسل من يشفع له ويعتذر عنه. بيد أن والده لم يقبل عذره وحرمه من محبته وشفقته الأبوية فاضطر هو إلى الذهاب إلى أرضروم بسرعة عاجلة في مدة ثلاثة أيام حيث أكرم وفادته ميرميرانها أياز باشا وطلب البقاء عنده مدة حتى يتسنى له رفع أمره إلى العتبات السلطانية والتماس العفو عنه، وأخذ يسليه بالكلمات الطيبة والنصائح الغالية.

وفي أثناء ذلك قدم عليه السلطان سليم خان بجيوش جرارة ولم يبق مجال للسلطان بايزيد للوقوف والثبات فبادر إلى الفرار إلى حدود القزلباش، وأرسل إلى شاه قلي سلطان استاجلو والي چقور سعد معرباً عن إخلاصه وطاعته للشاه طهماسب الذي لم يكد يسمع بهذا حتى أرسل اليوزباش حسن بك استاجلو من قبله لاستقبال السلطان بايزيد بالحفاوة اللازمة والتوجه به إلى معيته بقزوين.

سنة ١٥٥٩/٩٦٧-٦٠: يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الآخر توجه السلطان بايزيد خان بموكب كبير مع اثني عشر ألف فارس إلى قزوين حيث قابله أكثر أمراء القزلباش بالحفاوة البالغة وأنزلوه في قصر الشاه القديم. وبعد ثلاثة أيام أقاموا له حفلا عظيما في الميدان الجديد الذي أقامه الشاه بقزوين أظهروا فيه كثيرا من مظاهر التبجيل والتعظيم له ولأنجاله وكبار حاشيته. وهناك خلع الشاه عليهم من الخلع الشاهانية والهدايا القيمة ما يقدر

بعشرة آلاف تومان. وعلاوة على ذلك فقد أمر الشاه بإرسال أكثر رجال دولة ضيفه الكريم طرف حكام الثغور الشاهانية وولاتها لكي يمضوا الشتاء بها. ثم عادوا جميعا في أول الربيع إلى سيدهم السلطان بايزيد ليتداولوا في شئونهم الخاصة. ولقد ساورهم القلق على مصيرهم وأيقنوا أن الشاه طهماسب لن يخلص لبايزيد بل سيعمل حسب رغبة السلطان سليمان، آخر الأمر، فلذا اهتم بالأمر كل من دلوقدوز وسنان چلبي الدفتر دار وأمير آخور باشي ولله باشا وفرخ بك وعيسى چاشنكير باشي وهم كبار أعيان دولة بايزيد وتداولوا في القضية واستقر رأيهم على أن يفتكوا بالشاه طهماسب في أول فرصة سانحة ويهربوا إما إلى طرف بغداد وإما إلى ولاية كرجستان وشيروان. ولكن بعضهم ولا سيما عرب محمد وچركسي محمود ومصطفى چلبي النشانجي وقرا أوغورلو أبلغوا نبأ المؤامرة بواسطة اليوزباشي حسن بك الشاه. ولما علم السلطان بايزيد بجلية الأمر وانكشاف سر المؤامرة بادر إلى إحضار عرب محمد ورفقائه الثلاثة وقتلهم فورا وفي اليوم التالي عرف الشاه بما حدث فغضب غضبا شديدا وأشار بإلحاق الأذى والإهانة بالسلطان بايزيد وحاشيته فتدفقت الغوغاء وسائر طوائف الأوباش على منازل هؤلاء الضيوف وأمطروها بالطوب والسباب والشتائم ولكن رجال الدولة وأركان الحكومة أرسلوا من يمنع هؤلاء المعتدين غير المسئولين عن التمادي في الهجوم والتعدي. وفي اليوم الثاني قرروا، حسب العادة المتبعة، أن يحضرو السلطان بايزيد إلى الديوان الشاهي بالحفاوة وأن يقيموا له ولحاشيته وليمة وبذلك يظهرون الاعتذار وتقديم الترضية عما فعل الدهماء.

ولما حضر السلطان بايزيد وأولاده النجباء مع الأعيان وضباط حاشيته مكرمين إلى الديوان تغيرت الحالة فجأة حيث صعد نائب الشاه بنفسه على سطح الديوان وأشار بهجوم القزلباش على الضيوف وإلقاء القبض على أنجال السلطان بايزيد وقواده وأفراد حاشيته. وفي طرفة عين أخذ زهاء عشرة آلاف رجل من المقبوض عليهم وقد غلت أيديهم إلى رقابهم يسيرون في الشوارع والمحلات حتى وقفوا أمام الديوان كان منهم خمسة آلاف رجل من رجال العشائر والقبائل وعليهم پير حسين بك طورغود أوغلي، وأحمد بك ذو القدر شاهينجي باشي، وعبد الغني چاويش السيواسي، ودلوسيف الدين القراماني. وعلي أقاي سكبان باشي، أطلق سراحهم وألحقوا بمعية الشاه والأمراء العظام. وأما باقي العسكر من الحاشية الذين كانوا مماليك وأبناء مماليك وإنكشارية

وغيرها من الطوائف فقد قتلوا كلهم وضمت أموالهم إلى الخاصة الشاهانية، ولم ينج من هذه المذبحة سوى عدة أشخاص.

هذا وفي هذه السنة أيضا كان دخول عيسى بن لوند الكرجي حاكم زكم في الإسلام وصحت عقيدته وأسند إليه الديوان الشاهي حكومة ولاية «شكى» وصار اسمه عيسى خان.

وتوفي في هذه السنة على التوالي كل من اليوزباشي حسن بك وحسين بك استاجلو القورچي التركماني وكانا عمادي هذه الأسرة العالية. ولما كان حسين بك رجلا ظالما فإن ظرفاء العصر أرخوا وفاته بقولهم: فرعون ثاني.

سنة ٩٦٨/ ١٥٦٠-٦١: حضر إلى قزوين من قبل السلطان سليمان الغازي. وفد مؤلف من علي باشا ميرمران مرعش الشهير بكيلون وحسن آقاي قبوچي باشي حاملين هدايا وتحفا عظيمة على رأس حاشية كبيرة يبلغ عددها ثلاثمائة رجل من الضباط والجنود بقصد طلب السلطان بايزيد فقابلهم رجال وأركان الدولة القزلباشية بالحفاوة والتكريم وأتوا بهم إلى مدينة قزوين حيث تشرفوا بمقابلة الشاه ورفعوا إليه الهدايا التي كانوا يحملونها وهي مؤلفة من عدة خيول ذات سروج مذهبة وغواشي مزركشة بالمخمل والديباج ولجم مرصعة بالأحجار الكريمة وسيوف وألبسة من فراجيات مذهبة مزركشة ذات زراير من اللعل البدخشاني يزن الواحد منها أكثر من مثقال، إلى غير ذلك من الأمتعة الرومية والأقمشة الإفرنجية، فنالت الاستحسان والقبول لدى الشاه الذي غمرهم بعطفه والتفاته. فبعد انتهاء أيام الضيافة أصحب الشاه ضيوفه الكرام جعفر بك كنكرلو استاجلو وأذن لهم بالانصراف. هذا ولما حضر الرسل إلى الشاه للاستئذان في العودة والوداع قال لهم الشاه طهماسب: «لقد قبضت على السلطان بايزيد وأبنائه برضا السلطان سليمان وأمره وإني لهذا أرجوا أن يشملني السلطان بالفتاته وإحسانه».

رامياً بقوله هذا إلى طلب إعادة بغداد «دار السلام» وإيالتها إلى ولده سلطان حيدر ميرزا.

وفي هذه السنة توفي الوزير الأعظم رستم باشا حتف أنفه فكان من جملة التركة العظيمة التي خلفها ثلاثة آلاف فرو من السمور وقس على ذلك عدد سائر أصناف النقود وأنواع الأمتعة والأقمشة والجواهر واللآلئ. وعهد بمنصب الوزارة العظمى إلى محمد باشا البوسنوي.

سنة ٩٦٩/١٥٦١-٦٢: غادر الشاه طهماسب مدينة قزوين إلى طارم بقصد الصيد فألقى عصا الترحال في نواحي خرزويل ملتقى نهري رودحانه[٤] سفيد وشاه رود، حيث أقام عدة أيام يتسلى بصيد الأسماك. ثم عاد إلى قزوين حيث توفيت أخته الكبرى مهين بانو الشهيرة بسلطانم. وكانت سيدة فاضلة من أشهر فاضلات النساء في عصرها، ذات بر وإحسان على الفقراء والدراويش وإعجاب بأهل العلم والفضل والأدب، وقد أكثرت من بناء دور الخير والإحسان من خانقاهات واربطة وقناطر وجسور وغيرها وكانت قد صرفت النظر عن الزواج في صباها وانقطعت مع أخيها لتدبير أمور الدولة وتدعيم أركان السلطنة فكان لها في هذا المضمار آثار خالدة طيبة. وقد شيع الشاه طهماسب جنازتها بنفسه حتى مقبرة فائض الأنوار إمام زاده حسين، ثم نقلت منها إلى مشهد الإمام الرضا عليه التحية والثناء.

وتوفي أيضا في هذه السنة جماعة من أعيان وقواد القزلباش الذين كان كل واحد منهم ماهرا واختصاصيا في فنه وفضله، منهم سوندوك قورچي باشي الذي كان قد تجاوز المائة من عمره، ويادكار محمد التركماني الترخاني والأمير فضل الله قاضي المعسكر، والقاضي عماد ناظر البيوتات، والميرزا كافي المنشي الأردوبادي. وفي أواخر هذه السنة استسفر ولي بك استاجلو بساول باشي إلى بلاد الروم «تركيا»، فعاد إلى قزوين مع خسرو باشا ميرميران وان وسنان بك چاشنگير باشي وعلي أقاجاويش باشي الذين وفدوا إلى قزوين لطلب السلطان بايزيد وأنجاله، فسعدوا بالمقابلة الشاهانية في حديقة سعادت آباد، ورفعوا الهدايا الثمينة التي كانوا يحملونها وهي أربعمائة ألف فلوري من الذهب «السكة الحمراء» من قبل السلطان الأعظم ومائة ألف فلوري من قبل الأمير سلطان سليم خان فكان المجموع من تلك النقود يساوي ثلاثين ألف تومان بعملة العراق، ومعها بعض نوادر وتحف الروم والإفرنج وأربعون جوادا عربيا مع سروج وغواش مذهبة ومرصعة ومزركشة. هذا غير ما قدم إلى أنجال وأمراء وأميرات الشاه ذكورا وإناثا من الخلع والجواهر المرصعة من قبل أنجال السلطان الكرام وقد عجز المقومون الماهرون عن تقدير قيمتها الحقيقية. غير أنهم قد تركوا النقود المذكورة، حسب الفرمان السلطاني، في أرضروم حتى يطلق سراح السلطان بايزيد مع أولاده فيتسلمهم رجال الدولة العثمانية وعند ذلك يسلمون، إلى رجال الشاه. وكان الوفد أيضا يحمل كتابا من السلطان الأعظم موشحا بالخط الشريف السلطاني وخط السلطان سليم خان مؤكدا بالإيمان التي تضمن العهود والمواثيق بأنه إذا سلم بايزيد مع أولاده إلى

رجالنا فلا يكون منا ومن أولادنا عداوة نحو الأسرة الملكية الصفوية ولا يلحق أذى لولاية من بلادها المحروسة، وأن تقوم قواعد الصلح والسلام دائما فيما بيننا وإنه إذا لم يصدر منكم ومن أولادكم ما يدل على التباغض والأعمال المنافية للصداقة والاتحاد فإنه لن يحصل منا ومن أولادنا أيضا ما يدل على ذلك.

فلما اطلع الشاه طهماسب على هذا الخطاب السلطاني وتفهم مضمونه البليغ بادر بتسليم السلطان بايزيد مع أنجاله إلى خسرو باشا ورفقائه. فما كان منهم إلا أن قتلوا بايزيد وأولاده خفية في ميدان الخيل بقزوين ومن غريب الصدف وقصاص الأيام أن قتل أولاد الشاه طهماسب فيما بعد على يدي الشاه إسماعيل، فورا، وفي نفس المكان الذي قتل فيه بايزيد وأولاده. هذا وقد وضعت جثث بايزيد وبنيه المقتولين في توابيت محمولة على العربات وذهبوا بها إلى «وان» تمهيدا لنقلها إلى استنبول ودفنهم بها. غير أن الأمر السلطاني ورد فجأة بالعدول عن ذلك والذهاب بهم إلى سيواس، ودفنهم بها فعملوا حسب إشارة السلطان ودفنوهم على الطريق. في الجانب الغربي من تلك المدينة.

سنة ٩٧٠/١٥٦٢-٦٣: في مطلعها قام جعفر بك كنكرلو استاجلو الذي كان قد سافر إلى الروم رسولا للإتيان بالنقود التي كانت قد تركت في أرضروم عوضا عن تسليم بايزيد من قبل خسرو باشا، فأحضرها إلى قزوين بالاتفاق مع إلياس بك وعرضها على الشاه ثم أرسلت إلى الخزينة.

وفي هذه السنة تملك الغرور عيسى خان بن لوند الكرجي. الذي كان قد وصل إلى المرتبة العليا وقمة المجد في المناصب والرتب حيث كان يقدم على أكثر أعيان وزعماء القزلباشية في المجالس والمحافل، ويخاطب من قبل الشاه طهماسب بكلمة ابني العزيز وكأنه أحد أمراء البيت السلطاني، وكان يتقاضى كل سنة سبعة آلاف تومان من إقليم شكى وسائر المحال عدا النقود والعقارات التي كان ينالها من الخاصة الشاهانية وحملته النفس الأمارة بالسوء على اتباع إغواء زعماء «آزناوران» الكرج وشق عصا الطاعة وأن يلوذ بالفرار من قزوين قاصدا كرجستان. ولكن بعض رجاله الأمناء ولا سيما أله طاق چركس قد أطلع الشاه على هذه النية. فصدر الأمر فورا باعتقال عيسى خان وحبسه في قلعة «ألموت».

وفي هذه السنة عزل الأمير تقي الدين محمد من منصب الصدارة وقسم هذا المنصب إلى شقين أسند الشق الأول، ويحتوي على مقاطعات العراق وفارس وكرمان، إلى الأمير شمس الدين محمد بن الأمير يوسف الاسترابادي؛

وأسند الشق الثاني، ويشمل خراسان وآذربيجان وشيروان، إلى الأمير زين الدين سيد علي بن أسد الله المرعشي القزويني الصدر السابق.

وفي هذه السنة أيضا توفي كل من الحكيم نور الدين بن مولانا كمال الدين حسين الكاشي، ومولانا قطب الدين محمد البغدادي المشهور بقاضي أوغلي.

سنة ٩٧١/١٥٦٣-٦٤: نصب الشاه طهماسب معصوم بك الصفوي أمير الديوان سردارا لعسكر العراق وأرسله إلى قتال سلطان مراد والي مازندران الذي بادر بتقديم الطاعة مبديا استعداده لسداد الأموال المطلوبة منه سابقا ولاحقاً.

وفيما أغار پير محمد خان جاني بك سلطان بن محمد أوغلان بن أبي الخير خان أوزبك، الذي كان قد وصل إلى حكم بلخ بعد وفاة عبد العزيز خان ولد عبيد خان، على خراسان بإغواء بعض المفسدين بها فجاء إلى مشهد الإمام الرضا بقصد تسخير طوس وحاصر المدينة عدة أيام، ثم ندم على ما فعل فأرسل الهدايا والخلع إلى السادات والخدم في ذلك المرقد الشريف المقدس مستميلا قلوبهم ومعتذرا، وقفل راجعا من حيث أتى مع إيفاد شخص من رجاله يدعى تولك بهادر يحمل هدايا وتحفا إلى بلاط الشاه بقزوين يعتذر عما بدر منه. فقابله رجال الشاه ونوابه بالحفاوة البالغة وشمله السلطان بالعطف وأوفد حسين بيك يساول باشي شاملو، بالرسول المذكور المدعو قالقانجي أوغلو حاملا تحفا وهدايا مناسبة عائدين إلى بلخ. وبعد أن توطدت العلاقات وتوثقت دعائم الصلح والسلام بين الطرفين عاد الرسول وأخذت قوافل حجاج ما وراء النهر تتدفق قاصدين زيارة بيت الله الحرام وجلهم أكابر وأعيان وعلماء في بلادهم.

وفي هذه السنة كانت وفاة زوجة شاه نعمة الله الثاني التي كانت شقيقة الشاه طهماسب. وحين قصد شاه نعمة الله هذا زيارة بيت الله الحرام مع جمع كثير من أعيان العراق العجمي عن طريق بغداد دار السلام منعه ميرمران بغداد خسرو باشا من مواصلة السفر عن ذلك الطريق فاكتفى بزيارة العتبات العاليات «النجف ومشهد علي» وعاد من حيث أتى فلما بلغ همذان انتقل إلى رحمة الله في صباح يوم الجمعة الحادي عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة.

سنة ٩٧٢/١٥٦٤-٦٥: أرسل الشاه طهماسب معصوم بك الصفوي أمير الديوان، بعد أن نصبه قائدا على عسكر العراق وكرمان، إلى جهة خراسان؛

وكان علي سلطان أوزبك قد تغلب على إقليم خبوشان ونصب عليها وزيره وهو شخص يدعى «ميرشهرياري» فاتفق أن هذا الوزير كان في ذلك الوقت موجودا في معية علي سلطان بأوركنج تاركا لحراسة القلعة والدفاع عنها شخصا يدعى «پهلوان قمري» من أعيان رجاله.

فأقدم هذا النائب على إيثار مصلحة الشاه على مصلحة سيده كسبا لصداقة الشاه وعطفه عليه، فقتل بعضا من رجال ميرشهرياري وأخرج بعضا آخرين من القلعة. ولما ترامت هذه الأخبار إلى مسامع علي سلطان زحف إلى خبوشان لتأديب پهلوان قمري، ولكنه لم يعمل شيئا وعاد خائبا وخاسرا من حيث أتى.

وأما الشاه طهماسب فإنه غمر پهلوان قمري بنعمه الكثيرة وشمله بعطفه فأقطعه إقليم كليدر. وتوجه معصوم بك مع القواد والأعيان لتسخير نسا وأبيورد اللتين كانتا تحت تصرف رجال وعمال علي سلطان وابن أخيه أبي المحمد خان ولد دين محمد خان وحاصر قلعة تلك الديار، ولما طالت أيام الحصار ووصلت النجدة بقيادة علي سلطان من أوركنج إلى المحصورين بقلعة أبيورد التي كان ابن أخيه معتصما بها على رأس المحصورين، اضطر القزلباش بقيادة معصوم بك إلى رفع الحصار والتوجه نحو المشهد المقدس. وفي خلال هذه الحوادث تأكد خبر عصيان وتمرد قزاق خان ولد محمد خان تكلو شرف الدين أوغلي والي هراة حيث كان قد كلف بالحضور إلى حملة أبيورد والاشتراك في حربها، ولكنه امتنع عن المجيء وسلك طريق المخالفة والعداء، مما جعل رجال الشاه يتخذون عدة تدابير حازمة منها ندب القاضي قطب الدين لإسداء النصح إليه واستمالته، ومنها إرسال أحكام وأوامر خفية إلى إخوة ذلك الثائر المغرور وبني عمومته، كل على حدة، يقال لهم فيها كل من يتصدى لقتل قزاق وإزالته من الوجود يوجه إليه منصب الإمارة لا محالة. ولما اطلع إخوته على وعود الشاه هذا ووعيده، بادر كل من مصطفى بيك وأحمد بيك ومسيب بك وشرف الدين بك ولد أويس سلطان وعدة رجال آخرين من أمثاله إلى الاتحاد قلبا وقالبا لإزالة ودفع قزاق خان، وأرادوا أن يتفق معهم في هذه المهمة عدة من أمراء التكلو، وإذا بسرهم يفتضح وأمرهم ينكشف فيصمم قزاق خان على القبض عليهم فورا وعين لذلك جماعة من رجاله ولكن المتآمرين علموا بجلية الأمر، فكسروا ليلا باب القلعة وهربوا إلى طرف الغور، وأدركهم في الطريق رجال قزاق خان، وقبض على مسيب بك وأحمد بك ولكن

مصطفى بك وشرف الدين بك مع بعض رفقائه نجوا وتمكنوا من الوصول إلى قلعة كوسويه لاجئين إلى حاكمها صوفي ولي خليفة روملو. فما كان من قزاق خان إلا أن أرسل إخوته الآخرين أمثال حسين قلي بك وحسين خان بك منتشالو، إلى قتال صوفي ولي خليفة، ومحاصرة قلعة كوسويه، حتى يسلم أخويه اللاجئين إليه. وأما صوفي ولي خليفة فقد كتب حقيقة الحال إلى كل من السردار معصوم بك والأمراء العظام سلطان إبراهيم ميرزا وبديع الزمان ميرزا أولاد بهرام ميرزا الذين كانوا جميعا مع الأمراء والقواد في المشهد المقدس. ولما علم معصوم بك والأمراء بجلية الأمر، وكانوا منتظرين حلول مثل هذا اليوم، خرجوا من مكمنهم وأغاروا جميعا من مشهد زاحفين، غير أنهم جعلوا ولي خليفة شاملو وخليل خان سياه منصور طليعة للجيش الزاحف وأرسلوهما على جناح السرعة وسافروا هم في عقبهما. ولقد فاجأت هذه الطليعة عسكر تكلو فشتت شمل جمعهم البالغ أربعة آلاف رجل كبنات النعش وصار معظمهم طعمة للسهام والسيوف ولاذ الباقون بالفرار متجهين نحو هراة. ولما علم قزاق خان بما حل بجيشه أذن لأخوته وأنجاله بأن يحمل كل واحد ما يستطيع أن يحمله من الأموال والأسباب والخيول وأن يتوجه الجهة التي يريدها.

وأما هو فقد كان عاجزا بسبب الفتق عن الركوب والتجوال، فلذا بادر مع الأمير سلطان محمد ميرزا إلى اللجوء إلى قلعة اختيار الدين.

وفي أثناء ذلك وصل معصوم بك مع الأمراء والقواد في عقب الهاربين إلى باب مدينة هراة فدخلوها من غير مانع ولا قتال، كما أن معصوم بك واصل السير بنفسه حتى بلغ قلعة اختيار الدين، فلم يجد هنالك أيضا من يدافع عنها فدخلها من غير قتال.

ولقد سمع راقم هذه الحروف من بعض الأصدقاء الأعزاء أنه عندما وقع نظر معصوم بك على قزاق خان الذي كان يجلس حينئذ على طراحة لم يتحرك قزاق خان من مكانه ولم يبد ما يفيد التعظيم للقادم عليه، فقال له معصوم بك على سبيل تطييب الخاطر إن جوادا معدا لركوب الخان «الرئيس» ليتوجه به إلى استقبال الأمراء وملاقاة القواد والأعيان. فأجاب قزاق خان فورا بقوله لو كان لقزاق خان مقدرة على الركوب والجري لما أقدمت أنت على التفوه بمثل هذه الكلمات. فالآن قم بما أمرت به من قبل الشاه نحوي وإياك أن تتوانى في تنفيذه. فما كان من معصوم بك إلا أن أدخله في تختروان ورحله إلى ركاب

الأمراء، ولبث هو ثلاثة أيام متوالية يسجل أموال قزاق خان وخزائنه، وكان قد جمعها بالظلم والجبروت في مدة طويلة مما أثار عليه غضب أمراء القزلباش وطوائفهم العديدة، فأطالوا فيه لسان الطعن والتقريع حتى ابن الشاه طهماسب أيضا تغير عليه واتهمه بالخيانة. وبعد أن لبث قزاق خان في السجن لدى معصوم بك بضعة أيام قضى نحبه. وفي رواية أخرى قضي عليه بطريقة خفية. والله يعلم الحقيقة.

هذا وأسندت ولاية هراة من قبل الشاه طهماسب إلى الأمير غيب سلطان استاجلو ولد هلهل بهادر.

وأمضى معصوم بك الصفوي والقواد الذين معه أيام الشتاء في هراة.

وفي ليلة الثاني عشر من شهر شعبان من هذه السنة رأى الشاه طهماسب في منامه حضرة الإمام محمد المهدي فبادر، تقديراً لهذه الرؤيا المباركة، إلى رفع ضريبة الدمغة التي بلغ إيرادها في السنة ما يوازي ثلاثين ألف تومان عراقي وشطبها من الدفاتر والسجلات الهمايونية في جميع البلاد الشاهية المحروسة، ووهب ثواب ذلك العمل المبرور إلى أرواح الأئمة الاثني عشر رضوان الله عليهم أجمعين.

سنة ٩٧٣/١٥٦٥-٦٦: أمضى السلطان سليمان خان خديو الزمان أوقاته السعيدة الشتاء والربيع في دار الملك القسطنطينية بالعز والجاه.

كما أن الشاه طهماسب أيضا أمضى الشتاء والصيف في قزوين مشتغلا بتنظيم أمور الدولة. وقد نظم معصوم بك شؤون خراسان وعاد إلى العراق.

سنة ٩٧٤/١٥٦٦-٦٧: غادر السلطان سليمان خان عاصمة ملكه الواسع قاصدا تسخير قلعة سكتوار وقتال كفارها الفجار بالرغم من كبر سنه واستيلاء مرض النقرس عليه وعجزه عن الركوب فجلس في المحفة وشرع في السفر والرحيل وعندما ألح عليه الأطباء الحذاق والحكماء المدقين والوزراء العظماء، بعدم تجشم مشاق السفر أجابهم بقوله إذا كان قد حان أجلي فعلى الأقل يكون ذلك في غزوة للكفار حتى يكون ذلك غدا باعثا لحشري في زمرة الشهداء. فلما بلغ السلطان غازي قلعة سكتوار ضربت العساكر المنصورة نطاق الحصار عليها أربعين يوما. وفي خلال ذلك وردت الأنباء بأن جيوشا كثيرة من الكفار

قادمة من قلعتي كله وأكرى نجدة لكفار سكتوار. فما كان من السلطان المنصور الشعار إلا أن ندب الوزير پرتو باشا بجيش قوامه أربعون ألفا من الإنكشارية والخيالة لمنع وصول تلك النجدة، فذهب وحاصر قلعة كله وفتحها عنوة في مدة وجيزة وهي قلعة غاية في الحصانة واضطر المحاصرون وهم يبلغون زهاء أربعة آلاف من الخيالة والمشاة من الكفار للخروج منها بأمان وتسليمها إلى عمال السلطان. غير أن طائفتي الإنكشارية والقپوخلقية لم تصغيا إلى قول ومواثيق الباشا إزاء هؤلاء الكفار فقامتا بالهجوم على الكفار وإبادتهم عن آخرهم واستحوذتا بذلك على أموالهم وأسبابهم غنيمة باردة. وبعد أن عين لمحافظة القلعة الحامية المعتادة والموظفون اللازمون عاد الباشا إلى المعسكر السلطاني سالما وغانما. هذا وكان ذلك السلطان المجاهد الغازي في أيام المحاصرة تلك لا يقوم من فراشه لشدة المرض عليه وتزايده يوما فيوما فانتابه يوما فواق عظيم، وكان آخر كلامه أن لا إله إلا الله عملا بالحديث الشريف «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». نطق بها مرارا ثم أسلم روحه إلى بارئها ملبيا دعوة «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية».

فلما وقع هذا الرزء الأليم عمد الوزراء وأركان الدولة في المعسكر السلطاني إلى كتم الخبر وإخفاء نعش السلطان بضعة أيام إلى أن أرسلوا على جناح السرعة من يخبر السلطان سليم خان ويحضره إلى المعسكر هناك وأجلسوه على العرش ونادوا به خلفا لوالده العظيم. فتقدم الأمراء والوزراء وسائر أهل الحل والعقد مهنئين. وقد وفق الجيش السلطاني للاستيلاء على قلعة سكتوار المحاصرة في الفترة التي تخللت بين وفاة المغفور له السلطان سليمان وبين حضور الأمير سليم وتوليه السلطنة. هذا وقد بلغ السلطان المغفور له من العمر أربعا وسبعين سنة وكانت أيام حكمه ثمانية وأربعين عاما. والحق أنه كان سلطانا ذا غيرة شديدة وشعور حساس فهو الموصوف بأنه مخرب ممالك أنكروس ومسخر جزيرة رودس وقالع قلعة بلغراد، وفاتح دار السلام بغداد وقاهر أبطال بغدان وقاطع دابر طغاة الإفرنج والألمان. ولم يكن له نظير في أي وقت حيث انطبق عليه قول الشاعر:

ليس لك نظير في زماننا، ومن قال يوجد فقل أرني.[١]

---

[١] چون تويي نيست در زمانهٔ ما   هركه كويد كه هست گوبنما

هذا وقد حدثت في زمنه السعيد أربع عشرة غزوة رجع من كلها ظافرا على الأعداء والمخالفين. وهاك تعدادها:

١-غزو أنكروس المنحوس.

٢- غزو الإفرنج وفتح رودس.

٣- غزو أنكروس.

٤- غزو ألمانيا والنمسا وفتح قلعة بدون.

٥- غزو ديار العجم.

٦- غزو بلاد الإفرنج؟

٧- غزو قرا بغدان.

٨- غزو أنكروس وفتحها.

٩- غزو بج.

١٠- غزو بلاد العجم بواسطة آلقاس.

١١- غزو العجم ونخجوان.

١٢- سفر السلطان بايزيد إلى اسكودار.

١٣- غزو انكروس وقبول الجزية من ملكها سيئ الفعال.

١٤- غزو سكتوار.

وكان رحمه الله يتجنب المنكر والملاهي عامة، ويقبل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقبالا شديدا لدرجة أن أهل الطرب والفن وعشاق الكاس والطاس حطموا آلاتهم وكسروا كؤوسهم وانزووا عن الأنظار متطأطئ الرؤوس حيارى. هذا وكان هذا السلطان العظيم العادل بين الرعايا والقاهر للأعداء يستمع إلى شكايات الضعفاء والمغلوبين في الطريق وفي ساحات الصيد والطراد إذا وقفوا في طريقه وأرادوا رفع الشكاوي إليه مباشرة. لذلك عم السلام البلاد وشملت العدالة العباد من غير فارق ولا تمييز. الأمر الذي جعل العمران ينتشر في البلاد فتنهض الحياة من جميع الوجوه ولا سيما بلدة القسطنطينية التي كانت من العمران والتقدم بحيث أحصى زكريا افندي بأمر سلطاني مظاهر تقدمها فكان بها من محلات المسلمين ٣٩٨٣ محلة، وللنصارى واليهود ٢٠٨٥ محلة. وبها ٤٨٥ محراب جامع شريف و ٤٤٨٣ محراب مسجد في المحلات و ١٦٥٠ كتابا و ٥١٥ مدرسة و ١٠٠ عمارة ووكالة و ١٥٠ خانقاها و ٢٨٥ زاوية و ٨٧٢ حماما بين شعبية وخاصة و ٤١٧ كروانسرايا، ٩٤٧ عينا و ٤٩٨٥ حنفية عامة لتوزيع المياه «مصلوق» و ٣٨٠ مخبزا و ٥٨٦ طاحونة و ٥٣٩ مثلجة و ١٢ قبانيا و ٨٤٣ كنيسة.

والواقع أن العدد الحقيقي قد يكون المثلين إذا دقق في الإحصاء.

فصل في ذكر المبرات والخيرات في
عهد السلطان سليمان خان

- جامع شريف وبجواره زاوية، ومستشفى ومدرسة في نفس مدينة استنبول.

- عين ماء عظيمة تقدر مياهها بما يكفي لإدارة عدة طواحين جيء إليها بالماء من مسافات بعيدة على قناطر وطيقان عالية صرفت عليه خزائن الدنيا حتى وصلت إلى المدينة.

- جامع آخر في استنبول بناه على ضريح والده السلطان سليم خان وبجواره زاوية ومدرسة.

- مدرسة لطيفة بناها في ينكي باغ.

- جامع لطيف ومدرسة منيفة وزاوية وكُتّاب للصبيان بناها على روح الأمير المرحوم السلطان محمد قرب أبنية الإنكشارية.

- وفي دار السلام بغداد عمر ضريح الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه.

- وبنى جامعاً وزاوية وحصّن أطرافها وعين المستحفظين والحراس.

- وكذا عمر ضريح فائض الأنوار الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره العظيم.

- وفي مدينة غلطه بجوار استنبول بنى مسجداً جامعاً رفيعاً على ضريح الأمير جهانگير.

- وفي بلدة قونيه بنى جامعاً رفيعاً على مرقد مولانا الرومي.

- وفي بلدة كفه حوّل الكنيسة العظيمة التي كانت قد انهدمت إلى جامع لطيف كما بنى بها حمامين.

- وفي بلدة أزنيق حوّل الكنيسة القديمة التي بها إلى جامع شريف.

- وفي القدس الشريف بنى قبة عالية على الصخرة المباركة مع جامع شريف وزاوية منيفة.

- وفي دمشق الشام بنى في محلة القصر الأبلق خاناً للمسافرين ومدرسة ومسجداً وزاوية.

- وفي استنبول في دلكلوطاش بنى باسم والدة الأمراء جامعاً لطيفاً ومدرسة فوقه وعمارة كثيرة النعم ومستشفى.

- وبنى في مكة المكرمة على روح خادمه الخاص زاوية كثيرة الخيرات والنعم.

- وفي المدينة المنورة شيد عمارة وافرة المنفعة وأوقف عليها أعياناً كثيرة. يصرف ريعها على الأطعمة التي توزع صبحاً ومساءً على الفقراء.

- في محمية أدرنه فجر للماء عيوناً. وبنى مسجداً جامعاً مع عمارة وزاوية وخاناً للمسافرين على جسر مصطفى باشا.

هذا وكان له ثمانية أولاد ذكور، وهم: السلطان سليم، السلطان مصطفى، السلطان محمد، السلطان بايزيد، السلطان جهانكير، السلطان مراد، السلطان محمود، السلطان عبد الله.

أما مصطفى وبايزيد فقد قتلا في عهد والدهما. وأما الأمراء محمد ومراد ومحمود وعبد الله فقد توفوا في حياة والدهم.

وكان له تسعة وزراء عظام هم: پير محمد باشا القراماني، إبراهيم باشا، أياز باشا، لطفي باشا، سليمان باشا، رستم باشا، أحمد باشا، علي باشا، محمد باشا البوسنوي.

وكان السلطان سليمان يقرض الشعر أحياناً فيجيده أيما إجادة كما أنه كان يتقن الكتابة.

وقد أتم ديوانه التركي وكان يتخلص بلقب محبي.

وبلغ عدد قضاة العسكر الذين شغلوا المناصب ثمانية في عهده الزاهر:

ملا عبد الواسع چلبي، ملا قدري أفندي، ملا معلول، سنان چلبي، بوستان چلبي، عبد الرحمن أفندي، ملا حامد أفندي، پرويز چلبي.

وفي هذه السنة أيضاً فوض الشاه طهماسب أمور حكومة هراة مرة أخرى إلى سلطان محمد ميرزا وأسند منصب الوصاية عليه إلى سلطان يكان استاجلو وعقد خطبة الأمير على بنت الأمير عبد الله المازندراني وأرسله إلى خراسان.

وفي هذه السنة أيضاً أعلن عبد الله خان بن اسكندر خان بن جاني بك سلطان ابن الخواجه محمدٌ خان بن أبي الخيرخان أوزبك استقلاله في بعض

بلاد ما وراء النهر، ثم اتفق مع بعض سلاطين الأوزبك وزحفوا جميعاً على خراسان للاستيلاء عليها. واتفق أن الأمير سلطان محمد وشاه قلي سلطان، الوصي عليه، اللذين كانا قد رحلا بأهلهما وبالجيش، قد التقيا بالزاحفين في جهتي «تربت وزاوه» فاضطرب أمرهما فبادرا بالاعتصام بقلعة تلك الجهة. فقام عبد الله خان بعد الاستيلاء على قلعة زاوه وإجراء مذبحة بها بالزحف على قلعة تربت، وحصارها وأخذ في إعداد الأسباب والأدوات اللازمة لتشديد الحصار والتعجيل بسقوط القلعة غير أن أيام الحصار طالت مدة عشرين يوماً، فدب الخلاف والشقاق بين سلاطين الأوزبك فتركوا الحصار مع العلم بأن الحال كان قد ضاق بالمحصورين، وعادوا إلى ما وراء النهر، وهكذا نجا الأمير والوصي عليه مع بضعة آلاف من الجيش من تلك الأزمة الماحقة وعادوا إلى هراة.

فصل في ذكر علماء ومشايخ الروم
الذين كانوا معاصرين للسلطان سليمان خان

- مولانا الأعظم قدوة الأماثل والشيم مولانا خير الدين أفندي الذي ولد في قصبة قسطموني. كان عالماً محققاً مدققاً تولى تعليم السلطان ولبث مدة عمره في خدمته.

- حاوي الكمالات الإنسانية مولانا كمال پاشا زاده الذي كان أعلم علماء عهده وأكمل فضلاء عصره. وقد أجمع علماء الروم على أن بلاد الروم لم تر مثله في الفضل والكمال. فله مؤلفات كثيرة وأشعار رقيقة جمة بالتركية والفارسية فصار مفتي الزمان وسمي «مفتي الثقلين».

- مولانا صوفي علي چلبي الذي تولى منصب مفتي الزمان فكان متشرعاً كبيراً وعالماً متديناً.

- سعدي چلبي من قضاة استنبول وصل إلى منصب الفتوى جليل القدر.

- مولانا محيي الدين چلبي زاده كان في بادئ أمره قاضي عسكر الأنضول والروملي ثم وصل إلى منصب مفتي الزمان.

- قدري چلبي الذي كان قدوة علماء عصره وخلاصة فضلاء زمانه.

- مولانا چوي زاده بن مولانا محمد، كان في بادئ أمره قاضي عسكر الأنضول ثم تولى آخر الأمر رؤية أحكام قواعد الفتاوى وإجراء أمور أكثر القضايا.

- ومن المشايخ جناب الشيخ عبد الكريم أفندي الذي كان مجذوباً محققاً في العلوم يعظ الناس أحياناً في مسجد كوجك آيا صوفيا ثم صار مفتياً.

- وهناك خاتمة العلماء المحققين وزعيم الفضلاء في عصره مولانا سعد الملة والدين أبو السعود الشهير بخواجه جلبي الذي كان من غير شك رئيس علماء الدهر وزعيم فضلاء العصر حاز قصب السبق عليهم جميعاً فهو صاحب التفسير الشهير الذي ألفه باسم السلطان.

هذا وقد يعجز القلم ويكل اللسان عن سرد مبرات وخيرات هذا السلطان الغازي في هذا الكتاب المتواضع.

سنة ٩٧٥/١٥٦٧-٦٨: اعتزم الشاه طهماسب قتال خان أحمد والي گيلان بيه پيش لأمور نقمها عليه كما ستذكر فيما يأتي من السطور منها أنه كان قد أسند إليه ولاية گيلان بيه بش بعد مقتل واليها سلطان مظفر كما ذكرنا سابقاً، فلما بلغ جمشيد خان من أحفاد سلطان مظفر هذا من البلوغ والرشد، وكان من أولاد أخت الشاه عرض بعض الأعيان عليه شموله بالعطف، فعقد خطبة ابنته على هذا الأمير احتراماً للقرابة التي بينهما ومنحه ولايته الموروثة التي كان تحت تصرف خان أحمد المذكور أكثر من ثلاثين سنة وجعل في صحبته يولقلي بك ذو القدر الذي كان سابقاً قبواغاسي في البلاط وعمدة أعيان القزلباش، وأرسله لضبط مملكة گيلان بيه پش. وقد بادر خان أحمد إلى تسليم الولاية المذكورة لعمال جمشيد خان ولم يتأخر في ذلك غير أنه تعلل وماطل مدة في تسليم مقاطعة كوچسفان مدعياً أنها من القديم من أجزاء ولايته گيلان بيه پيش وأصر على ذلك، مما حمل يولقلي بك على استعمال القوة والغضب، فضايق كاكوشاه منصور اللاهيجي الذي كان قائد لاهيجان ووالي كوچسفان فأفضى النزاع بينهما إلى القتال الذي قتل فيه يولقلي بك بأيدي الگيلگان «الگيلانين». هذا سبب من الأسباب وهناك سبب آخر وهو أن الشاه طهماسب كان قد اتخذ قزوين عاصمة لملكه أكثر من عشرين سنة ولم يكن هناك بين هذه المدينة وبين لاهيجان وديلمان مصيف ومشتى خان أحمد أكثر من ثلاث مراحل، ومع ذلك لم يخطر ببال خان أحمد أن يتقدم لزيارة الشاه في هذه المدة الطويلة ويلازم ركابه كما هي العادة، بل إنه امتنع عن

الحضور أثناء مجيء الأمير بايزيد وأنجاله إلى البلاط الشاهي، وكان قد أخبر بذلك وطلب إليه الحضور، فلم يحضر ولم يعتذر. إلى غير ذلك من الإهمال في أمور الدولة وعدم الاهتمام بطلبات أهلها.

فلهذه الأسباب والعلل أقدم الشاه طهماسب على اتخاذ التدابير نحو تأديب هذا الوالي فندب لذلك معصوم بك الصفوي ومعه جيوش قراباغ وآذربيجان وقراجه طاغ وطوالش وبيه پش وكسكر فساروا إليه عن طريق خرزويل وخلخال، كما ندب نظر بك استاجلوي لَلَه ومعه جيوش رستمدار والعراق وأمراء الباب الشاهي تحت قيادة الأمير مصطفى ميرزا ومعهم زهاء عشرين ألف من فرسانه ورجاله من عساكر الحدود فساروا عن طريق طالقان وكلارءه دشت، وكلف لَلَه قلي سلطان ايجك أوغلي استاجلو ومعه زهاء ثلاثة آلاف وخمسماية نفر من حرس طاش بالسفر عن طريق رودبار؛ كلف هؤلاء جميعاً بالتوجه إلى كيلان وبإلقاء القبض على واليها أحمد خان. فلما وصلت أنباء قيام هذه الجيوش ولا سيما جيش معصوم بك إلى مسامع أحمد خان بكيلان بادر في الحال إلى إعداد جيشه البالغ عدده زهاء ثلاثين ألفاً من الخيالة والمشاة فاجتمعوا تحت رايته في مقاطعة لاهيجان مستعدين للحرب.

وفي خلال هذه الفترة ساور القلق والخوف معصوم بك فعمد إلى المكر والدهاء أولاً فكتب خطاباً خاصاً لأحمد خان وأرسله إليه مع أحد خاصته يقول فيه: أنه لمجرد طلب الخير والنجاة يشير عليه بأن يفرق جنوده ويعرض طاعته على الشاه «الذي إذا بلغه بأنك جمعت جيشاً واستعددت للقتال فإن ذلك يثير غضبه على غضب ويقدم على الحضور بنفسه لمحاربتك. فمصلحتك تقضي بأن ترسل إلى الشاه تقول: إني من مماليك الشاه المخلصين وأنصاره المطيعين من القديم وإن ولاية كيلان ما هي إلا إحدى ولايات الشاه فيمكنه إعطاؤها لأي شخص من رجاله».

فما كان من خان أحمد الساذج إلا أن انخدع بهذه الأقوال المنمقة الصادرة من ذلك الذئب العجوز والثعلب الماكر، وبادر إلى تفريق جيشه وذلك أملاً وظناً منه في أن معصوم بك سيعرض حقيقة أحواله على الشاه ويعود من حيث أتى. فلذا لم يحتط لنفسه وبادر إلى الإقامة في لاهيجان مع عدد قليل من رجاله منتظراً الجواب من معصوم بك الذي أسرع إلى انتهاز الفرصة وزحف إليه من مكان يقال له كوكه وحركان. فلما وصلت مقدمة الجيش الزاحف كان خان أحمد مد المائدة وجلس حولها مع حاشيته المكونة من كل طوائف الأمة من

العلماء والفضلاء والرؤساء وغيرهم من الطبقات الدنيا ليتناولوا الطعام على البسط المفروشة المعدة للغذاء وقبل أن يمدوا أيديهم إلى الطعام على هذه الهيئة دهمهم العدو فلم يجد الگيلانيون المجال لإركاب أحمد خان جواده الخاص فأخذه زهاء عشرين من جنوده والمشاة وخرجوا به من لاهيجان وتوجهوا به نحو رانگو وأشكور. ودخل معصوم بك مع قواده لاهيجان حيث قدم كل من الأمير جهانگير ولد الخواجه علي بك الذي كان أمير أمراء خان أحمد. وشهسوار بك لشته نشايي الطاعة للسلطة الجديدة فشملتها بالرعاية وبحث الأمراء والأعيان عن أحمد خان أربعة شهور فلم يجدوه. وأصبح حال الجيش في خلال هذه المدة سيئاً من جراء عفونة هواء گيلان من جهة ولنفاد زاده وملابسه وضعف خيوله من أكل السمك الشال ولنزول الثلج على جبال گيلان واشتداد الشتاء، وعري الشجر من الأوراق والثمار، الأمر الذي حمل الجيش على طلب العودة، فقد صدر الأمر الشاهي إزاء هذه الأحوال السيئة بقيام جيوش القزلباش مرة أخرى إلى جهة أشكور والبحث عن خان أحمد. فقام جيش القزلباش من ناحية لاهيجان وجنود الله قلي سلطان إيجك أوغلي، وقورچيان طاش من جبال رودبار، فجاءوا وألقوا القبض على فريستهم خان أحمد في محل يدعى سياه گله رود من أعمال أشكور في كيوه كاوكو سفند مع بضعة من خدمه حيث كان مشتغلاً بالعزف على العود. وذهبوا به إلى معصوم بك الذي بادر بعد ذلك إلى نصب هيئة حكومية لكيلان تتألف من خمسة ذوات من الأمراء مع كل من الله قلي سلطان الوصي، والأمير سلطان محمود ميرزا النجل الخامس للشاه. وكان كاتب هذه السطور ضمن هؤلاء الخمسة.

ثم غادر معصوم بك گيلان ومعه خان أحمد والأمراء وقواد الجيش مع سائر الجيوش إلى قزوين حيث قابلوا الشاه فلبث خان أحمد في السجن بضعة شهور، ثم أرسل إلى قلعة القهقهة حيث اعتقل بها مدة سنة اختلط فيها مع الأمير إسماعيل ميرزا ونمت العلاقات بينهما مما أثار شبهة الشاه طهماسب، وحمله على إخراجه من هذه القلعة خوفاً من أن يؤدي اتفاقهما إلى الفتنة بها. وأرسله إلى قلعة اصطخر شيراز حيث ظل معتقلاً بها عشر سنوات. وسنذكر مآله في مناسبته في تاريخ السنين التالية.

سنة ٩٧٦/١٥٦٨-٦٩: عاد مقضي المرام شاه قلي سلطان استاجلو أمير الديوان وحاكم چقور سعد الذي كان سافر على رأس وفد إلى الروم لرفع التعزية بمناسبة وفاة السلطان سليمان خان والتهنئة بجلوس السلطان سليم خان الثاني على العرش.

وفي هذه السنة أيضاً كان استعفاء معصوم بك من منصب الوزارة التي كانت قد ضمت إلى منصب إمارة الديوان وتوجه مع جماعة من أعيان القزلباش أمثال الأمير محمد مير يوسف الصدر وخان ميرزا نجل مخدومه العظيم وبشارت بك رئيس الدفتر خانة إلى زيارة الحرمين الشريفين زادهما الله تعظيماً وتكريما. وأسند منصب الوزارة إلى الأمير السيد الشريف الثاني الذي توفي إلى رحمة الله في نفس السنة. أما معصوم بك الذي كان قد نجح في فتح خراسان وگيلان ولم ير من الشاه مكافأة على ذلك حسبما كان يؤمل، فحينما وصل إلى حلب والشام نمى إلى السلطان سليم خان بأن معصوم بك وصل إلى بلاد الشام بحجة قصد زيارة الحرمين إلا أن غرضه الحقيقي هو الاتصال بمتصوفة الروم، وجمعهم حوله وإحداث الفتنة واحتلال هذه البلاد. فصدر أمر من العتبات السلطانية إلى درويش باشا ميرميران الشام بالقضاء على معصوم بك ورفقائه، فبادر دوريش باشا بتعيين مائتي فارس مسلحين بالحراب، وألحقهم بقافلة الحجاج وهي في زي الأعراب، وأمرهم بأن ينتهزوا الفرصة في إحدى منازل الطريق ويقضوا كأنهم قطاع الطريق على معصوم بيك ورفاقه جميعاً. وهكذا نفذوا الأمر بين الحرمين حين كان معصوم بيك قد نزل من محفته ليصلي الصبح.

وفي هذه السنة اتفق أهالي گيلان ونصبوا شخصاً يدعى سلطان هاشم من أحفاد حكام كيلان سلطاناً على ولايتهم، وهاجموا الأمراء والرؤساء القزلباش الموجودين بها فقتلوا البعض وأخرجوا الآخرين. ثم علا شأنهم حتى تمكنوا من جمع نحو ثمانية عشر ألفا من الخيالة والمشاة، وهجموا بهم على حاكم تنكابن الذي بادر بدوره إلى قتالهم بمن كان معه من الملازمين البالغ عددهم خمسماية نفر وحرس الأكراد وبعض أمراء القزلباش الذين جاءوا نجدة له من قزوين، فحدثت الملحمة على نهر «مرز» ولحقت الهزيمة بجيش سلطان هاشم وقتل من الطرفين عدد كبير وبلغ عدد من قتل من الگيلانيين في تلك المعركة زهاء ألف وثمانماية حيث أقيمت تلال من الجثث في ميدان تنكابن ونصبت ثلاث منارات من جماجم رؤوس القتلى.

سنة ٩٧٧/١٥٦٩-٧٠: أعطى الشاه طهماسب ولاية گيلان إلى سلطان محمود ميرزا وجعل وصيه، الله قلي سلطان إيجك أوغلي، وقسم بقية ولاية كيلان بين الأمراء القزلباشية، ونظراً لصدور جرائم من أهالي گيلان فقد عمل الله قلي سلطان وباقي الأمراء القزلباش على إثارة خاطر الشاه عليهم مما

أتاح لهم فتح أبواب الظلم والتعدي على مصراعيهما، فثار الأهالي بقيادة كل من المدعو أميره دباج من أولاد قره محمد وأزدها سلطان الذي كان من طبقة عياري لشته نشايي، وقتلوا شهسوار بك سپهسالار لشته نشايي الذي كان حاكم هذه الجهة من قبل الشاه. وهكذا أعلنوا التمرد والعصيان، فاجتمع أهالي گيلان واتفقوا معهما وصاروا يداً واحدة في دفع طوائف القزلباش.

وفي هذه السنة وفد إلى بلاط الشاه طهماسب كيخسرو ولد غرغره الكرجي حاملاً هدايا عظيمة وتحفاً نادرة كثيرة فشمله السلطان بعطفه.

سنة ٩٧٨/ ١٥٧٠-٧١: نصب السلطان سليم خان الوزير الثالث قرا مصطفى باشا لَلَه سرداراً لجيش جرار وأرسله لفتح جزيرة قبرص. فتوجه مصطفى باشا بالجيش المنصور الزاخر إلى الجزيرة وحاصر أمنع قلاعها وهي لوكوشه «لفقوشه» فافتتحها عنوة بعد أن دامت أيام الحصار خمسة وأربعين يوماً؛ وأمضى الشتاء فيها إلى أن حان الربيع، فرحل بالسفن إلى قلعة منقوصه من أشهر قلاع الجزيرة وحاصرها وضاق الحال بالكفار المحصورين، فاضطروا لطلب الصلح والأمان على أنفسهم وأموالهم وتسليم القلعة على أن يخرجوا بالسفن عائدين إلى أوطانهم في ديار الإفرنج مع أولادهم وعيالهم، فرضى مصطفى باشا بذلك، غير أن رجال الإنكشارية والقپوخلقية لم يقبلوا هذا الصلح وهاجموا هؤلاء الإفرنج حتى أبادوهم عن آخرهم، وأسروا نساءهم وأولادهم من الذكور والإناث وغنموا أموالهم. وهكذا دخلت هذه الجزيرة وسائر قلاعها في عداد بلاد الدولة العثمانية القاهرة.

وفي هذه السنة أيضاً كان خروج أميره دباج في لشته نشايي، وجمعه أجلاف ورعاع كيلان حوله والهجوم بهم على لاهيجان واستولى على القلعة التي كانت بنيت بأمر من الشاه في تلك الجهة، ووضع فيها حامية مؤلفة من زهاء أربعماية من حملة البنادق وأبادت المدافعين عن آخرهم، ثم انثنى على سائر العمال والموظفين القزلباش الذين كانوا في سائر البلاد والنواحي، فقتل بعضهم وطرد الآخرين من گيلان، بعد الاستيلاء على الولاية كلها، إلى ديلمان لاجئين بها إلى حماية الأمير سلطان محمود والله قلي سلطان.

ولما شاعت هذه الأخبار في قزوين وعلم بها الشاه، أرسل الشاه حالاً جنود أعيان استاجلو وحرسهم مع سائر الأمراء الذين في معيته نجدة لنجله في ديلمان حتى اجتمع زهاء عشرة آلاف شخص من القزلباش في ديلمان، مع ذلك

لم يتجاسروا على الزحف إلى أميره دباج بلاهيجان. وأخيراً أقدم زهاء أربعمائة من حرس استاجلو وغربيلو وغيرهما من طوائف القزلباش من غير إذن من الشهزاده والأمراء على الزحف إلى گيلان لمجرد الطيش والتهور وأخذوا من جمشيد خان والي گيّلان بيه پش زهاء ستة آلاف من المشاة والخيالة، وتوجهوا جميعاً إلى لاهيجان بقصد محاربة أميره دباج فلما بلغوا ظاهر مدينة لاهيجان، استقبلهم أميره دباج محارباً فلحقت الهزيمة في بادئ الأمر بجيش القزلباش حيث قتل زهاء عشرين أميراً من أولاد أمراء استاجلو وأخيراً التف جيش گيلان بيه پش حول أميره دباج واتخذه هدفاً لسهامه وبنادقه حتى إذا ما جاءت رصاصة بندقية في ما بين كتفيه وخرجت من صدره، دب الفشل والهزيمة بين الگيلانيين، وحالف النصر القزلباش فهاجموا بالخيالة والمشاة مرة واحدة وشتتوا شمل عدوهم وأعادوا ولاية كيلان مرة أخرى إلى حكم الشاه.

سنة ٩٧٩/١٥٧١-٧٢: ندب الشاه طهماسب پيره محمد چاوشلو من أمراء استاجلو لإدارة حكومة گيلان؟ كما ندب الأمير غيب سلطان للديلم وجبال گيلان لقمع فتنة الأجلاف والغوغاء الذين كانوا قد شقوا عصا الطاعة. وتوفي الأمير غيب سلطان في الديلم، فأسندت إيالة گيلان إلى إمام قلي ميرزا وفوضت وصايته إلى پيره محمد.

وكان في هذه السنة ضياع قطعة من الذهب وأخرى من الفضة من ضمن الستمائة سبيكة التي كانت تزن كل واحدة منها ثلاثة آلاف مثقال شرعي وكانت مدفونة في قلعة القهقهة. وكان محافظ القلعة حبيب بك استاجلو. فاتُهم إسماعيل ميرزا «المعتقل بها» بالسرقة - وهذا نسبها إلى بنت حبيب بك. فأرسل الشاه طهماسب إلى القلعة وفداً من الأمراء لتولي التحقيق في هذه القضية، فأيّد، من أعضاء الوفد، حسين قلي خلفاي روملو وولي خليفة شاملو حاكم قم أقوال الميرزا، في حين أيّد پيره محمد وخليفة أنصار والي قراجه طاغ جانب حبيب بك وصدق قوله. وهكذا انشق الوفد على نفسه.

فلما حضر الفريقان ومثلا أمام الشاه جميعاً وجه كل فريق للآخر بذئ القول وكان أكثر تشاتمهم تعريضاً بالشاه نفسه. ومنذ ذلك اليوم بدا أثر النفاق بين طوائف القزلباش بقزوين فانقسموا فريقين انحاز أحدهما إلى الاستاجلوية والآخر إلى إسماعيل ميرزا وخلفائه.

سنة ٩٨٠/١٥٧٢-٧٣: في مطلعها أراد الملك سلطان محمد بن الملك جهانگير والي كجو من أعمال رستمدار، وكان ابن أخت خان أحمد الگيلاني، الاستيلاء على ولاية گيلان. وتفصيل هذا المجمل هو أنه قبل سقوط گيلان والقبض على خان أحمد، كان اسكندر بك أفشار قد ذهب إلى الملك جهانگيز لتحصيل أموال كجو منه، وكان الملك جهانگير قد ماطل في أداء الأموال المطلوبة، مما حمل اسكندر بك على أن يسخر منه ويقبض عليه ويحضره إلى بلاط الشاه حيث أرسل إلى قلعة ألموت واعتقل بها حتى آخر عمره. ففي هذه الأثناء كان سلطان محمد يحلم بحكومة گيلان، فظهرت منه أفعال غير ملائمة وأعمال منكرة حتى سماه الشاه طهماسب الملك المجنون، ثم كلف إمام قلي سلطان ولد بدر خان استاجلو بدفعه وتسخير قلعة كجو.

فصدع إمام قلي سلطان بالأمر الشاهي وزحف بخمسة آلاف فارس إليه وحاصر قلعة كجو. فبادر الملك محمد بإرسال خبر إلى إمام قلي سلطان يقول أنه إذا تكرم وحضر وحده إلى باب القلعة فإنه سيفضي إليه خاصة ببعض أسرار لا يمكنه أن يطلع أحداً عليها سواه فلذا يود مشافهته حول الطريقة التي يسلم بها نفسه إلى الشاه، وأن يقوم بتسليم بعض هدايا ثمينة يرفعها إلى الشاه من جملتها عدد من البزاة الذكور السريعة الذكية من ناحية لان بأرمينية لا يوجد مثلها في بلاط السلاطين. ثم قال إنه واثق من أن السلطان لا يرفض رجاءه هذا، ولما بلغ هذا الخبر مسامع إمام قلي سلطان أبدى رغبته في الاجتماع معه بالرغم من أن ملازميه والأعيان حذروه من ذلك لقد كان هذا الرجل متهوراً ومغرماً باقتناء الحيوانات المعدة للصيد وغلبته شهوته لاقتناء هذه الطيور ففقد إرادته وطاوع نفسه الأمارة ورفض نصيحة المشيرين وبادر من غير احتياط مع بضعة نفر بالذهاب إلى المحل المتفق عليه حيث كان الملك سلطان محمد أعد كميناً من عدة من رجاله الأبطال المسلحين تسليحاً جيداً. فما بلغ إمام قلي سلطان المحل المذكور إلا وباغتوه بالسيوف البتارة حتى قضوا عليه. ويقولون: وإذا دنا أجل الصيد قدم على الصياد.[١]

وبعد شيوع هذا الخبر تشتت شمل الجيش وغادر رجاله نواحي كجو عائدين إلى قزوين.

---

[١] صيدرا چون أجل آيد سوى صياد رود.

سنة ٩٨١/١٥٧٣-٧٤: اعتلت صحة الشاه طهماسب وظهرت عليه بوادر المرض فقام بملازمته في هذه الأثناء بقزوين نجله الثاني سلطان سليمان ميرزا المولود من زوجته بنت شمخال چركس، وكان طوال حياته قائماً بخدمة عتبات الإمام الرضاء عليه التحية والثناء. كما أن طوائف القزلباش صارت في أثناء مرض الشاه هذا فريقين اشتد الخلاف بينهما حتى قارب الأمر إلى التصادم بالسيف والسنان، بيد أن لطف الله أدرك الناس، فمنح الشاه الصحة والشفاء التام على بغتة، فانطفأ بذلك أوار الفتنة الناشبة. ولكن هذه الفتن والخلافات تركت أثراً سيئاً في نفس الشاه طهماسب، فأسر في نفسه حقداً على مثيري هذه الفتنة من أمراء القزلباش، ولا سيما حسين قلي خلفاي روملو وأمير أصلان بك أفشار وشمخال چركس من جانب، وحسين بك اليوزباشي الإستاجلو وپري بك قوجلو قورجي التركمان وزال الكرجي من جانب آخر. فكان الشاه يفكر في الانتقام منهم لأن المقام ما كان يسمح باللين والتساهل إذ كان عتوهم يزيد يوماً بعد يوم. يقول الشاعر لا ترفع مقام الذين معدنهم رديء، لأن عنايتك بالذئب وتنشئته لا يأتي منها إلا الضرر. ولا تكن ليناً مع مرءوسيك لأن الماس أيضاً يجب تهذيبه.

سنة ٩٨٢/١٥٧٤-٧٥: توفي السلطان الأعظم مانح التيجان للملوك، السلطان سليم خان وهو يبلغ من العمر ثلاثاً وخمسين سنة، وبلغت أيام دولته ثماني سنوات وأشهر. وكان له ستة من الأولاد الذكور منهم السلطان مراد الذي تولى السلطنة بعده بفضل مساعي الوزير الأعظم محمد باشا الذي بادر بإحضاره من مغنيسا إلى استنبول وإجلاسه على عرش القياصرة، حيث قضى على إخوانه الخمسة الباقين في يوم واحد حسب القانون العثماني وفتوى علماء مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بموجب القاعدة التي تجيز دفع الشر الكثير بالشر القليل. ودفن المذكورين بجانب مرقد أبيهم. ولما شاع خبر وفاة السلطان سليم خان في قزوين وعلم بذلك الشاه طهماسب، أرسل الشاه رسولاً من قبله إلى استنبول يحمل تحفاً وهدايا للقيام بواجب التعزية ورفع التهنئة بجلوس السلطان الفاتح العظيم.

سنة ٩٨٣/١٥٧٥-٧٦: أعطى الشاه طهماسب بعضاً من إقليم گيلان بيه پيش إلى أمراء تكلو. فأرسل بذلك تلك الطائفة التي جار عليها الزمان إلى تلك الديار الغنية؛ كما أنه أرسل مراد خان ولد تيمور خان استاجلو إلى رستمدار لتسخير إقليم كجو والانتقام للإمام قلي سلطان ولد بدر خان. وفي

هذه السنة أيضاً توفي كاركيا أحمد وصي ورائد جمشيد خان والي گيلان بيه پش.

سنة ١٥٧٦/٩٨٤-٧٧: في منتصف صفر منها لبى الشاه طهماسب نداء ربه «والله يدعو إلى دار السلام» حيث طار طائر روحه الشريفة إلى الرياض القدسية الجنات الخالدات فحرم العالم من ظلال عدله وبره.

وكان المصاب الأليم والرزء الفادح في ليلة الثلاثاء الموافق للسادس عشر من شهر صفر من هذه السنة، فقامت الفتن والاضطرابات التي كانت نائمة منذ أربعين سنة، على قدم وساق بين الطوائف القزلباشية فمال فريق منهم وعلى رأسهم حسين بك اليوزباشي الذي كان ركناً ركيناً لتلك الأسرة القزلباشية، ومعه أكثر أعيان الطوائف، بالاتفاق مع كل من عليخان الكرجي وزال الكرجي، الذي كان خال سلطان حيدر ميرزا، وإمام قلي ميرزا، وبموافقة سلطان إبراهيم ميرزا ولد بهرام ميرزا، إلى إطلاق يد سلطان ميرزا وتمكينه من السراي السلطانية في نفس الليلة التي توفي فيها الشاه حتى يتمكن من الاستيلاء على العرش بمجرد حدوث الوفاة. وما مضت برهة وجيزة من هزيع الليل إلا ومات السلطان المعظم المظفر، فبادر سلطان حيدر ميرزا إلى تسلم مقاليد الأمور العامة من الجلوس على العرش والتقلد بالسيف السلطاني الذهبي مستقلاً وبعيداً عن شئون الخواتين والنساء بالقصر العالي، الأمر الذي أتاح الفرصة إلى پري خان هانم صبية الشاه المرحوم لترسل معتمداً من قبلها إلى خالها شمخال الچركسي تطلعه على الحقيقة، فنهض شمخال حالاً مع كل من حسين قلي خلفاي روملو وأمير أصلان بك أفشار وجمع من طوايف تكلو والتركمان والأفشار والأكراد من الخيالة والمشاة مدججين بالسلاح وظهروا في نصف الليل أمام ميدان الخيل «ميدان اسب» واقتحموا حديقة الحرم بجميع أسلحتهم وأدوات حربهم. ولما علم حسين بك اليوزباشي وطوائف الاستاجلو والكرج بجلية الأمر بادروا مع سلطان إبراهيم ميرزا إلى الهجوم من جهة باب الديوان الشهير باسم «أله قپو» ولكن المستحفظين أقفلوا الباب وحالوا دون الدخول. وفي خلال هذه الحوادث عمد سلطان حيدر ميرزا تحت تأثير نصائح وتدابير بعض الناقصين من الرجال حوله، إلى التنكر في ثياب النساء قاصداً الخروج من القصر مع النساء ليتمكن من الوصول إلى أنصاره في خارج القصر حتى يأمن شر شمخال وفساد الجهال والأوباش ويخلص من أذاهم وضررهم محافظة على استقلاله بالسلطان. ولكنه ما كاد يخرج من باب

القصر حتى كشف أمره بعض الخدام الچراكسة لشمخال، فبادر هذا إلى تعقبه بنفسه وكشف الملأة عن جسمه فسحب سلطان حيدر ميرزا خنجره وهاجم خصمه فما كان من غلام چركسي إلا أن قتله بضربة واحدة من سيفه. وهكذا قضى على ذلك الغصن السلطاني والورده المفتحة في حديقة الأسرة الصفوية والبيت المرتضوي الطاهر إذ لم يكن له نظير بين رجال هذه الأسرة. وفي أثناء ذلك كان حسين بك اليوزباشي مع أتباعه ورفقائه قد تمكن من كسر باب «أله قپو» بالبخق والطبرزين ودخلوا قاعات الديوان وساحاته فتولى زال الكرجي مهاجمة قصر الشاه بمن معه من رجال، وقطع شمخال رأس سلطان حيدر وفصلها عن جسده ورماها إليهم فاشتد هياج المهاجمين وشرعت طائفة الكرج تحارب وتقاتل بشدة في حديقة الحرم السلطاني فقتل رئيسهم زال الكرجي بضربة بندقية فلحقت الهزيمة بتلك الطائفة المغرورة الضالة وتملك اليأس والفشل والذعر والخوف طائفة الاستاجلو وتابعيهم، فحملوا سلطان مصطفى مع أخيه إمام قلي ميرزا، وغادروا قزوين متجهين نحو قم تحت رياسة حسين بك اليوزباشي ومعه بضعة رجال.

وأما حسين قلي خلفاي وشمخال وأتباعهما وأنصارهما فقد اجتمعوا وتداولوا في أمر تولية السلطنة أحد الأمراء المولودين من الجواري الچركسيات فلم يتيسر لهم ذلك. ولما تبين لطوائف القزلباش من أنصارهما حقيقة أمرهما وأن لا كفاية لهما في ضبط الأمور انحازوا جميعاً إلى جانب إسماعيل ميرزا وأخذوا يتوجهون إليه في قلعة القهقهة، زرافات ووحداناً، مقدمين الطاعة والإخلاص، مما حمل كلاً من حسين قلي خلفاي وشمخال على التفكير، فرأيا بعيونهما مبلغ تعلق القزلباش بإسماعيل ميرزا فبادرا بإرسال حيدر سلطان التركمان من قبلهما إلى إسماعيل ميرزا مظهرين بذلك إخلاصهما له وطاعتهما وأن عملهما مع جماعة الاستاجلوية والاشتباك معهم في القتال الذي أفضى إلى مقتل سلطان حيدر ميرزا «لم يكن إلا في سبيل التماس الخير والمصلحة المتركزة في شخص سموكم حتى تقدموا إلى قزوين وتتسلموا مقاليد الأمور وقد قمنا بالمحافظة على الأمن وضبط الأموال العامة والخزائن السلطانية انتظاراً للقدوم المبارك الذي سيشمل عبيده المخلصين بالمراحم السنية والتعطفات السامية».

وهكذا اجتمع في مدة عشرة أيام زهاء ثلاثين ألف من الخيالة والمشاة في ظاهر قلعة القهقهة منتظرين إشارة من الأمير إسماعيل ميرزا الذي أبدى في

بادئ الأمر شيئاً كثيراً من الاحتياط والحذر خوفاً من أن يكون هناك مؤامرة من قبل القزلباش، ولا سيما طائفة استاجلو وخليفة حيث كان الخوف منهم قد استولى على قلبه، فكان أمر بسد باب القلعة وعدم فتحه في وجههم قط غير واثق بملتمسات الأعيان والأمراء الذين كانوا يطلبون الوصول إليه وأخيراً اطمأن وارتاح باله من جميع الوجوه فأصدر أحكاماً مطاعة وكتب استمالة إلى حسين قلي خلفاي ورفقائه وتلطف في الأمر وخاطبه بقوله يا أبتي، ثم خرج من القلعة بكل عظمة ودبدبة وتوجه أولاً إلى عتبات الشيخ صفي قدس سره الخفي، فتشرف بزيارة ضريحه المنير وقبور سائر أجداده العظام مستمداً من أرواحهم الطاهرة الهمة والعون. ثم عطف عنان عزيمته إلى دار السلطنة قزوين، فنزل أولاً بموكبه الحافل في منازل خلفائه حيث اختار أوقاتاً سعيدة ومناسبات لطيفة لهذا اليوم العظيم الذي تسنم فيه عرش آبائه وأجداده.

وأما حسين بك اليوزباشي وسلطان مصطفى ميرزا فقد ذعرا من خبر اتفاق طوائف القزلباش على تولية إسماعيل ميرزا ودخوله قزوين معلناً السلطنة وتولاهما الرعب والحيرة فبادر حسين بك إلى التنكر في ثياب درويش للفرار إلى جهة بغداد، ولكن بعض الناس تعرفوا عليه وأخذوه مقيداً إلى بلاط الشاه إسماعيل. وأما سلطان مصطفى الذي لجأ إلى طائفة بيات الذين كانوا من ملازميه في عهد والده العظيم فقد قبض عليه هؤلاء البيات وأتوا به أيضاً إلى بلاط الشاه إسماعيل. ولبث حسين بك في السجن بقزوين ثمانية شهور ثم قتل بأمر الشاه.

هذا ولما تم الأمر للشاه إسماعيل واستقرت الأمور تماماً وصار هو ملك إيران المستقل من جميع الوجوه عمد إلى حسين قلي خلفاي أولاً فسمل عينيه بمرود محمى بنار شديدة وحرمه من نور الدنيا.

وهكذا قضي على أكثر الذين كانوا سبباً في تمرد القزلباش وأحداث الشغب والفتن، فقتل البعض وعاقب الآخرين عقاباً شديداً، كما أنه كافأ البعض فأعلى مراتبهم وتغالى في ترقية البعض حتى أسند إليه مناصب عالية فجعله ممتازاً عن إخوانه من غير سبب ظاهر.

هذا وسيأتي ذكر سائر أحواله وأعماله فيما يأتي من السطور.



حقاً أن الشاه طهماسب كان ملكاً عادلاً كاملاً محباً لرعيته يساوي بينهم في الحقوق والواجبات، وكان جماعاً للمال بدرجة لم يسبق لها مثيل من أيام جنكيزخان في إيران وتوران، بل بين الملوك والسلاطين من يوم ظهور الإسلام لم يترك أحد منهم في بيت المال ما تركه هذا السلطان العظيم من الخزائن والجواهر والأمتعة والأقمشة والأواني الذهبية والفضية.

وقد وجدت، حينما كلفني الشاه إسماعيل بجرد تركة الشاه الراحل، في خزائن بيت المال وسائر أمواله في القصور، ما يأتي:

- ثلاثمائة وثمانين ألف تومان من النقود الذهبية والفضية مسكوكة ومتطلسة، وستمائة سبيكة من الذهب والفضة تزن كل واحدة زهاء ثلاثة آلاف مثقال، وثمانمائة طربوش من الذهب والفضة، ومائتي حمل حرير، وثلاثين ألف ثوب، وفراجيه مخيطة من الأقمشة النفيسة، وكان في خزانة الألبسة أسلحة وأدوات لثلاثين ألف فارس من الجبة والجوشن ودروع المحاربة والخيل، وثلاثة آلاف ناقة ومثلها من الأفراس العربية الأصيلة، ومائتي رأس من الخيول الخاصة المطهمة التي كانت موجودة بالفعل في الاصطبلات العامرة. وقس على هذا ما كان موجوداً في المطابخ والمخازن ومصلحة الركائب من النفائس.

وتبين أنه لم يستوف الأموال المطلوبة عن سبع سنوات في بعض المحلات وفي الأخرى عن تسع سنوات من مقاطعات آذربيجان وشيروان وأران، وقد بقيت هذه الأموال في ذمة أهاليها من الرعايا والذميين.



وهاك أسماء أولاد هذا الملك العظيم:

سلطان محمد ميرزا، وإسماعيل ميرزا وأمهما هي بنت عيسى بك التركماني، سلطان سليمان ميرزا، وسلطان أحمد ميرزا، وسلطان جنيد ميرزا، وهم من أخت شمخال والجواري الچركسيات. وأما سلطان حيدر ميرزا وسلطان مصطفى ميرزا وإمام قلي ميرزا وسلطان محمود ميرزا فأمهاتهم من الجواري الكرجيات.

ولقد تبين بوضوح من قبل أن سلطان حيدر ميرزا قُتل بعد وفاة أبيه. وخمسة آخرون من أولاده قد قتلوا بحسب فرمان الشاه إسماعيل في قزوين

مع سلطان إبراهيم ميرزا ولد بهرام ميرزا، الذي كان متحلياً بصفات ممتازة وملماً بعلوم غريبة وكمالات عجيبة وله يد طولى في جميع الفنون والعلوم، ومع سلطان حسن ميرزا ولد سلطان محمد ميرزا ومحمد حسين ميرزا ولد سلطان حسين ميرزا بن بهرام ميرزا وبديع الزمان ميرزا ولد بهرام ميرزا. كما أن سلطان جنيد ميرزا قد حرم من نور بصره بسمل عينيه.

وأما سلطان ميرزا الشهير بخدابنده وأكبر أولاد الشاه الراحل فقد تولى السلطنة باتفاق الأمراء والأعيان من القزلباش في إيران بعد وفاة الشاه إسماعيل. وسيأتي ذكر كل واحد فيما يأتي من السطور والحوادث السنوية. وقد نقل نعش ذلك الشاه العظيم بعد التجهيز والتكفين من دار السلطنة قزوين إلى المشهد المقدس حيث دفن بجوار المرقد المعطر والمنير للإمام الرضا عليه التحية والثناء.



سنة ٩٨٥/١٥٧٧-٧٨: وفي ليلة الخامس عشر من شهر رمضان في هذه السنة ارتحل الشاه إسماعيل من هذه الدنيا الفانية إلى دار الخلد والجناب الباقية. وتفصيل هذا الإجمال هو أن الشاه الراحل كان ملكاً لطيف الطبع حاد الذهن موصوفاً بالفضائل النفسانية والكمالات الإنسانية. كان في ساحة الوغى هزبراً ماضي السلاح والخنجر، وفي مجلس العشرة والبذل سحابا ينثر الدر ويمطره، فكان من فرط سخائه وكثرة بذله يستوي في نظره الذهب الإبريز والحجر العادي حتى لم يكن يكفيه مال الدنيا في البحار والمناجم لصلات وهبات يوم واحد لو ملكها كلها.

ولكنه مع كل هذه الصفات الطيبة كان سوداوي المزاج وحاد الطبع وبذئ اللسان، وكان يجازي بعقوبة شديدة لأتفه الأسباب وأخف الجرائم كما أنه يكافئ على أتفه الأشياء بإنعامات كبيرة هائلة.

هذا ويؤخذ من الحكايات السابقة والروايات المتناسقة أن الشاه إسماعيل في بادئ الأمر كان في رعاية والده العظيم حتى إذا أسند إليه منصب حكومة خراسان في سنة ٩٦٣/١٥٥٥-٥٦: قام بذلك خير قيام، ولكن أهل السعاية والوشاية أفسدوا بينه وبين والده بعد مدة وجيزة، فنقل إلى قلعة القهقهة معزولاً وحبس بها مدة عشرين سنة حتى إذا توفي والده واختاره الأمراء

وأولياء الأمور من أهل الحل والعقد سلطاناً على إيران خرج من القلعة المذكورة، وجاء إلى قزوين وتولى السلطنة، ولكنه أقدم على عمل كبير في نظر الإيرانيين المتعصبين قبل أن يستقر أمره ويستفحل شأنه أراد أن يلغي عادة سب الشيخين وعثمان ذي النورين وعائشة الصديقة وبقية العشرة المبشرة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على خلاف عادة آبائه وأجداده، مستهدفاً بذلك المساواة بين السنة والشيعة بحيث لا يتعرض أحد من الطائفتين لأفراد الطائفة الأخرى. ولكن القزلباش لما كانوا متعصبين في الرفض والتشيع، فقد نفروا من هذا العمل أشد النفور حتى كانوا قصدوا قتله كلما سنحت لهم الفرصة، وبيتوا ذلك مع أخته، پري خان هانم واتفقوا معها على القضاء عليه. فحدث ذات ليلة أن عاد ذلك السلطان العادل المسلم الخالص مع صديقه حسن بك حلواجي أوغلوا إلى بيت من بيوته الخاصة وأوى إلى فراشه مستسلماً إلى سلطان الكري فما أصبح الصباح حتى أخرج الشاه المنكوب ميتاً من البيت بينما كان صديقه حسن بك على وشك الموت. فبحث أولياء الأمور عن السبب الحقيقي لهذا فلم يجدوا أحداً يعرف الحقيقة. فبادر أمير خان التركماني وغيره من قواد وزعماء القزلباش الذين كانوا حينئذ في قزوين إلى تجهيز الشاه الراحل وتكفينه ودفنه.

هذا وبعد يومين من الحادث الجلل أرسلوا إلى سلطان محمد ميرزا في شيراز يدعونه لتولي الحكم، فحضر إلى قزوين بكل تأن وتأمل وحذر معتقداً أنه غير قادر على الاضطلاع بهذا الأمر، ولكن أولياء الأمور نصبوه شاهاً على إيران.

وفي هذه السنة أراد السلطان مراد خان خديو الزمان، فاتح الأمم والبلدان، أن يزحف إلى بلاد إيران ويجعل عاليها سافلها بتشتيت الأعجام وتدمير القزلباش اللئام نظراً لما كان صدر من الشاه إسماعيل من الإساءات لقواعد الصلح ولما فوجئ السلطان بخبر وفاة الشاه إسماعيل، فقد شدد هذا من عزيمة السلطان.

سنة ٩٨٦/١٥٧٨/٧٩: في مطلعها حدث تحالف بين الأمراء القزلباشية الآتي ذكرهم على أن ينفردوا بحكم جميع إيران ويستبدوا بها بتوزيع الولايات والمقاطعات على بعضهم البعض وهم عمدة أمراء القزلباش: أمير خان التركماني وشاهرخ خان ذو القدر ومسيب خان تكلو وپيره محمد استاجلو وقولي بك قورچي باشي الأفشار وقورقمز خان شاملو وحسين قلي، ثم أطلقوا

لقب الشاه على سلطان محمد الذي كان محروماً من نور البصر واضعين مهام منصب الوزارة في أيدي الميرزا سلمان جابري الأصفهاني الذي كان أيضاً أعمى. وهكذا أرادوا أن يحكموا العالم الإيراني والبلاد العجمية بسلطان أعمى ووزير أعمى. وقد بددوا جميع الأموال والخزائن التي كان الشاه طهماسب قد جمعها في اثنين وخمسين سنة، في مدة سنتين، وتسرب الفساد والاختلال إلى جميع نواحي الحياة في إيران.

وفي هذه السنة أبدى السلطان مراد خان رغبته الشديدة في تنفيذ ما صحت عزيمته عليه من الإغارة على إيران والقضاء على مخالفي مذهبه نهائياً، ولا سيما عندما بلغته الأنباء بما آل إليه الحال في السنتين الأخيرتين في بلاد إيران من انتشار الفتن وشيوع الفساد في جميع الأرجاء. فنصب وزيره الثاني مصطفى باشا سرداراً لجيوش جرارة يبلغ عددها مائة وخمسين ألفاً من الخيالة ووجهه إلى تلك البلاد مع صدور الأوامر القاضية بتوجه كل من الميرميرانات والأمراء المحليين بكردستان بالسبق إليها للقيام بالإغارة على بلاد آذربيجان. مما جعل خسرو باشا ميرميران «وان» بالاتفاق مع أمراء كردستان، يقوم بالإغارة على محمود بك روملو حاكم خوى، وقتله في المعركة والاستيلاء على ولايتي خوى وسلماس. ثم أرسل من هنالك حملة عسكرية على «أورمي» فألقت القبض على حاكمها حسين بك خنسلو وأحضرته إلى وان حيث صلب فيها. وفي هذه السنة أسندت إيالة تبريز من الديوان الشاهي إلى أمير خان التركماني. وحكومة چقور سعد إلى محمدي خان تقماق.

سنة ٩٨٧/١٥٧٩-٨٠: نهض السردار مصطفى باشا بجيوشه الجرارة إلى كرجستان وشيروان بقصد الاستيلاء عليهما، فقدم منوچهر ولد غرغره الكرجي حاكم آخصخه الطاعة، وأعلن اعتناقه وجمع كثير من زعماء الكرج لدين الإسلام، وهكذا ضمن حكومته الموروثة فابقيت في عهدته على طريق الإقطاع التمليكي هذا. وكان تقماق خان والي چقور سعد مع إمام قلي خان القاچار حاكم كنجه وبردع قد اشتبكا في القتال في موضع يقال له چلدر. حيث كانا يقطعان الطريق على الجيوش السلطانية المنصورة فلحقتهما الهزيمة المنكرة، فاضطر داوود خان ولد لوارسب الكرجي الذي كان حاكم قلعة تفليس من قبل الشاه، إلى إخلاء الإيالة والقلعة واللوذ بالفرار، وهكذا أمكن مصطفى باشا الاستيلاء عليها، وترك حامية كبيرة بهما ثم الاتجاه نحو شيروان. ولما ضرب خيام معسكره المنصور في نواحي زكم تقدم حاكمها لوند الكرجي إلى

السردار الظافر بالطاعة والولاء متقبلاً دفع ما فرض عليه من الجزية والأتاوة مما حمل السدة السلطانية على أن تبقي حكومته الموروثة أعني إيالة زكم في عهدته. ثم ارتحل الباشا من تلك الجهات وواصل السير حتى نزل فيما بين نهري قنع وقبري.

وفي هذه الأثناء كان القزلباش قد أعدوا العدة لمباغتة جيوش الإسلام حيث كان كل من أمير خان والي تبريز مع عساكر آذربيجان ونخجوان، وإمام قلي سلطان القاجار والي كنجه وبردع وقراباغ أران متوجهين بالاتفاق نحو الجيوش الزاحفة من عساكر الإسلام الذين كانوا في بادئ الأمر منتشرين في تلك الجهات لجمع الذخائر والمؤن من الأطراف، فبغتهم القزلباش وقتلوا منهم جمعاً كبيراً وغنموا منهم زهاء ألف جمل من الجمال السلطانية وبضع آلاف من الخيول والبغال. ولما وصلت أنباء هذا الصدام إلى مسامع الباشا السردار، ندب كلاً من بهرام باشا ميرميران أرضروم وعثمان باشا ميرميران ديار بكر، ومعهما جيش عرمرم من نخبة العساكر لدفع شر القزلباش، فالتحم الطرفان في نضال مرير قتل فيه جمع كثير من قواد وجنود القزلباش وغرق كثيرون منهم في نهر الكر. ولبث الجيش العثماني المنصور يوماً واحداً في تلك الجهة بسبب طغيان نهر قنع، ثم اجتازوه في اليوم التالي إلى جهة شيروان وشرعوا ينشئون قلعة من الطين والأشجار في «أرش» فأتموا بناءها. ثم أرسل السردار الظافر عثمان باشا الجركسي ولد أوزتمر بطريق الوزارة إلى شماخي، كما ترك قيطاس باشا بطريق البكلربكية في قلعة أرش وعاد هو عن طريق كرجستان إلى أرضروم.

هذا وبادر الشاه سلطان محمد في إيران إلى تخلية سبيل سماعون الكرجي الذي كان معتقلاً من عهد الشاه طهماسب في قلعة ألموت، وعهد إليه بحكومة إقليم تفليس مع توابعها وأرسله إلى كرجستان.

وما كاد يصل سماعون إلى حدود تفليس حتى التف حوله كفرة وزعماء تلك الجهة، وأخذوا يقطعون الطريق على جيش الإسلام، وبذلك ألحقوا خسارات جمة بالسردار مصطفى باشا. وبينما الأمر يجري على هذا المنوال إذا بثلاثين ألف فارس من القزلباش من قزوين بقيادة سلطان حمزة ميرزا ولد شاه سلطان محمد، والميرزا سلمان الوزير وسائر الأمراء العظام، يصلون إلى كنجه وقراباغ. واتفق أن عبر في هذه الأثناء «دربند شيروان» عادل كراي خان ولد خان التتار ومعه خمسة عشر ألف فارس فجاءوا كالسباع الهائجة نجدةً

لعثمان باشا ومصطفى باشا السردار ودخلوا شماخي، في الوقت الذي كان أرس خان روملو حاكم شيروان قد ضرب نطاق الحصار على عثمان باشا في داخل المدينة، وكاد الأمر يفضي إلى إخراجه منها عنوة فوصل عادل كراي فجأة وألقى القبض على أرس خان وأباد جنوده وأتباعه عن آخرهم. ثم استرسل جيش التتار في مطاردة القزلباش حتى اجتاز نهر الكر ودخل في مغان «موقان = موغان» حيث كان يعسكر جيش أرس خان وأولاده وعياله فنهبوهم وسلبوا أموالهم وأسروا الأولاد والعيال ورجعوا إلى شيروان. وفي الوقت الذي كان التتار منبثين في الأطراف ينهبون ويسلبون كان عادل كراي مع بضعة من رجاله المخصوصين وحيداً بعيداً عن جيشه فإذا بالميرزا سلمان الوزير ومعه زهاء عشرين ألف فارس من القزلباش ينقضون عليه في محل يقال له آق صو من أعمال شماخي، فدارت المعارك الحامية بين الطرفين وأسفرت عن أسر عادل كراي مع أولاد أمراء التتار المصاحبين له. ولما علم عثمان باشا بجلية الأمر تولاه الخوف والحيرة وبادر بالتمسك بأذيال الفرار من شماخي إلى جهة الدربند واعتصم بقلعة «دمورقپو» فزحف القزلباش من شماخي إلى «أرش» التي كان بها قيطاس باشا وعبد الرحمن بك الوسطاني، وكانا مكلفين بالمحافظة عليها، فقتلوهما وأحرقوا القلعة حتى جعلوها كوماً من الرماد وعادوا من هنالك إلى قراباغ فارغي البال، فما كان من بهاء الدين بك ولد أولمه، الذي كان محافظ قلعة قباله وأغداش، إلا أن أخلاها وسافر من زكم إلى تفليس، هذا واكتفت والدة سلطان حمزة ميرزا بهذا القدر من الفتوحات وملأها الغرور فأهملت شؤون شيروان بتصوراتها النسائية الناقصة، فتركت عثمان باشا في دمورقپو ولم تحاول إخراجه منها وأخذت عادل كراي خان وعادت إلى قزوين في هذا الشتاء.

سنة ٩٨٨/ ١٥٨٠-٨١: في ربيع هذه السنة نهض مصطفى باشا السردار العثماني من أرضروم وجاء إلى قلعة قارص وشرع في تجديد بنائها. ولما وصلت أنباء غزو القزلباش لولاية شيروان وفرار عثمان باشا إلى قلعة دمورقپو ووقوع عادل كراي أسيراً إلى مسامع السلطان مراد خان أصدر أمره بعزل مصطفى باشا من منصب السردارية وأسنده إلى سنان پاشا الوزير الثالث.

وفي هذه السنة أيضاً استشهد محمد پاشا البوسنوي الوزير الأعظم الذي لم يكن له نظير في الدولة العثمانية نتيجة ضرب مجهول له بسكين. وكان محمد باشا قد قام بمنصب الوزارة مدة خمسة عشر عاماً للسلطان

سليمان خان بكل إخلاص كما وزر طوال عهد السلطان سليم خان. وكان الشاه طهماسب يخاطبه بقوله يا أبتي.

وفي غرة ربيع الأول من هذه السنة اتفق كل من علي قلي خان بن سلطان حسين بك بن طورمش خان شاملو حاكم هراة، ومرشد قلي خان ولد يكان شاه قلي استاجلو حاكم خواف وباخرز، وشقا عصا الطاعة على الشاه سلطان محمد وتمردا عليه بحيث عمدا إلى إعلان سلطنة عباس ميرزا ولد الشاه سلطان محمد وهو صبي لا يزال في العاشرة من عمره، في أسعد الساعات وأيمن الأوقات، وأرادا إخضاع جميع أمراء وحكام بلاد خراسان إلى أوامرهما، وتوسلا إلى ذلك أولاً بتجريد حملة عسكرية على مرتضي قلي خان پرناك حاكم مشهد، فوقع الصدام بين الطرفين في موضع يقال له طرق يقع على مسافة فرسخين من المدينة ولحقت الهزيمة بجيش مرتضي قلي خان الذي اعتصم بقلعة مشهد مدافعاً، مما أفضى إلى عودة علي قلي خان إلى هراة من غير أن ينال شيئاً من القلعة بعد أن حاصرها أربعة شهور مقيماً بظاهرها.

وفي أواخر هذه السنة أقدمت والدة سلطان حمزة ميرزا على تجريد حملة عسكرية مؤلفة من بعض الجيوش القزلباشية بقيادة شاهرخ خان المهردار على الأمير مراد والي مازندران للانتقام منه لوالدها الأمير عبد الله فتمكنت هذه الحملة من القبض على الأمير مراد وإحضاره إلى قزوين حيث أمرت الخاتون بقتله انتقاماً لوالدها. وأسندت حكومة مازندران وإدارتها إلى أخيها الأمير عبد (؟) الامر الذي جعل القواد والأمراء القزلباش يوجسون خيفة من تحكم هذه الخاتون فاستقر رأيهم على أن يزيلوها عن طريقهم، فأعملوا الفكر في الأمر حتى سنح لهم هذا الخاطر وهو أن يتهموها بعشق «عادل كراي» خان التتار فيتسنى لهم قتل الاثنين. وتنفيذاً لهذا التدبير اقتحم جمع من سفاكي القزلباش بتحريض من كبار القوادً السراي السلطانية وأخرجوا تلك السيدة الصالحة الضعيفة التي كانت تعين زوجها الخامل من خدرها بالغصب والقوة وقتلوها وتركوها يوماً كاملاً في الميدان عارية بين الناس ولم يجرؤ أحد على التقدم لدفنها، كما أنهم بادروا بقتل عادل كراي ومعهماية من أولاد أمراء التتار وحاشيتهم.

سنة ٩٨٩/١٥٨١-٨٢: في مطلعها وصل سنان پاشا السردار إلى أرضروم: كما غادر الشاه سلطان محمد قزوين متوجهاً إلى مصيف أران قاصداً القيام بمهمة الدفاع وفي الوقت نفسه أرسل كلاً من شاه قلي سلطان ذو القدر ولد

تبت أغا ومقصود آغاي تمغاچي إلى أرضروم للتمهيد إلى عقد الصلح مع سنان باشا. فبعد وصول هذين الرسولين إلى السردار العثماني والمفاوضة تقرر الأمر على أن يعود السردار إلى إستنبول وأن يعود الشاه سلطان محمد أيضاً إلى قزوين، ويرسل من هناك رسولاً معتبراً إلى بلاط السلطان العثماني حاملاً التهنئة بالاحتفال بختان الأمير المحبوب حتى يتمكن السردرا بواسطة ذلك من إصلاح ذات البين بين السلطانين والتمهيد لعقد الصلح.

وعاد سنان باشا حسب هذا القرار إلى الآستانة العلية. وبادر الشاه سلطان محمد بتعيين إبراهيم خان التركماني رسولاً على رأس وفد يحمل هدايا وتحفاً عظيمة إلى استنبول؛ بيد أن السلطان مراد خان لم يرض بالصلح المنشود وعزل سنان باشا من منصب الوزارة العظمى وسردارية العساكر؛ واعتقل حسب العادة الجارية إبراهيم خان التركماني.

في شهر ربيع من هذه السنة شرع علي قلي خان شاملو مرة أخرى في التمرد والعصيان، فحشد جيوشاً كبيرة وزحف بها على درويش محمد سلطان روملو حاكم نيسابور، وبعد أن ألحق خراباً ودماراً كثيرين بتلك الولاية عاد إلى هراة من غير أن ينال منها شيئاً.

وفي أواخر هذه السنة أمر السلطان مراد خان بالاحتفال بختان السلطان محمد خان حسب القاعدة الجارية بين السلاطين العثمانيين، فبث في أنحاء المملكة رسلاً من قبله من جاويشية الباب العالي وقپوچيته لإحضار ما يلزم للاحتفال.

سنة ٩٩٠/١٥٨٢-٨٣: في مطلع هذه السنة، وبعد أن اجتمع الميرميرانات والأمراء والأعيان لتنظيم هذا الحفل وتزيين المدينة، أمر السلطان العظيم بأن يكون مكان الحفل في سراي إبراهيم باشا التي تقع غربي ميدان الخيل. وقد زين أرباب الحرف والصنائع الشوارع والسوق بالأقمشة النفيسة الإفرنجية وبالحرير الملون الذي يبز حرير الصين. واتخذ الوزراء العظام وكبار البكوات «بيكلر بكيان» أماكنهم هناك كما شرف هذا المكان الذي أصبح كالجنة سلطان العالم صاحب التاج وفخر آل عثمان حيث ظل قرابة شهرين يختار مجلسه مع زمرة من خواص بلاطه المبارك في غرفة حسنة الموقع رائعة الأثاث. وكان لكل واحد من الوزراء والأمراء والأعيان منزل له منظرة في أطراف الميدان، بني من الخشب، يشاهد منه ما عرض في الميدان من الغرائب والعجائب التي أبدعها

مهندسون وصناع بارعون يعجز اللسان عن وصفها ويقصر البنان عن التعبير عنها.

من ذلك خمس نخلات قام بصنعها مهرة عمال الزهور الصناعية أعدت كل منها للعرض في سنتين. وكانت الواحدة منها في حجم شجرة السرو أو الجنارة «الدلب»، وعليها أصناف الفواكه والزهور من الرياحين والسنبل، لم ير الفلك مثلها وله ألف عين، وقد جرى على الألسن وسطر في الدفاتر أنه صرف على كل نخلة ثلاثون ألف فلوري من الذهب: وكان هناك أكثر من خمسماية أو ستماية من النخل الصناعي الصغير حسب الرسم. وأنفق في السكر والحلوى ثلاثون ألف قطعة ذهبية وكان بالحفل تماثيل كل ما في الربع المسكون من حيوان: من دواب وطيور وأسماك. عدد من كل نوع، وهكذا وجدت تماثيل للكباش والخراف ومختلف الطير كما وجدت تماثيل السباع من أسود ونمور، مما يحار العقل في صنعه. وأنفق في هذين الشهرين ستون ألف قطعة ذهبية في إعداد الصواريخ والألعاب النارية، وكانت أنابيب الصواريخ تضيء السماء من أول الليل إلى منتصفه دائرة مع الكواكب وأنفق على هذا النحو في سائر الزينات الأخرى. وكذلك أبرزت كل طائفة من أرباب الحرف صورة تعبر عن حرفتها أروع التعبير.

وجلس جمع كبير يستمع إلى الألحان الشجية من أهل الموسيقى والغناء في الصباح والمساء مما أسعد الشباب والشيب وأطرب الصبايا والشيوخ.

وفي هذه الأيام السعيدة أعد طهاة البلاط الموائد الكثيرة كعدد نجوم السماء. ومن العجائب أنه قدم ككباب «شواء» في هذه الموائد خمسة عشر ألف أوزة كانت قد أحضرت سيراً على الأرجل، كأنها دواب، إلى استنبول من مسيرة اثنا عشر يوماً. وبلغ من وفرة الأطعمة اللذيذة وكثرة الأشربة السائغة أن زال الجوع عن ساحة البلد.

هذا وبعد أن فرغ السلطان من حفلة الختان وإرسال الأمير إلى إيالة مغنيسا التي هي مقر أكبر أمراء آل عثمان وموئل دولة تلك الأسرة الكثيرة الإحسان، التفت إلى تنظيم المملكة، فبادر بأرسال حملة عسكرية قوامها خمسة عشر ألف من المشاة والخيالة من الإنكشارية وبلوكات السلاح وبعض جنود الروملي بقيادة حيدر باشا الچركسي ميرميران سيواس، إلى كفه عن طريق بحر القلزم نجدة ومعونة لعثمان باشا في شيروان.

وكلف محمد باشا البوسنوي ميرميران ديار بكر بالقيام بمهمة إيصال الخزائن والمؤن إلى قلعة تفليس؛ الأمر الذي أعطى الفرصة للقزلباش ولا سيما تقماق خان استاجلو وإمام قلي سلطان قاجار بالاتفاق مع من تبعهم من حكام الكرج[1] لأن يقطعوا الطريق عليهم، ويشتبكوا معهم في قتال مرير حتى قتل منهم جمع كثير ونهب أربعون كيساً من الذهب وغيرها من الذخائر والمؤن التي كانت القلعة في حاجة إليها، إذ كان ما لدى أهلها ألفا جمل فما كان من القادة العثمانيين إلا أن نسبوا هذا الخذلان إلى تقصير مصطفى باشا ولد غرغره ميرميران چلدر الذي كان دليل الجيش العثماني، بل اتهموه بأنه اتفق مع القزلباش سراً وتحريضهم على هذا العمل، لذلك قرروا القبض عليه وإرساله مقيداً إلى الآستانة ليتلافوا ما صدر منهم من التقصير والتهاون.

ولما طلبوا حضوره كي يقبضوا عليه، فطن لكيدهم فتذرع بالشجاعة والإقدام وهجم بمن معه من زعماء الكرجية على محمد باشا السردار ومحمد باشا الشهير بالخادم ميرميران ديار بكر، فأثخن فيهما الجراح وقتل كتخداي محمد باشا ميرميران أرضروم مع عدة من أتباعه، وكان هذا الكتخداي قد تعلق بمنطقته قاصداً اعتقاله. وهكذا نجا مصطفى باشا وركب جواده وصار بعيداً عن المعركة.

وفي هذه السنة كذلك دفع علي قلي خان بقوة كبيرة عباس ميرزا من دار السلطنة هراة، قاصداً الاستيلاء على بعض بلاد خراسان. فلما بلغ حدود سبزوار حمل عليه من قزوين الشاه سلطان محمد بالاتفاق مع ولده الأرشد حمزة ميرزا، وقد وقف علي قلي خان على خطة السلطان ولا يفصله غير ثلاثة منازل فولى هارباً تاركاً مرشد قلي خان في قلعة تربت زاوه، أما هو فسار لا يلوي على شيء حتى بلغ بوابة هراة. وفي أواسط شوال من هذه السنة وصل الشاه سلطان محمد إلى ظاهر قلعة تربت وشرع في حصارها على الفور، ولما كان الوقت قد قارب الشتاء وكانت الشمس قد بلغت ثمان عشرة درجة من درجات القوس، فقد بادر الشاه إلى تعيين مكان لجيشه لتمضية الشتاء به ساعياً في الاستيلاء على القلعة. ولكن القزلباش لم يكونوا مرتاحين لأخذ القلعة وأسر مرشد قلي خان، فلم يترتب على ذلك الجهد شيء.

---

[1] يطلق عليهم لقب «سماعون».

سنة ٩٩١/١٥٨٣-٨٤: أواسط ربيع الأول من هذه السنة حين كانت الشمس في أول درجة النور نهض الشاه سلطان محمد بمشورة الوزير ميرزا سلمان من قلعة تربت متظاهراً بالعودة إلى العراق، وبعد أن قام بزيارة مشهد رضويه واصل السير حتى إذا قطع مرحلة من الطريق اتجه إلى جانب هراة زاحفاً نحو عباس ميرزا وعلى قلي خان اللذين كانا مقيمين حينذاك فيما بين رباط شاه ملك وقصبة كوسويه، فقطع في ليلة واحدة ثمانية عشرة فرسخاً، وبلغ صباح يوم الاثنين الموافق الثامن عشر من الشهر المذكور أبواب سريل حيث انقضت فرقة الحرس من الجيش الشاهي على طلائع العدو التي كان يقودها حاجي كوتوال. وبعد قتال شديد وقع حاجي كوتوال مع أتباعه في الأسر وهرب الباقون مدحورين يطلعون على قلي خان في معسكره على جلية الأمر، فلما علم حار في أمره ولم يقدر على الحرب فلاذ بالفرار ولكن جيش الشاه سلطان محمد طارده وجيشه من الطائفة الشاملوية وقتل منهم أكثر من ثلاثة آلاف وأسر جمعاً آخرين. ولم ينج على قلي خان من هذه المعركة العنيفة إلا بعون من عباس ميرزا، وكان على وشك الموت، وقد تمكنا من دخول القلعة والاعتصام بها. ولكن في صباح اليوم التالي حينما طلعت الشمس هازمة نجوم الليل وصل جيش العراق الزاحف إلى ظاهر بلدة هراة ونزل في بساتين أطراف البلدة ووصل في عقبهم الشاه سلطان محمد بموكبه الشاهي واتخذ مدرسة سلطان حسين ميرزا مقراً له وأمر، حسب النظام السابق، في حصار قلعة تربت، بضرب نطاق الحصار على هذه البلدة أيضاً. ولكن القزلباش أعادوا الدور الذي لعبوه في حصار قلعة تربت فلم يلتفتوا إلى تنفيذ الأمر، بل انغمسوا في اللهو واللعب لأن جو هذه البلدة يقضي بذلك. ولما رأى الوزير ميرزا سلمان هذه الحالة من القزلباش تتكرر مراراً أسر في نفسه أن يقبض على عدد من أعيان القزلباش ويقتلهم حتى يكونوا عبرة للغير وبذلك ينفذ الأمر الشاهي. بيد أن القزلباش علموا بجلية الأمر وبما يدبر ضدهم من المكايد فاستقر رأيهم على التعجيل بقتل الوزير واتحدوا تماماً في هذا السبيل. وحدث ذات يوم أن كان الميرزا سلمان الوزير ذاهباً إلى حمام كازركاه، عن طريق خيابان، أخبره أحد أصدقائه المخلصين بأن يوسف بك أفشار ولد قلي بك قورچي باشي كامن لك حتى يقطع الطريق عليك بقصد قتلك، فاضطر الوزير أن يغير طريقه وأن يلقي بنفسه بسرعة إلى قصر الشاه، ولكن القواد والزعماء القزلباش تعقبوه وطاردوه وهم مدجحون بالأسلحة مشاة وخيالة حتى حاصروا القصر وأرسلوا إلى الشاه يطالبون بتسليم الوزير إليهم. وحاول الشاه

سلطان محمد ونجله حمزة ميرزا الذي كان قد خطب ابنة الوزير لنفسه إنقاذه فلم يجد ذلك كله نفعاً بل إن قلي بك القورچي الذي كان مثير هذه الفتنة تقدم إلى الشاه ونجله، وقال لهما إذا بالغتما في عدم تسليم غريمنا أكثر من هذا فإن ضرراً كبيراً سيلحق بأركان دولتكما فالمصلحة تقتضي بأن تسلموه إليّ حتى اعتقله وتنتهي الفتنة المشتعلة. وإزاء هذا لم يجد مفراً من إخراج الميرزا سلمان من القصر وتسليمه إليه. وبعد مرور يومين على ذلك هاجت جموع القزلباش مرة أخرى وهاجمت الوزير المعتقل وقتلوه.

ولهذا الوزير الفاضل أشعار كثيرة شائعة على الألسن تدل على أنه كان في جميع النواحي الأدبية حائزاً قصب السبق، وأنه كان على جانب عظيم من الفضل والكمال وهذا الدو بيت له:

«جاءتني مرة أخرى بشرى رؤية الحبيب فخفق القلب بأن الحبيب قادم يا سلمان إذا أصابك منه بلوى فلا تتألم وتصرخ فإذا كنت عاشقاً فسوف ينتابك كثير من الأذى والبلايا».

فخلاصة القول إن الشاه سلطان محمد وحمزة ميرزا أقاما بعد مقتل الوزير في هراة أربعين يوماً حيث حولا حدائق وعمارات تلك الجهة إلى خرائب ينعق بها البوم والغربان. ثم عمدا إلى عقد صلح ظاهري مع علي قلي خان وعباس ميرزا في الليلة الخامسة عشرة من شهر شعبان السنة المذكورة وقاما من هنالك متوجهين إلى جانب العراق ضاربين على طبل الهزيمة بدل العزيمة والانتصار. ولما وصلا نواحي سبزوار سمع الشاه سلطان محمد أن حسين بك ولد سوندك قورچي باش الأفشار الذي كان قائماً بالحكم في تلك القلعة، قد شق عصا الطاعة على الدولة وتحصن بها، فندب حمزة ميرزا للاستيلاء عليها فبادر الميرزا إلى ضرب نطاق الحصار عليها. وتمكن القزلباش من فتحها بعد يوم واحد وقتلوا حسين بك مع حاشيته وفوضت الإيالة «مشهد» إلى سلمان ميرزا حفيد عبد الله خان استاجلو وهو ابن بنت الشاه طهماسب. وجعل شاه قلي بك قارنجه أوغلي وصياً عليه. وزحف عليهما بعد رحيل الشاه سلطان محمد مرشد قلي خان حيث لم يصمدا له وأخليا مشهد ولاذا بالفرار. ودخل مرشد قلي خان مشهد بلا منازعة ولا قتال.



وفي هذه السنة أسند السلطان مرادخان منصب الوزارة العظمى إلى سياوش پاشا وعين فرهاد باشا الوزير سرداراً للجيش المتوجه إلى ديار العجم. فتوجه هذا السردار بجيوش جرارة من استنبول إلى الديار العجمية فطرد تقماق «من القواد الإيرانيين» من جخر سعد وبنى قلعة في «إيروان» وجعل كلمتي «أثر فرهاد» تاريخاً لها. وجعل كلاً من سنان باشا جغال أوغلي بطريق الوزارة وخضر باشا بمنصب الميرميران في محافظة إيروان وحراستها، وعاد هو إلى أرضروم لإمضاء الشتاء بها، وكلف حسن باشا ميرميران الشام بالاتفاق مع حكام وأمراء كردستان والروملي بالقيام بمهمة توصيل الذخائر والمؤن إلى قلعة تفليس. وقد سافر راقم هذه الحروف «البدليسي» مع هذه الحملة، فما كان من كفار الكرج المتفقين مع بعض القواد القزلباش إلا أن قطعوا الطريق على جيش الإسلام في دربند طومانس ونشب القتال بين الطرفين، ولحقت الهزيمة في بادئ الأمر بجيش الإسلام البالغ عدده أكثر من خمسة عشر ألف فارس بالرغم من أن الكفار لم يزد عددهم عن خمسمائة نفر، ولكن ثبات حسن باشا ومعه بضعة من رجاله أنقذ العسكر الإسلامي من تلك المعركة الدامية وسار بهم إلى شاطئ السلامة.

وفي اليوم التالي لهذه المعركة كان العدو المؤلف من طوائف القزلباش، كالقزق والاسپرلو، قاطعين الطريق وكامنين في أحراش نهر سمخود، منتظرين الفرصة للوثبة على الجيش الإسلامي الذي سحبه حسن باشا بكل مهارة مكلفاً كاتب هذه السطور مع بعض القواد من الروملي بالزحف إليهم وقتالهم. فذهبنا إليهم ودارت معارك حامية فيما بيننا ولحقت الهزيمة بهم ووقع على قلي بك الاسپرلو الذي كان قائد العدو أسيراً في أيدينا.

سنة ٩٩٢/١٥٨٤-٨٥: في الربيع من هذه السنة اختار فرهاد باشا السردار غزو كرجستان فجدد بناء قلعة لوري، ثم غادرها إلى دربند طومانس فبنى قلعة أخرى من الحجر والطين أتم بناءها في أربعين يوماً وترك لمحافظتها حسن باشا ميرميران أرضروم؛ كما عين علي بك البوسنوي ميرلواء الموره بمنصب البكلريكي لقلعة لوري، ثم عطف عنان عزيمته إلى جانب آخصخه، وأراد أن يبني هنالك أيضاً قلعة، ولكن خلاف الجيش معه في هذا الصدد حال دون ذلك فاضطر السردار إلى أن يرجع القهقري، مما جرأ الكفار الكرج من أتباع منوچهر على أن يقطعوا طريق الرجعة على جيش الإسلام، وأن يلحقوا خسارة جسيمة به في الأرواح والأموال والأرزاق، فمن ذلك أنهم تمكنوا

من الوصول إلى عربة فرهاد باشا الخاصة فنهبوها وأخذوا الجارية المحبوبة التي كانت تحمل الآلات المرصعة من سيف وجعبة أسهم ودرع، والفراء من سمور ووشق إلى خارج العربة وسلبوها كل ذلك.

وفي هذه السنة جاء محمد كراي خان التتر بجيش جرار أكثر من عدد قطرات الأمطار إلى شيروان وصرع حاكمها محمدخان ذو القدر أوغلي ومن معه من أنصاره ثم عبر نهر الكر بالاتفاق مع عثمان باشا إلى ولايتي قراباغ وبردع وأطلق يد النهب والسلب فيها، وفي ملحقاتها حتى استحوذ على أكثر من مائة ألف من شباب المسلمين والمسلمات أسرى، وذهب بهم إلى جهة «كفه». ولقد جاء الشاه سلطان محمد عقب ذلك إلى قرا أغاج حيث نصب أمير خان موصلو حاكم تبريز سرداراً لجيش القزلباش وأرسله إلى شيروانً، فلما اجتمع أمراء القزلباش على قلعة باكو وضربوا نطاق الحصار عليها دب الخلاف بينهم، ولا سيما حسيب خان تكلو وشاهرخ خان ذو القدر وپيره محمد استاجلو الذين كانوا يميلون إلى الاستقلال والانفراد فلا يخضع أحدهم للآخر. فتسبب ذلك في وقوع الفوضى في الجيش ونشأ قحط كبير في أرزاقه حتى اضطروا إلى العودة من غير أن ينالوا شيئاً. وبعد ذلك فوض أمر إيالة شيروان إلى إمام قلي سلطان القجار الذي بادر بجيش قراباغ إلى مناضلة عثمان باشا في سهل علي چوبان حيث لحقت هزيمة منكرة بجيش القزلباش، وكان من نصيب الجيش العثماني غنائم لا تحصى من خيل وجمال وخيام وآلات مرصعة وأواني فضية وأقمشة حريرية ومقصبة، وفي هذه الأثناء جاء نبأ من الآستانة العلية يفيد طلب السلطان مراد خان حضور عثمان باشا إلى ركابه لإسناد منصب الصدارة العظمى إليه وتعيينه سرداراً لديار العجم. فبادر عثمان باشا إلى تعيين حيدر باشا لمحافظة شيروان مع رتبة الوزير وعمد هو إلى طريق دمورقبو فاجتازه بمعاونة طائفة الچركس إلى كفه. ونظراً للعداء الذي كان قد استحكم بينه وبين محمد كراي خان التتاري من جراء نهب إيالة شيروان حين قدومه إليها، فقد عمد عثمان باشا هذه المرة إلى أخيه وأطمعه في منصب خان، وهكذا اتفق معه وزحف على محمد كراي خان الذي لاذ بالفرار ولم يصمد لها، ولكن أخاه شيروان (؟) كراي طارده بعسكر الروم والتتار حتى أدركه وقتله، وهكذا تمكن من سلطنة شعب التتار بفضل مساعدة عثمان باشا. الأمر الذي رفع قدر عثمان باشا لدى السلطان مراد خان فبمجرد وصوله إلى الآستانة العلية وقابل السلطان تجلت العواطف السلطانية نحوه فشملته بالأنعام عليه بمنصب الوزارة العظمى ومنصب القائد الأعلى

للجيش العثماني المنصور. وتقرر أن يمضي الشتاء في قسطموني حتى إذ شم خبر اندلاع الثورة في كفه وبلاد التتار بادر باجتياز البحر حالاً وإجراء ما يلزم. وإلا فهو سيواصل سيره إلى أن يحقق مهمته وهي الاستيلاء على ولاية آذربيجان.

وفي هذه السنة عاد الشاه سلطان محمد ومعه حمزة ميرزا من قرا آغاج إلى تبريز، واعتقل أمير خان حاكمها وأرسله إلى قلعة القهقهة، وبعد بضعة أيام حكم بقتله، وفوض أمر إيالة تبريز إلى علي قلي خان فيج أوغلي استاجلو. ثم أمضى أيام الشتاء هنالك.

سنة ١٥٨٦/٩٩٣: في مطلعها اطمأن خاطر عثمان باشا من ناحية كفه والتتار فعزم على تسخير تبريز وسائر بلاد آذربيجان. ولما سار الأسد الهصور والفيل السريع «يقصد عثمان باشا» من مشتى «قشلاق» قسطموني، لم يكد الشاه سلطان محمد ومعه ولده حمزة ميرزا، الذي كان يشاركه في أعباء السلطنة حينذاك، يسمع بهذا السير حتى غادر تبريز مع أهله متجهاً ناحية نهر «أوزم تيل» وتوجه عثمان باشا بعظمة تامة ناحية تبريز، وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من هذه السنة نزل في جلال على ساحل نهر آجي الذي يقع على مسافة نصف فرسخ من تبريز. وفي اليوم التالي اتخذ خيامه في «أخي خوني». وفي هذه اللحظة انتاب الذعر أخا علي قلي خان، الذي كان مع بعض القزلباشية يحصن شوارع المدينة محافظةً عليها، فتركها مع غروب الشمس ومعه الأعيان، متفرقين كالزئبق في شتى الأرجاء.

ولكن بعض الأجلاف من الناس من عادتهم الاغترار بالشجاعة والتهور أرسلوا أولادهم وعيالهم إلى الحمامات وفتحوا دكاكينهم عاكفين على معاملاتهم في البيع والشراء، وفي هذه الأثناء دخل الجيش العثماني المنصور البلدة وأحياءها المتعددة ونهبت محلة سرخاب وهي نصف البلدة في تلك الليلة؛ فبادر علي الصباح قاضي كامران ومولانا محمد علي شيخ الإسلام وسائر الأعيان إلى التشرف بمقابلة الوزير الأعظم طالبين الأمان؛ فما كان من مراحم الوزير وشفقته إلا أن عين عدة محافظين من طوائف الإنكشارية في أحياء مختلفة من المدينة لضبط الأمن ومنع التعدي على الرعايا والأهالي من قبل أفراد الجيش والعسكر. ثم رحل الوزير من ذلك المحل ونزل في منزل چرانداب وعقد صباح يوم عيد الفطر مع قواد جيشه وزعمائه مجلساً حربياً تشاوروا فيه أمور الضبط والربط في داخل تبريز، فاستقر رأيهم جميعاً على اتخاذ المحل المسمى دار الإمارة والشهير باسم هشت بهشت قلعة، وتجديد

السور المتين الذي حولها بإنشاء الحصون والبروج عليه. فبادروا حالاً إلى مسح الأراضي المحيطة بتلك الجهات وتقسيمها على الجنود وطوائف الإنكشارية وعكفوا على هذا العمل ستين يوماً فأنشأوا خلال ذلك قلعة في غاية من الحصانة والمناعة. وقد عهد بالمحافظة عليها أول الأمر إلى سنان باشا جيغال أوغلي، وأخيراً سلّم أمرها إلى خادم جعفر باشا ميرميران طرابلس الشام مع حامية يبلغ عددها سبعة آلاف من المشاة والخيالة وذخيرة تكفي لسنة واحدة. ثم عاد الوزير من حيث أتى لأسباب أولها قلة علف الدواب فكان يخص الحصان كل يوم، لمدة شهر، حفنة من لحف الأشجار وقليل من جذور الحشيش الناشف التي كانوا يستخرجونها بكل صعوبة من بطن الأرض كل يوم. ثانياً مرض عثمان باشا بعد إقامته في تبريز شهراً واحداً واشتداده عليه يوماً فيوماً، ثالثاً تجاسر أهالي تبريز حسب طبيعتهم على قتل عدة من الشرطة الإنكشارية الذين كانوا قد تعينوا لحراسة محلات تبريز؛ الأمر الذي أثار الإنكشارية وطائفة قاپو قولي وجعلهم لا يلتفتون لأوامر عثمان باشا وتحذيراته فهاجموا البلدة والأسواق وقتلوا زهاء خمسة عشر ألفاً من الأهالي لا فرق بين صغير وكبير وضعيف وقوي ناهبين الأموال والأسباب وآسرين أولادهم وعيالهم. وظلوا مشتغلين شهراً أو أربعين يوماً بنهب أموال أهالي تبريز الذين كانوا قد أخفوها منذ زمن طويل تحت التراب في بطن الأرض، فلذا هرب بقية أهالي تبريز نافرين أشد النفور من العثمانيين وانضمت إلى حمزة ميرزا وأطلعته على حالة عثمان باشا وما عليه عسكره من الضعف. فأرسل حمزة ميرزا بعض قواته إلى أطراف تبريز حيث لقيت سنان باشا چيغال أوغلي الذي كان على المقدمة في سعيد آباد فلحقت الهزيمة بعسكر الإسلام. فما وصلت أنباء هذا الانتصار إلى مسامع حمزة ميرزا حتى حمل ذخائر ومؤناً كثيرة وتقدم بجيش قوامه خمسة آلاف فارس إلى معسكر الجيش العثماني، ووصله حوالي العصر فبادر عموم البكلربكية والجنود العثمانية إلى الاصطفاف أمام الأمير الإيراني في محل يقال له بندمير انشاه، ودارت المعارك الحامية حتى غروب الشمس بل إلى ما بعد العشاء حين أراد البكلربكية والقواد والأعيان العثمانيون أن يذهبوا إلى منازلهم فانتهز القزلباش الفرصة، وطاردوا الجيش العثماني بجميع قواه حتى لاقى محمد باشا ميرميران ديار بكر مصرعه وأسر مراد باشا ميرميران قرامان، وكان قد وقع بحصانه في حفرة، وأسر معه بعض الأمراء والأعيان كما أن بعضاً من أعيان القزلباش كانوا قد سقطوا عن جيادهم لظلام الليل مصطدمين بالسلاسل والعرابات في ميدان الوغى، فبادر رجال العرابات من الإنكشارية إلى قطع رؤوسهم.

وبعد بضعة أيام وقد تمت مهمات القلعة رحل الجيش العثماني من منزل چرنداب وكان المقرر أن ينزل في جوار شنب غازان بيد أن حمزة ميرزا أقدم على مطاردته من غير خوف فأخذ يهاجمه من اليمين والشمال، ولا سيما على فرقة سنان باشا چيغال أوغلي حتى غنم أموالاً وذخائر كثيرة بلغ مقدارها ثمانين من أحمال الجمال، وتوغل في معسكر الجيش العثماني حتى بلغ أطراف الخيام المركزية حيث تمكن من الوصول داخل الخيام إلى خسرو كتخدا الذي كان قد صار أخيراً ميرمران أرضروم وصرعه وحمل رأسه.

وفي المساء نزل القزلباش مقابل الجيش العثماني في «سردرود». وفي اليوم التالي حين كان عثمان باشا في حالة النزع وضعوا الباشا السردار في التختروان وارتحلوا به. وكان سنان باشا حسب الدستور العثماني مساعداً لقائد الجيش العثماني، فنزلوا جميعاً في قرية نظرلو حيث أصيب عثمان باشا بفواق عظيم أودى بحياته في اليوم التالي وهم في الطريق إلى طسو فأسلم روحه إلى بارئها. وكان سلطان حمزة ميرزا مواصلاً السير في مطاردة الخصم حيث وجه طائفة الشاملو مع إسماعيل قولي خان من الجانب الأيمن، وتقماق خان استاجلو من الجانب الأيسر، وهو يدير الأمور في القلب والجناح. وبعد أن مضوا على هذا المنوال فرسخين من الطريق أقدمت طائفة الشاملو من اليمين على مهاجمة الجيش الإسلامي مثل الفراشة حيث قامت الحرب واشتعلت نيران القتال بينها، وبين الجناح الأيمن للجيش العثماني المنصور الذي كان في عهدة البيكلربكية وجيوش ديار بكر وقرامان والأناضول، في الوقت الذي قام حمزة ميرزا وتقماق خان أيضاً بالهجوم، فاضطرب الجيش العثماني وكاد الزمام أن يفلت من اليد لولا أن جند القپوخلقي والسلحدارية وغيرهما من الطوائف، وحدوا أمرهم وخرجوا من القلب والجناح زهاء بضعة آلاف راكبين خيولاً شديدة وهجموا مرة واحدة على طائفة الشاملو هجمة صادقة وقتلوا بالسيوف والسهام أكثر من مائتي زعيم من أعيان الشاملو. الأمر الذي أثار مخاوف السلطان حمزة ميرزا وأقض مضاجعه فعاد خائباً. وفي المساء نزل الجيش الإسلامي في اضطراب زائد وحيرة شديدة لما ناله من الإعياء في أطراف طسو حيث شاع في صباح اليوم التالي خبر وفاة عثمان باشا. واتفق رأي البكلربكية والأمراء والأعيان وسائر أركان الدولة العثمانية على نصب سنان باشا سرداراً على الجيش الإسلامي.

ومن هنالك بلغوا «ألباق» في يومين حيث قاموا بغسل وتكفين عثمان باشا. وكان كاتب هذه السطور طول هذه المدة في عقب الجيش المنصور قائماً بوظائف المؤخرة. وكنت أرى أنا، في كل منزل من منازل الطريق، نضطر إلىترك أكثر من خمسة عشر ألف دابة من جياد وجمال وبغال، وإذا فتحنا بطن الواحدة منها كنا نجد بها منّين سلطانيين أو أكثر من الرمل: ولا يقل عدد ما تركنا من الدواب في ولاية تبريز عن مائة ألف، وبالرغم من أن أهالي تلك البلاد كانوا حريصين على المحافظة عليها إلا أن واحداً منها لم يبق على قيد الحياة ولم يصل إلى الربيع. ولما وصل سنان باشا إلى مدينة «وان» وصل من الآستانة العلية منشور إسناد منصب السردارية إليه وكان يشغله زهاء شهرين.

وفي هذه السنة نهض الخاقان المنصور عبد الله خان أوزبك بجيش جرار لا يعد ولا يحصى، واجتاز نهر جيحون ونزل بالعز والإجلال في قبة الإسلام بلخ، وبعد بضعة أيام قضاها بها غادرها إلى ولاية بدخشان، وانتزع جميع هذه الولاية من أيدي أولاد شاه سليمان بن الميرزا يادگار محمد بن ناصر بن الميرزا عمر شيخ بن الميرزا سلطان أبي سعيد بن الميرزا سلطان محمد بن الميرزا ميرانشاه بن الأمير تيمور گورگان. وهكذا أخضع لحكمه بحملة واحدة هذه الولاية العظيمة التي كان يحكمها أولاد تيمور وطائفة الجغتاي أكثر من مائتين وثلاثين سنة، فعين فيها العمال والموظفين وحامية قوية ثم عاد بالإجلال واليمن إلى دار السلطنة بخارى.

سنة ٩٩٤/١٥٨٥-٨٦: نصب السلطان مراد خان، فرهاد باشا سرداراً للجيش العثماني الظافر بقصد إرساله لمعاونة جعفر باشا الذي يحاصره القزلباش في تبريز منذ خمسة شهور. فصدع الباشا بالأمر وغادر دار السلطنة القسطنطينية بجيش جرار قاصداً ديار العجم. ولكنه قبل وصوله ولاية آذربيجان، كان جماعة من ولاة إيران وهم: محمد خان تركمان حاكم كاشان، وولي خان تكلو والي همدان، ومسيب خان شرف الدين أوغلي والي الري، وأمت سلطان ذو القدر حاكم شيراز، ومعهم جيش العراق وفارس قد بلغوا إلى أطراف تبريز في أول نزول الشمس في درجة الجدي، وأرسلو رسولاً إلى الشاه سلطان محمد وحمزة ميرزا يطلبون تسليم الذين تسببوا في مقتل أمير خان ولا سيما على قلي خان، فيج أوغلي، ومحمدي صارسولاغ، واسمي خان شاملو، حتى يقتصوا منهم، وأضافوا إلى ذلك أنهم يمكنهم بعون الله تعالى أن يستولوا على قلعة تبريز في مدة أسبوع فقط جاعلين عاليها سافلها.

ولكن سلطان حمزة ميرزا قد اشتد في الرد عليهم وتهور تهوراً كبيراً وقابلهم بالغلظة والشدة بل، وألقى القبض على بعض من القزلباش الذين كانوا قد غلوا في أمر السعي إلى إجابة الأمراء المتحالفين إلى طلبهم وقتلهم جميعاً. ثم أراد أن يبطش بالرسل أيضاً ولكنهم تمكنوا من الرجوع والعودة خاسرين القضية التي جاءوا لأجلها. فبادروا إلى تعيين طائفة من جنودهم لمحاصرة قلعة تبريز، وكان كل يوم يخرج مع أبطال من أنصاره من شوارع تبريز ويقاتل الأمراء المنشقين وبعد أن دام ذلك بضعة أيام، رأى الأمراء العصاة أن يتخابروا مع جعفر باشا المحصور في القلعة مظهرين ولاءهم وطاعتهم للدولة العثمانية، ولو أن هذا العرض كان كذباً ولا ينطوي على شيء من الصدق إلا أن جعفر باشا قد سر بذلك غاية السرور، وسرت في المتحصنين روح قوية وظهرت عليهم علامات الشجاعة والإقدام، فكانوا يقتحمون أبواب القلعة ويخرجون كل يوم إلى قتال القزلباش من المحاصرين. فحدث ذات يوم أن خرج أبطال الروم من القلعة وكبسوا شاهرخ خان ذو القدر المهردار الذي كان قائماً بأمر الحراسة والمحافظة في سيبه، وألقوا القبض عليه وأسروه بعد أن قتلوا أكثر من ثلاثين نفراً من رجاله. وحدث مرة أخرى أن خرج جمع من المتهورين من هؤلاء الأبطال من القلعة عمدوا إلى المدفع الشهير المسمى «طوب كله كوش» الذي كان في عهد المرحوم الشاه طهماسب في قلعة «كوكرچينلق» وكان قد أتى به إلى تبريز، ونصبه في ميدان «ورجو» حيث كان يصب ناره على المحصورين في القلعة، وهو من جملة مدافع الشاه الشهيرة يعجز عن جره عشرة من الثيران، عمدوا إلى هذا المدفع وجروه جراً في طرفة العين إلى داخل القلعة مستعينين على ذلك بأحزمتهم وعمائمهم وأيديهم ممسكة بعضها البعض كالسلاسل.

هذا ولما كان قلي بك قورچي باش أفشار سبب الخلاف والشقاق بين طوائف القزلباش أراد حمزة ميرزا أن يقضي عليه جزاء لأعماله بيد أنه علم بما يدبر له، فلاذ بالفرار، مع ابن أخيه، جبار قلي خان، وذهب إلى جعفر باشا بداخل القلعة وأطلعه على أسرار القزلباش وما بينهم من الخلاف والشقاق، وأخبره بالنفق الذي كان النقابون من القزلباش حفروه بكل تعب ومشقة، وكادوا أن ينتهوا منه حيث أوصلوه من داخل يخچال حسن بك إلى نفق يقرب من جدار القلعة على مسافة عشرة أو اثني عشر ذراعاً من داخل القلعة. فبادر جعفر باشا إلى اتخاذ التدابير اللازمة بفتح نفق من الداخل عليه، والانقضاض

منه على النقابين القزلباش وقتلهم جميعاً، ثم أغرق النفق بالمياه وسد الطريق هكذا على العدو.

هذا ولما رأى الأمراء والقواد المنشقون أن حمزة ميرزا لا يلين يئسوا منه، وعمدوا إلى خداع أخيه طهماسب ميرزا، وكان يبلغ من العمر التاسعة وكان وصيه مراد بك تركمان بهارلو، فأخرجوه من قصر الشاه سلطان محمد وحملوه إلى جانب العراق عائدين، وأعلنوا سلطنته على إيران في قزوين حيث خطب له في جميع بلاد العراق وفارس وضربت السكة باسمه، وقسم الأمراء والزعماء المناصب والبلاد متفقين فيما بينهم فعهد بمنصب الوزارة والمشيرية في السلطنة كلها لمسيب خان.

فما كان من سلطان حمزة ميرزا إلا أن قدّم، من باب الاحتياط والحذر، رحيل اسمى خان شاملو حاكم قزوين إليها فبها أهل وعيال طائفة شاملو. ونهض هو في عقبه مع علي قلي خان استاجلو ومحمدي صاروسولاغ متوجهاً إلى تلك الجهات. فلما وصل نواحي سلطانية، وعلم الأمراء العصاة بقدومه بادروا إلى حمل طهماسب ميرزا إلى صاپن قلعة واصطفوا هنالك مستعدين للقتال. وبالرغم من قلة أنصار حمزة ميرزا وكثرة أتباع ورجال طهماسب ميرزا، فقد انتصر حمزة ميرزا الذي أبلى في القتال بلاء حسناً وظهرت منه خوارق في الشجاعة والبسالة. فقتل ولي خان تكلو مع ابنه علي پاك مال في ساحة الوغى، وانكسر جيش طهماسب شر انكسار وعثر حمزة ميرزا بنفسه على محمد خان ومسيب خان الوزير وأخيه طهماسب ميرزا، فاعتقل الثلاثة وأسرهم وصاروا رهن القضاء والقدر. وهكذا قتل أكثر المفسدين والمنشقين من الأمراء في تلك المعركة، وهربت بقية المحاربة من طائفتي تكلو وتركمان إلى جانب العراق وهمدان وتملكهم الخوف وساورهم القلق على مصيرهم، فلم يستقروا هنالك أيضاً بل واصلوا السير إلى أن دخلوا دار السلام بغداد مقدمين الطاعة إلى عتبات السلطان العثماني، وعاد سلطان حمزة إلى تبريز ظافراً.

وفي خلال ذلك ذاع صيت قدوم السردار فرهاد باشا بجيشه العرمرم في تبريز التي غادرها الشاه سلطان محمد وحمزة ميرزا من جراء ذلك إلى جانب أردبيل وقراباغ. مما مهد السبيل إلى فرهاد باشا لأن يصل إلى ضواحي تبريز من غير عناء فأنشأ أولاً حصناً في أطراف دزج خواجه رشيد الدين محمد الواقع في موضع «خمنه». ثم واصل السير إلى أن دخل مدينة تبريز، فاستمال

جعفر باشا بالتعطفات السلطانية وأبلغه منحه رتبة الوزارة إليه مسلما إليه ذخائر ومؤنا كافية للصرف على جنوده ومكافأتهم على ما أبدوا من الثبات وحسن القتال. وعاد أخيرا إلى مشتاه في أرضروم.

كما أن الشاه سلطان محمد وحمزة ميرزا توجها إلى قرا أغاج بقصد تمضية الشتاء بها.

وهنالك قصد ذلك السرو في بستان السلطنة والوردة النامية في حديقة السيادة، من يدعى «خودي» ابن دلاكي «الحمامي» الذي تربى على أيدي اسمى خان ومحبوب ميرزا، فهاجمه في نصف الليل بين الخيام وضربه بخنجر مسموم غدار فأغرقه في بحر من الدماء ولاذ بالفرار. وذهب إلى لدن اسمى خان الذي نسبت إليه هذه القضية؟ إلا أنه قبض على «خودي» وجيء به إلى بلاط الشاه سلطان محمد فقتل على الفور. وهنا اتفق أمر علي قلي خان واسمى خان مع الخوانين وأعيان القزلباش على نصب أبي طالب ميرزا سلطانا على البلاد، وتنفيذا لهذا الأمر اعتزموا على مغادرة موطن قرا آغاج قاصدين العراق، فلما وصلوا «قزوين» رفض أمراء وزعماء العراق وفارس الخضوع لهم ولم يوافقوهم على ما أرادوا، بل خالفوهم كل المخالفة فاضطروا إلى مغادرة هذه الجهة حاملين أبا طالب ميرزا معهم، إلى جانب كاشان وأصفهان فلم يلتفت إليهم أحد حيث كان كل حاكم محلي يزعم أنه ملك هذه الجهة وأنه مستقل كل الاستقلال مستغن عن الآخر مثلهم كمثل ملوك الطوائف.

وفي أول ربيع هذه السنة تبدلت الصداقة والعلاقات الطيبة التي كانت بين مرشد قلي خان وعلي قلي خان شاملو، إلى العداء والخصام بفضل إفساد المفسدين وإغراء ذوي الغايات؛ فبادر علي قلي خان، لما ورد له من التنبيه والإيقاظ، إلى اصطحاب عباس ميرزا مع جيش خراسان وهراة، والتوجه نحو المشهد عن طريق قاين. ولما وصل إلى سهول جناباد وصحاريه نهض مرشد قلي خان من المشهد لمقاومته وصده، واتفق أن تلاقى الفريقان في الصحارى التي تقع بين جناباد ومحولات، وكان مرشد قلي خان قد اتفق سرا مع مصطفى سلطان ولد كجل شاهوردي رئيس طائفة استاجلو بأن يقبضوا على عباس ميرزا ويحضروا به إليه بمجرد أن تشتعل نيران الحرب والقتال. وفعلا حدث ما اتفقوا عليه حيث وافق التدبير التقدير الإلهي، ففي الوقت الذي كان علي قلي خان منتصرا على خصمه مرشد قلي خان انتصارا باهرا، ورد له

النبأ بأن طائفة استاجلو حملوا عباس ميرزا وذهبوا به إلى مرشد قلي خان، فجن علي قلي خان من هذا الخبر الأليم ورجع نحو هراة تاركاً أكثر أعيان جيشه أسرى في يد خصمه. فبادر مرشد قلي خان بكل عظمة وبراحة بال وسعادة حال إلى اصطحاب عباس ميرزا والتوجه إلى المشهد وإعلان سلطنته بها.

سنة ٩٩٥/١٥٨٦-٨٧: في أولها نهض السردار فرهاد باشا إلى كرجستان بقصد الاستيلاء على ولاية سماعون، فشرع في تعمير قلعة «كورخانه». ونصب لها حيدر باشا بكلربيكاً، ثم عاد باليمن والإقبال سالماً غانماً.

وفي أول فصل الربيع من هذه السنة حينما نزلت الشمس في برج الحمل اتجهت نية الخاقان المعظم عبد الله خان أوزبك إلى الاستيلاء على إقليم خراسان وبلدانه الواسعة، فعبر جيحون بجيش جرار قوامه مائة ألف فارس مغوار وضرب مضارب جيشه في ساحل مرغاب.

ولما علم حاكم هراة علي قلي خان بهذا الحادث الخطير، أمر بدخول بلوكات الحامية إلى داخل القلعة في المدينة معتزماً الدفاع معتصماً بها. وما حل يوم الخميس السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة من نفس السنة إلا وصارت صحارى وسهول سقسلمان وكلاته كاشي مضرب خيام الجيش الخاقاني. وبادر جمع من أبطالهم وفرقة من الأوزبكية الشجعان في مغرب نفس اليوم إلى الإغارة والزحف حتى وصلوا إلى باب الملك، وأبادوا قوة من القزلباش كانت هناك. وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من الشهر المذكور غادر الجيش الخاقاني المعظم صحراء سقسلمان، ونزل في «ألنك كاروبار» وظاهر مرقد فائض الأنوار خواجه محمد بوران وأراضي قرية علوار (؟) ولبث يومين في هذا المحل البهيج. ثم غادره الموكب الخاقاني إلى مدرسة ميرزا في ضحى يوم الأحد غرة رجب من تلك السنة في الوقت الذي كانت الشمس في الدرجة الخامسة من برج الجوزاء، حيث اتخذها مقراً عاماً للجيش وصدرت الأوامر حالاً بتعيين الموظفين والمحصلين اللازمين لجمع محصولات القرى والقصبات والمؤن المطلوبة للجيش، مع ملاحظة أن يتركوا أموال الذين التزموا بيوتهم وأماكنهم من الفقراء والضعفاء والمزارعين فلا يتعرض لهم أحد قط. وفي اليوم التالي أحاط الجيش المنصور بأطراف المدينة وسد الأبواب في وجه المتحصنين. وعين الأمير قل بابا كوكلتاش لتقسيم وتعيين الخنادق والطوابي؛ حيث قرر جعل خندق وطابية أمام كل برج من أبراج المدينة، وعهد بالمحافظة

عليها إلى الأمراء العظام ذوي القدر. فلما رأى علي قلي خان ما آل إليه الأمر واشتداد الخطب طير مكاتبات استنجاد مع السعاة الأشداء إلى الشاه عباس ومرشد قلي خان في مشهد طالباً منهم النجدة والمعونة. ولما لم يكن حينئذ تحت أمر الشاه عباس أكثر من ستة آلاف فارس، فلم يتجاسر على تلبية الطلب، بل صمم على السير إلى العراق حتى يحمل الأمراء والقواد، الذين يحكمون البلاد كحكم ملوك الطوائف، على الاتفاق والالتفاف حوله ليواجهوا جميعاً العدو الداهم عبد الله خان ويدفعوا شره من البلاد. وأرسل «نور علي الچكني» إلى هراة ليخبر من فيها بجلية الأمر وما ينوي عمله، ثم توجه هو على جناح السرعة مع مرشدى قلي خان وأكثر أمراء خراسان، إلى جهة العراق. ولا شك في أن هذا التدبير من الشاه عباس كان وقعه شديداً على مرشد قلي خان إذ كان باعثاً ليأسه؛ لأنه إذا تم مبايعة العراق بالسلطنة للشاه فإن النجدة لا تصل إليه في مدة ثلاث سنوات!

هذا ولما وصل الشاه عباس إلى دار السلطنة قزوين وتسنم عرش بلاده الموروث كانت تتقدم إليه كل يوم جماعات من الأمراء والخوانين فرقة فرقة يقدمون الطاعة ويظهرون الولاء والإخلاص رافعين إليه التهنئة بالسلطنة، واستعدادهم للعمل تحت أوامره العالية وتدابيره الصائبة، حتى إذا ما حضر أسمى خان وعلي قلي خان مصطحبين معهما أبا طالب ميرزا وتشرفوا بمقابلة الشاه عباس بقزوين بادر الشاه عباس إلى قتل الأميرين المذكورين بتحريض من مرشد قلي خان مع محمدي صاروسولاغ. وبعد ذلك توجه بكل قواه نحو إعمار البلاد وإراحة العباد مما كان فيها من الظلم والفوضى. بيد أنه لما كان من ديدن القزلباش ألا يألوا جهداً في سبيل القضاء على الأمير الذي يتميز منهم لدى الشاه، فقد آلوا على أنفسهم أن يقضوا على مرشد قلي خان، واتفقوا على ذلك فيما بينهم.

ولما اطلع الشاه عباس على هذه القضية المدبرة بادر إلى طلب طائفة القزلباش كلها إلى بلاطه، فلما اجتمعوا فيه أشار بإلقاء القبض على الأمراء الخائنين. فما كان من طائفة القزلباش إلا أن صدعت للأمر وهاجمت الأمراء المتآمرين الخونة المجتمعين حينئذ في منزل قورقمز بك شاملو، فقبض على كل من مهدي قلي خان، وعلى قلي خان ذي القدر، وپيرغيب خان استاجلو، وأمير أصلان سلطان استاجلو خلفاي روملو، ولقوا مصرعهم بأمر من الشاه. وتمكن جمع منهم من الهرب والالتجاء إلى ساحة خان أحمد والي گيلان.

سنة ٩٩٦/١٥٨٧-٨٨: سبقت الإشارة إلى أنه من يوم شروع عبد الله خان في محاصرة هراة كان يضيق الحصار على البلدة كل يوم، فبلغ الحال بالمحصورين أن مات منهم كثيرون عن كثرة التعفن والأمراض المتفشية؛ مما حمل جماعة من حامية البلدة وأخرى من سكانها من أهل الحرف على الخروج من البلدة بكل صعوبة ومشقة، والالتجاء إلى ساحة مراحم الخاقان المعظم الرحيم العادل الذي شملهم بعطفه وعدله. ولما طالت مدة الحصار وبلغت أيامه سنة وتسعة شهور وواحداً وعشرين يوماً، بادر جمع من ملازمي وأتباع سليل الملوك العظام عبد المؤمن خان في سحر ليلة الثامن عشر من ربيع الأول الموافق لتحويل الشمس إلى برج الحوت، إلى الصعود من ما بين بوابة خوش، وجسر نهر چكان إلى برج كان في حراسة أتباع الميرزا جانسلطان، فقتلوا به عدة من القزلباش المدافعين ولبثوا فيه حتى تمكن زهاء بضعة آلاف من الأوزبكية الأبطال من الصعود إلى سور البرج، وصاحوا بالتكبير والتهليل ضاربين الكؤوس ونافخين في الكرنا وهو نفير من ذيل البقر. فهرع إلى هذه الناحية، من المدافعين، على قلي خان الذي كان مكلفاً بإمداد الجهات الضعيفة بمن معه من الأتباع والأنصار فوجد أن أوان النجدة قد فات حيث علا صياح المقتحمين من جانب برج بابا محمود من الأوزبكية إلى عنان السماء، فأسقط في يدي علي قلي خان واحتار في أمره، ثم عمد إلى عدة من رجاله واعتصم بحصن اختيار الدين في الوقت الذي كان العدو يتدفق إلى داخل المدينة من كل الجوانب، وشرع في النهب والسلب والقتل والذبح حتى لم يترك دياراً من الترك والتاجيك والحر والرقيق والغريب والمواطن والشاب والأشيب على قيد الحياة.

وفي صباح اليوم التالي حينما طلعت الشمس وأرسلت أشعتها على الجبال والسهول دخل فاتح الممالك نصير الدين عبد الرحمن خان عن طريق بوابة خوش بإجلال وعظمة المدينة وتوجه أولاً لزيارة المسجد الجامع، ولبث فيه ساعة ثم غادره إلى حديقة المدينة ومنها توجه إلى دار الإمارة التي هي مقر ومنزل علي قلي خان. وفي اليوم الثالث وصل طلب الأمان والاستغاثة من علي قلي خان ورفقائه، فخف إلى باب الحصن الذي هم فيه جمع من أمراء البلاط أمثال الأمير قل بابا كوكلتاش، والأمير محمد باقي بك والأمير جلتي، والأمير شاه محمد أله جيان بالاتفاق مع مولانا الأعظم قدوة نحارير الأمم عمدة الفضلاء خواجه أبو البقاء، حيث جاء إليهم علي قلي خان ومعه زهاء ثمانين نفراً من الأمراء وأولاد الأمراء الشاملوية. فتوجهوا جميعاً نحو بلاط عبد

الرحمن خان. وحدث أثناء الطريق أن طمع أحد الجنود اللئام في فوطة أخي قاضي سلطان شاملو، وتقدم إليه ليأخذها من فوق رأسه، فما كان من قاضي سلطان إلا أن تهور وغضب وبطش بذلك الأوزبكي بضربة خنجر في فخذه وصرعه. وهكذا نشأت فتنة عمياء بين الفريقين واشتبكوا في قتال شديد وأخذت الحمية الزائدة والغيرة الجامحة الأمير شاه محمد أله جيان، فأشار إلى الأوزبكية جميعاً بالهجوم على الشاملوية وقتلهم وأسرهم، ففعلوا ولم يتركوا من علي قلي خان ورفقائه وأتباعه أحداً على قيد الحياة. وفي يوم الجمعة وهو اليوم الرابع من تسخير واحتلال هراة وقتل أهلها ونهب أموالهم، دخل عبد الله خان المدينة وأصدر حكمه القاطع بأن يكف الأوزبكية والحراس والجنود عن القتل والنهب وألا يتعرضوا لأحد من سكان المدينة والقزلباش، ووصلت بشرى ذلك الأمر الحكيم إلى الأطراف بل إلى سائر ممالك خراسان.

هذا وقد أفتى بعض العلماء بجواز اعتبار أهل وعيال القزلباشية أسرى حرب مثل الكفار يتناولهم البيع والشراء، وأفتى البعض الآخر بعدم جواز ذلك فمال الخان العادل إلى إتباع الفتوى الثانية، فأصدر أوامره المشددة بمنع بيع وشراء الأسرى القزلباش، كما كلف الخواجه محمد مؤمن الشهير بميرزا أرباب بإحصاء قتلى هراة فظهر أن عدد القتلى في مدة التسعة شهور التي جرت فيها محاصرة هراة قد بلغ أربعة آلاف شخص. وبعد بضعة أيام من ذلك نهض الخان العادل من هراة واتجه نحو المشهد المقدس، ولبث في ظاهر هذه البلدة مدة شهرين، وحكم بتسريح الدواب والمواشي في حدائق ومزارع تلك الجهات، ثم عاد عن طريق سرخس وروز آباد إلى هراة، وفوض أمر حكومة هذه الولاية إلى الأمير الأعظم قل بابا كوكلتاش، وعهد بمنصب شيخ الإسلام إلى الخواجه أبي البقاء، كما عهد بالنظر في الأمور الشرعية إلى القاضي محمد رضا. وصلى صلاة عيد الفطر في مدرسة ميرزائي. وبعد ذلك عاد باليمن والإقبال بجميع الجيش المنصور إلى بخارى بما وراء النهر.

وفي أواخر هذه السنة تمكن الشاه عباس من حشد عسكر جرار في العراق وتوجه نحو خراسان لصد الأوزبكية عنها.

فلما وصل الموكب الشاهي إلى مرج بسطام اتفق مع عدة من رجاله الأخصاء فباغتوا ليلاً مرشد قلي خان الذي كان جملة الملك «مشيراً ومؤتمناً» لديه، وقتلوه في غفلة النوم. وبعد ذلك اتجه نحو مشهد التي كانت المجاعة ضاربة أطنابها فيها مما جعل جيشه الذي كان حشده بكل صعوبة يضطر

للانتشار في الأطراف والتشتت باحثاً عن القوت. فلذا عهد بحكومة إيالة مشهد إلى أمت خان استاجلو كوشك أوغلي. وغادرها هو على عجل بقصد العودة من حيث أتى. ولما قطع مرحلة من الطريق عمد إلى قتل الوزير ميرزا محمد، وعهد بمنصب الوزارة إلى ميرزا لطفي. وفي خلال هذه الوقائع والحوادث نسي محمد خان التركمان أو تناسى ما صدر منه من القبايح والذنوب السابقة متطلع إلى شغل منصب مرشد قلي خان في رئاسة القزلباش، وبلغ من قلة حيائه إلى حد أن ثار الشاه عليه فضربه ضربة واحدة بالسيف، وهكذا قضى على ذلك الخائن وعهد بحكومته وإدارة إيالة استرآباد إلى مرتضى خان پرناك، وبحكومة قوچان إلى بوداق خان چكني. ثم عاد مرحلة مرحلة إلى دار السلطنة قزوين.

وفي هذه السنة أيضاً كان نهوض فرهاد باشا السردار العثماني للاستيلاء على كنجه وبردع، فبعد أن تم له تسخير تلك البلاد أخرج منها طوائف القاجار وايكرمي دورت، وبنى قلعة في كنجه، فأتم بناءها وترك بها حيدر باشا محافظاً على رأس الحامية، وهاجم هو مع عموم الجيش طوائف القاجار التي كانت تجتاز أرس باثقالها وأحمالها، فنهب أموال وأسباب القاجار وسائر عشائر قراباغ وطوائفها، ثم ترك حسن باشا الخادم في شيروان حائزاً منصب الوزارة، وعاد هو لإمضاء الشتاء في أرضروم.

في سنة ٩٩٧/١٥٨٨-٨٩: ندب السردار فرهاد باشا، خضر باشا ميرميران ايروان، لضبط وتسخير مقاطعة نخجوان، بناء على طلب والتماس أهل تلك الجهات. فذهب خضر باشا وقام بالمهمة خير قيام حيث قدم له الأهالي الطاعة مخلصين، فأنشأ قلعة حصينة في محل يدعى «كوشك بلبان» وهكذا خضعت تلك الجهات أيضاً لسلطان العثمانيين.

وفي هذه السنة نهض عبد المؤمن خان من مدينة بلخ، وتوجه نحو خراسان قاصداً تسخير مشهد، فنزل في ظاهر هذه المدينة الفردوسية في غرة جمادى الأخرة وشرع حالاً في محاصرتها، وبادر الأوزبكية الأشداء الحانقون إلى إحاطة القلعة إحاطة السوار بالمعصم واستولوا عليها عنوة بعد حصار دام أربعة شهور، وقد وضعوا السيف في رقاب ترك وتاجيك ذلك المحل. ولما اضطر حاكمها أمت خان إلى الالتجاء مع عدة من السادات المعتبرين إلى الروضة الرضائية، لم يمنع هذا الأوزبكية من مواصلة الهجوم بكل شدة وبلا رحمة ولا شفقة، فقتلوهم بالسهام داخل الحرم المقدس الذي

سلبوا جميع مقتنياته ومفروشاته من الأواني الفضية والقناديل الذهبية والآثار النادرة مثل المصاحف وغيرها من المقتنيات، وفضلاً عن هذا فإنهم أسروا جمعاً كبيراً من أولاد المسلمين وعيالهم. وقد عهد عبد الرحمن خان بالمحافظة على هذه الجهة وحراستها إلى أحد أمرائه الخاصين. وعاد هو ظافراً ومنصوراً إلى قبة الإسلام بلخ.

سنة ٩٩٨/١٥٨٩-٩٠: أرسل الشاه عباس رسولاً إلى السردار فرهاد باشا يطلب منه عقد الصلح. فلما وصل الرسول وقابل السردار العظيم واستقر الرأي على أن يرسل الشاه عباس ابن أخيه سلطان حيدر ميرزا إلى سدة السلطان مرادخان، وأن يعلن تبعيته وطاعته للسلطان العثماني حتى تفتح أبواب الصلح والسلام الدائم. وقبل الطرفان هذا. فمن ذلك اليوم لم يتعرض الجيش العثماني لولاية عباس. وهكذا لما أمن الشاه عباس جانب عسكر الروم «العثمانيين» وخصومة تلك البلاد الواسعة، تفرغ لدفع شر خصمه الآخر يعقوب خان ذو القدر والي شيراز، الذي كان قد سلك طريق التمرد والعصيان، فبادر إلى الزحف إلى فارس.

وما كاد الخبر يصل إلى مسامع يعقوب خان إلا وأسرع إلى الاعتصام بقلعة اصطخر شيراز. وجاء الشاه عباس ودخل شيراز وأقام بها غير ملتفت إلى خصمه المعتصم بالقلعة المذكورة. وبعد شهرين من هذا التاريخ أرسل الشاه أمير أمرائه فرهاد خان بجيش جبار إلى يوسف خان أفشار والي كرمان الذي كان هو أيضاً من الثائرين المنشقين. فذهب هذا الجيش وتمكن من إلقاء القبض على يوسف خان وإحضاره، كما توسل الشاه بطريق الاستمالة والخداع من إخراج يعقوب خان من قلعته وإحضاره لديه بشيراز، حتى إذا ما جاء الأوان عمد يوماً إلى يقعوب خان وثلاثين من رجاله أعيان وأصلاء الطائفة «ذو القدرية» وقتلهم، وأمر بتعليق جثثهم على المشانق المنصوبة في ميدان شيراز. وهكذا أتم قضيتي فارس وكرمان ثم نهض عائداً إلى العراق. فلما بلغ أصفهان بادر إلى سمل عيني أخويه طهماسب ميرزا وأبي طالب ميرزا وإرسالهما إلى قلعة ألموت. ثم أرسل إلى أحمد خان والي كيلان يطلب منه تسليم الأمراء الذين فروا منه ولجأوا إليه؛ فلبى أحمد خان الطلب وأرسلهم إلى البلاط العباسي بشرط أن يصدر عفواً عنهم. بيد أنهم ما أن وصلوا إلى جوار قزوين حتى أرسل لاستقبالهم من يقوم بقتل زعماء وعمد هؤلاء الأمراء أمثال محمد شريف استاجلو بن بنت معصوم بك، ومهدي قلي بك ولد طالس حمزة وعدة

من رفقائهما قد قاموا بذلك، وعلقوا جثتيهما على جمل وأدخلوهما المدينة على هذه الحال.

ولقد تأثر خان أحمد من ارتكاب هذا الحادث تأثراً شديداً وأظهر استياءه وامتعاضه وأخذ يبدي علائم الثورة والتمرد على الشاه عباس، وفي أواخر هذه السنة أرسل الشاه عباس، فرهاد خان إلى ناحية خراسان لدفع وقمع فتنة الأوزبكية في تلك الجهات، فذهب فرهادخان حتى حدود نيسابور، ثم عاد منها من غير أن ينال منهم شيئاً.

سنة ٩٩٩/١٥٩٠-٩١: في مطلعها نهض عبد الله خان بجيش عظيم عدده لا يحصى من ما وراء النهر قاصداً تسخير سائر بلاد خراسان، فتمكن في مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر من تسخير بلاد ولاية نيسابور وسبزوار وإسفراين ومحولات وتون وجناباد وقاين وطبس كيلكي وفره وسيستان وهزاره. ثم عاد إلى دار السلطنة هراة ولبث بها مدة شهر يقضي أوقاته الشريفة بالبهجة والسرور، ثم توجه نحو ما وراء النهر بجيشه الظافر.

وفي هذه السنة أيضاً كان قيام فرهاد باشا سردار جيش الروم من أرضروم مصطحباً معه، حيدر ميرزا ولد سلطان حمزة ميرزا، الذي كان الشاه عباس قد أرسله مع مهدي قلي خان چاوشلي استاجلو كوفد لعتبات السلطان الأعظم السلطان مراد خان، وتوجه بهما جميعاً إلى استنبول حيث نال بها التعطفات السلطانية الفائقة بإسناد منصب الصدارة العظمى ومسند الوزارة الكبرى إليه كما شمل بعطفه السامي وتكريمه الزائد حيدر ميرزا حيث ألحق ببلاط السلطان خاصة ليكون به على الدوام تحت الأنظار الشريفة مع تعيين ما يلزم له ولحاشيته من المرتبات تقبضها وكلاؤه كل شهر، وأذن لمهدي قلي خان بالانصراف مقضي المرام مسروراً، فما كاد مهدي قلي خان يصل لبلاط الشاه حتى أمر هذا بقتله.

وفي هذه السنة سافر الشاه عباس إلى جانب يزد وأصفهان، وغادرها بعد ثلاثة شهور إلى آذربيجان بقصد زيارة مرقد جده العظيم الشيخ صفي الدين الأردبيلي. وبعد أداء الزيارة وتوزَيع الصدقات والنذور بها، أمضى بضعة أيام في الصيد والقنص في قزل أغاج طالش، ثم عاد إلى قزوين حيث ترامى إليه نبأ عصيان خان أحمد والي گيلان، فقرر القضاء عليه وعلى أسرته نهائياً. فما كاد أحمد خان يسمع هذا النبأ السيئ حتى بادر إلى الفرار إلى «لنكرود»

فلحقته الحملة بها، فسارع مع عدد قليل من الرفاق ومعه قليل من الأواني الفضية والفُرُش، بمعاونة الخواجه حسام الدين اللنكرودي، تاجر الصوف، بركوب سفينة للصوف، واتجه ناحية شيروان حيث قابله واليها ومحافظها الوزير حسن باشا الخادم، بالتجلة والإكرام وأحضره بالحفاوة إلى شماخي ومنها عرض حقيقة أحواله على السدة السلطانية باستنبول، فصدر الأمر واجب الاتباع بإرسال أحمد خان على جناح السرعة إلى الآستانة العلية.

وأما الشاه عباس فإنه واصل الإغارة والزحف بنفسه إلى گيلان واستولى على جميع بلاد تلك الديار، وعهد بأمر المحافظة عليها وإدارة شؤونها إلى رجاله المعتمدين لديه وعاد إلى مقره بالعز والإجلال.

سنة ١٠٠٠/١٥٩١-٩٢: عزل السلطان مراد خان، من منصب الوزراة العظمى، فرهاد باشا وعهد به إلى سياوش باشا.

وسلك حسن باشا ميرميران البوسنه مع الكفار مسلكاً على خلاف العهد والميثاق، فنشأت من ذلك مصادمات ومناوشات قتال بين الطرفين، وقد بدأ حسن باشا بالعدوان على الكفار الذين هاجموه أخيراً بجموع كبيرة حتى قتلوه هو وعشرة آلاف من المسلمين الذين كان منهم خمسة آلاف من جنود الروملي مما أفضى إلى اختلال الأمن في حدود الروملي وسوء الحالة بها ابتداء من ذلك اليوم.

ونهض الشاه عباس من قزوين بقصد قتال وصد عبد المؤمن خان ولد عبد الله خان الذي كان قد وصل إلى حدود جاجرم، ولما وصل الموكب الشاهي مرج بسطان، لم يصمد له عبد المؤمن خان بل توجه نحو نيسابور، ولكن الشاه تعقبه حتى موضع يقال له «سلطاني ميداني دامغان» ومن هنالك قفل راجعاً متماسكاً بالحزم والاحتياط فاستولى على سبزوار وإسفراين وترك بها حامية للمحافظة عليهما ثم عاد إلى قزوين. وفي خلال هذه الفترة وصلت الأنباء إلى المسامع السلطانية بأن جمعاً من أجلاف گيلان أعلنوا العصيان والطغيان. فندب الشاه لذلك فرهاد خان مع حسين بك شاملو قورچي باشي، وأرسلهما إلى گيلان حيث قام فرهادخان بإخماد الفتنة بكل عنف، ثم انتهز الفرصة وأسند بعض التهم إلى حمزة خان ولد بايندور خان طالش والي أستار نيابة عن الوالد في حياته، لعداء قديم بينه وبين الوالد نشأ من الجوار والمنافسة، مما سهل له موافقة الشاه عباس على الزحف إلى أستارا أيضاً حيث لم يصمد

له الابن والأب وغادراها متوجهين ولاجئين إلى بغداد. فما كان من فرهاد خان إلا أن تمكن من إلقاء القبض على إيرج خان ولد حمزة خان مع سائر إخوته وقتلهم جميعاً.. كما أن الابن والأب اللاجئين إلى بلاد الروم لقيا حتفهما بها من الهموم والأكدار.

سنة ١٠٠١/١٥٩٢-٩٣: وضع عبد الله خان أوزبك نصب عينيه الهجوم على خوارزم والاستيلاء عليها، فنهض نهضة قوية وزحف إليها حتى استولى على تلك الديار وأسر أكثر أمرائها سلائل السلاطين والملوك وقتلهم، فما نجا منهم سوى حاجم خان ابنه ونورم خان الذي كان والي تلك البلاد، وتخلصوا من الهلاك بكل مشقة وأعجوبة ووصلوا إلى خدمة الشاه عباس عن طريق استرآباد. وأما عبد الله خان فقد عين من رجاله من يقوم بحفظ وحراسة البلاد المفتوحة. ثم عاد إلى ملكه.

وفي هذه السنة عمد السلطان مراد خان إلى عزل سياوش باشا من الوزارة العظمى والصدارة الكبرى، وعين سنان باشا وزيراً أعظم وفرهاد باشا وزيراً ثانياً. ونصب سنان باشا سرداراً للجيش العثماني الظافر، وكلفه بالرحيل إلى الروملي، على أن ينوب عنه في الآستانة لتسيير أمور الدولة وتصريف شئون الأمة فرهاد باشا. فقام سنان باشا حسب الأمر السلطاني بجيش جرار يزيد عدده على أوراق الأشجار ورمال الصحارى متوجهاً نحو حدود «بدون» وانتزع عنوة قلعة قومران الحصينة من أيدي الكفار، ثم ترك بها جمعاً من المسلمين للحراسة والقيام بوظيفة الدفاع عنها وعن الولاية. وعاد هو منصوراً إلى قلعة بلغراد التي كانت مشتى الجيوش العثمانية.

وفي أواخر هذه السنة نهض الشاه عباس فزحف على شاهو يردي خان حاكم لرستان بخرم آباد، فلم يصمد له شاهو يردي وأخلى البلاد وخرج منها، مما سهل للشاه نصب مهدي قلي خان شاملو محافظاً للرستان والرجوع إلى دار ملكه.

في سنة ١٠٠٢/١٥٩٣-٩٤: زحف عبد المؤمن خان حانقاً إلى قلعة سبزوار التي كان الشاه عباس قد استولى عليها منهم في زحفه إلى خراسان. وحاصرها حتى استولى عليها عنوة في مدة وجيزة، ولم يترك بها دياراً على قيد الحياة فقتل الصغير والكبير من غير تمييز. ثم عاد إلى جهة بلخ.

وفي هذه السنة أيضاً كان ظهور العداء بين سنان باشا الوزير الأعظم وغازي كراي خان التتار. وتفصيل القول هو أن السبب في انكسار جيش الكفار أيام فتح قلعة قومران ونصب جسر على نهر الطونة، وانهدام قوة الكفار كان في الحقيقة يرجع إلى جيش التتار الذين صدرت منهم في تلك المعارك، خدمات جلى وقد أطلقوا يد النهب والسلب في ولاية أردل وجمعوا منها ذخائر كثيرة وغنائم وفيرة أتوا بها إلى الجيش العثماني الذي قضى وقتاً سعيداً بفضلها. ففي مقابل هذه الخدمات كان خان التتار يأمل الرعاية والعناية به من السردار العثماني، ولكن سنان باشا قد تناسى خدماته بل وأسندها كلها إلى نجله محمد باشا ميرميران الروملي حينما رفع التقرير عن مهمة الجيش وانتصاراته إلى السدة السلطانية العالية. ولما اطلع غازي كراي خان على جلية الأمر بادر إلى رفع تقرير منه ومن بعض الأعيان ضمنه تقصيرات السردار وتهاونه في تسيير أمور السلطنة العليا. مما أفضى إلى عزل سنان باشا من منصب الوزارة والسردارية وإسناده إلى فرهاد باشا.

وفي غرة ربيع الأول من هذه السنة سافر الشاه عباس إلى بلدة أصفهان بقصد الصيد والقنص وأمضى فيها مدة شهرين بالعز والإقبال، ثم عاد منها إلى قزوين حيث غادرها توأ إلى جانب گيلانات وأدب المتمردين والعصاة هناك؛ كما أنه قبض على علي بك حاكم رشت وأرسله معتقلاً إلى قلعة ألموت.

سنة ١٠٠٣/١٥٩٤-٩٥: كانت وفاة السلطان الأعظم والخاقان المعظم السلطان مراد خان. ويعجز القلم ويكل اللسان عن وصف مزايا هذا السلطان وما نال العالم من الخسران العظيم والمصيبة الفادحة من جراء وفاته. ولقد توفي إلى رحمة الله بعد أن حكم إحدى وعشرين سنة، في يوم الثلاثاء الموافق للسادس عشر من شهر جمادى الأولى في دار السلطنة القسطنطينية إذ لبى روحه الطاهرة نداء: «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية» فغربت شمسه في مغرب آية «أينما تكونوا يدرككم الموت» وطويت صفحته ثم ختمت بتوقيع «كل من عليها فان».

هذا وكانت تمتد البلاد الخاضعة لسلطان هذا الراحل العظيم من ولايات الحبشة واليمن والحجاز ويثرب وساحل بحر عمان والبصرة والأحساء وبغداد ونهاوند العراق وتبريز وأكثر ولاية آذربيجان وأرمينيا حتى نهاية شيروان التي هي حدود دمورقپو وكذا جملة ولاية كرجستان والجانب الشمالي لقلزم كفه

وأزاق وآق كرمان وولايات أنكروس وبدون وطمشوار التي هي نهاية ولاية الروملي، وكذا ديار قرابوغدان وله وجه وأردل والمجر.

ومع اتساع هذه البلدان والممالك التي كان يبلغ طولها أكثر من ألف فرسخ وعرضها ستمائة فرسخ لم تكن همة السلطان وطموحه العظيم ليكتفيا بذلك فاعتزم فتح ديار المجر وأردل كلها، واستعد لذلك، فتوفي إلى رحمة الله في أثناء ذلك تاركاً هذا الملك العريض وقانعاً بأرض لا تزيد مساحتها عن ثلاثة أذرع، مخلفاً الخزائن الوافرة والأموال الكثيرة والجيوش الجرارة مما لم يسبق لأحد من السلاطين جمعه من يوم ظهور الإسلام حتى الآن.

هذا وقد تولى عرش السلطنة بعده ابنه أبو المظفر السلطان محمد خان حفظه الله تعالى من آفات الدوران، وهو يبلغ من العمر الثامنة والعشرين. وقد نقلته والدته من مغنيسا في سفينة إلى دار السلطنة القسطنطينية، وجلس يوم الجمعة الموافق العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة على عرش السلطنة بدلاً من والده العظيم، وبادر في نفس اليوم إلى نقل نعش والده الذي كانت قد أخفي خبر وفاته عن الناس أربعة أيام، مع تسعة عشر نعشاً لإخوته الذين قتلهم في نفس اليوم في احتفال مهيب اشترك فيه العلماء والفضلاء من الوزراء والأعيان، وصلوا عليهم جميعاً قرب جامع أياصوفيا، ودفنوهم بجوار مرقد والده السلطان سليم خان عليه شآبيب الغفران. وكان رحمة الله قد بلغ من العمر اثنين وأربعين عاماً وحكم واحداً وعشرين عاماً.

وفي أواخر هذه السنة فوض السلطان محمد خان منصب الوزارة العظمى حسب الدستور السابق إلى فرهاد باشا ونصبه سرداراً على الجيوش العثمانية، وأرسله إلى إقليم الروملي. ولما كان السردار قد ظهر عليه هناك من التساهل والضعف ما أطمع الكفار في بلاد المسلمين فهاجموها واستولوا منها على قلعة اصطرغون وعدة قلاع وغيرها ونهبوا وخربوا مدناً وبلاداً أخرى حتى وصلوا بلدة أورسجوك، فأنزلوا بالمسلمين الكوارث والويلات أثار هذا غضب السلطان محمد خان وحنقه عليه، وقر رأيه على إرسال أحد رجاله ليقتل السردار وإسناد منصب الوزارة العظمى والسردارية إلى سنان باشا. بيد أن أحباء وأصدقاء فرهاد باشا أطلعوه على جلية الأمر قبل وصول الموكلين بإنزال العقوبة عليه حسب تدبير السلطان؛ فتمكن من الفرار من مقر منصبه والعودة إلى استنبول والاختفاء بها عدة أيام حتى علم السلطان بأمره، وألقى القبض عليه وزج به في السجن، ثم قتله بعد ذلك بعدة أيام. وأما سنان باشا

فلم يوفق في مهمته ولحقته الهزيمة من الكفار شر هزيمة، فتسبب عن ذلك عزله أيضاً من منصبي الوزارة العظمى والسردارية.

سنة ١٠٠٤/١٥٩٥-٩٦: وجه السلطان محمدخان جميع همته وقواده إلى عمار البلاد ورفاهية العباد وتوزيع العدالة والنصفة في أنحاء المملكة بالقسطاس المستقيم فذاع صيت عدله وصدى إنصافه في أركان العالم المتمدن. وقد وضع زمام مهام الوزارة العظمى في يدي الوزير الكف إبراهيم باشا. ومع كون السلطان كان لا يزال في بدء جلوسه على العرش العثماني ومع عدم استقرار الأمور العامة في البلاد نتيجة لذلك فإنه بسبب ما كان عليه ذلك السلطان السعيد من الشجاعة والبسالة إلى حد التهور والحدة، فقد أقدم على إحياء سنة آبائه وأجداده من التوجه بنفسه إلى جهاد الكفار وغزوهم في عقر دارهم، عملاً بقوله تعالى «والله يعصمك من الناس» وقوله تعالى «فسيكفيكهم الله» عن إخلاص واعتقاد. ونهض من استنبول في أشرف الساعات وأسعدها على جناح الطائر الميمون يجد في السير والسفر.

سنة ١٠٠٥/١٥٩٦-٩٧: بلغ السلطان محمدخان، في الثالث والعشرين من المحرم ظاهر قلعة أكري، إحدى القلاع الحصينة في بلاد ملك بج سيئ الأفعال. وهي قلعة تناهز المشتري علواً وتداني السحاب متانة وحصانة فأحاط الجند بتوجيه السلطان بقلعة أكري. وأخذ رجال المدفعية والنقابون، وكان كل منهم في فنه وحذقه فريد دهره ووحيد عصره، ينصبون المتاريس ويحفرون الخنادق ويقيمون العرادات والمجانيق، ويقذفون الأحجار الصاعقة والكلل الضخمة فتزلزل في بروج القلعة وأركانها محدثة بها ثغرات كبيوت النحل وأوكار الزنابير. وقر في نفوس الكفرة الفجرة أن لا مفر من مدافعة الجيش المظفر عن القلعة فاستبسلوا. ولكن حين انقضى على الحصار عشرون يوماً اضطر أهل البغي والشقاق إلى طلب وقف القتال بواسطة الوزراء وزعيم الإنكشارية راغبين في التسليم وملتمسين الأمان لأنفسهم. وهكذا هب نسيم الفتح والظفر من مهب قوله تعالى «يؤيد بنصره من يشاء» على رياض قلوب الغزاة المنصورين وتحققت آمال السلطان السعيد الحظ حيث جنى ثمرة من ثمار «إذا جاء نصر الله والفتح».

هذا ولما هم زهاء خمسة آلاف من الكفار الأذلاء بالخروج من القلعة والذهاب إلى بلادهم سالمين، إذا بالجنود المسلمين تأخذهم الحمية الإسلامية والغيرة المحمدية على ما لقوا من هؤلاء الكفار من الإهانة والأذى والمخالفة

الصريحة لهم، يهاجمونهم من كل الجوانب ويضعون السيوف في رقابهم بحيث لم ينج منهم أحد سوى أعيانهم وزعمائهم الذين تمكنوا من الالتجاء إلى ساحة الوزير الأعظم إبراهيم باشا. وهكذا تطهرت قلعة أكري من أوزار أصحاب العقائد السيئة، وأفعالهم القبيحة وتدمرت حسب قوله تعالى «وإذا أردنا أن نلهك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول» تدميراً كاملاً، وصارت مصداق قوله تعالى «فدمرناها تدميراً». الأمر الذي حمل السلطان العادل السعيد بإصدار أمره بتعميرها من جديد وفوض إلى سنان باشا البوسنوي ميرميران طمشوار أمر محافظة تلك الجهات، تاركاً معه إثني عشر ألفاً من المشاة والخيالة وما يلزمهم من العتاد والذخيرة والخزائن. وعطف هو عنان عودته بالحسن والسعادة إلى مستقر جاهه وملكه العريض.

وحدث أنه حين علم ملوك بج وإسپانيا، وريم بابا، ودوقة الإفرنج، وملك أردل بقيام السلطان لفتح قلعة أكري أن بادروا إلى حشد جيش مؤلف من نحو ثلاثمائة ألف من الجنود المشاة والخيالة وأرسلوهم لمعونة حامية قلعة «أكري».

فلما بلغ هذا الجيش المنحوس مسافة منزلين من تلك القلعة، وجدوا أنها قد سقطت في أيدي العثمانيين وأن سلطانهم الأعظم عائد بجيشه الكبير إلى دار ملكه منصوراً، فحدثتهم أنفسهم الخبيثة بأن يقطعوا الطريق على خصمهم ويستعدوا للقتال والاشتباك معه. ففي يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول من هذه السنة توجه السلطان السعيد المظفر نحو هؤلاء الكفار، واشتبك معهم في قتال مرير حيث تبارى من الفريقين أبطال الحرب ونمور الوغى بكل شدة وقسوة، فأخذت المدافع الضخمة من كلا الجانبين ترعد وتبرق وتزأر مثل الآساد والفهود في الصحارى والوديان، ووصل ضرب السيف بين الفريقين إلى حد لو رآها البطل الصنديد بهرام لألقى السيف من يده من هول ما يرى، واشتد تبادل البنادق بينهم اشتداداً كبيراً حتى التحم الجيشان بأجمعهما وتلاطما كتلاطم البحر الأخضر، وكاد أن يفلت الزمام من أيدي المسلمين وأن تصيب عين النحس الغزاة والكماة الموحدين. لأن الكفار قد تمكنوا من احتلال نصف مضارب جيشهم وخيامهم، وأحاط مشاة العدو بخيام ومضارب وخركاه السلطنة العظمى مثل كواكب النحس تحيط بطلعة الشمس المنيرة.

ففي هذه اللحظة العصيبة إذا بناموس السلطنة العظمى ومرتب مراتب الخلافة الكبرى مبارز الدين سنان باشا چيغال زاده، يظهر في الميدان كنمر الوغى ومعه «فتح كراي» أخو «غازي كراي» خان التتار، يظهر من يمين

السلطان الموعود بالنصر والظفر، ويقتحم المعارك الدامية بكل شدة وإخلاص حيث سقوا سيوفهم الزبرجدية بدماء الكفار الأحمر، فصارت كالعقيق اليماني؛ الأمر الذي جعل السلطان العظيم يتشجع ويقوم بحملة رستمية[١] صادقة على هؤلاء الجموع الزاحفة المتوغلة في المعسكر الشاهاني ويزيحها عن طريقه. وأسفرت المعركة عن مقتل أكثر من مائة وعشرين ألفاً من الكفار من مشاتهم وخيالتهم حسب تخمين أولى الأبصار في ذلك اليوم المشهود، وأما الباقون منهم فقد آثروا الفرار على الثبات والقرار منطبقاً عليهم مضمون قوله تعالى «كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة». فشكر الله سبحانه وتعالى السلطان العظيم على ما أولاه من نعم الفتح والنصر المبين. واجتمع الوزراء والأمراء والأعيان، وأركان الدولة والجيش حول مقام الخلافة الكبرى يحمدون الله ويهنئون السلطان الذي بادر فأعرب عن سروره ورضائه، وأسند منصب الوزراة العظمى إلى سنان باشا. ثم أمر بقتل بعض القواد الخاصة من الجاويشية والمتفرقة الذين كانوا أظهروا جبناً وضعفاً أثناء المعركة، ولاذوا بالفرار وذلك عبرة لغيرهم؛ كما أنه أنعم على الذين تفانوا في الخدمة واستماتوا في الدفاع في اللحظات العصيبة، ما جعلهم يمتازون على أقرانهم ويتفاخرون على غيرهم بالخلع والرتب العالية.

وقد قام الشعراء المجيدون والكتاب البلغاء الناثرون بوصف هذه المعركة الكبرى والفتح المبين أيما وصف، وأشاعوا خبرها في أنحاء المملكة وأطراف البلاد ليعلمها القاصي والداني، ويحفظها الصغير والكبير فينتشر في البلاد حديث هذا السلطان الشجاع الباسل ومدى ما وصلت إليه همته القعساء في باب الجهاد والغزو في سبيل الدين وتوطيد دعائم الأمن والسلم.



المنة لله. بعد أن فرغ القلم من تحرير وتقرير شرح وذكر وقائع وأحوال أمراء كردستان وحكامه، مع وقائع ثلاثمائة وست عشرة سنة من أيام سلاطين آل عثمان على سبيل الإجمال والاختصار، وبعد أن تشرف بذكر يوم الجلوس الهمايوني السعيد وشرح أول غزوة مباركة موفقة قام بها سلطاننا المعظم سلطان الربع المسكون من الدنيا، نرى من واجبنا حسبما ذكرنا في ديباجة هذا الكتاب، ألا نطيل في الكلام ولا نطنب في التحرير والتقرير، ونختم الكلام هنا

---

[١] نسبة إلى رستم بطل الأساطير الإيرانية.

بالدعاء إلى الله الملك القدير بدوام دولة سلطان العالم الذي لم يقصد بهذا التأليف سوى ذكر آبائه وأجداده العظام.

فشكراً ثم شكراً لهذا السلطان الذي مكن هذا المسكين مع قلة بضاعته وعدم استطاعته وانكسار خاطره وفؤاده وتشويش أفكاره واضطراب قلبه، بأن جعل التوفيق رفيقه والتأييد ملازمه ومعينه، حتى أمكنه في فرصة قليلة ومدة وجيزة أن يدون في الأوراق والطروس أكثر وقائع كردستان وقضاياه، مع بيان سائر أحوال سلاطين إيران وتوران الذين كانوا معاصرين لخواقين آل عثمان. باذلاً جهده واهتمامه في تصحيح الروايات وتنقيح القصص والحكايات على قدر الطاقة والإمكان.



تمت الترجمة الحرفية على يد أضعف العباد صانه الله من كيد أهل الفساد محمد علي عوني بن عبد القادر عوني بن محمد علي أغا البابي السُّورَكي موطناً والدنبلي الظاظائي عشيرة وجنساً والكردي شعباً وأمةً، نزيل القاهرة.

تحريراً في يوم الأربعاء ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٦٧

الموافق ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨.

الفهارس

فهرس أعلام الأشخاص

ت

ج

ح

خ

ش

غ

ف

ك

ل

ن

فهرس الأسر الحاكمة والجماعات والدول

فهرس أسماء الشعوب والقبائل

فهرس أسماء البلدان والأماكن

أ

ب

ت

ر

ز

س

ص

ط

ن

فهرس المصطلحات

العملة



المصادر التاريخية

تاريخ آل عثمان

تاريخ اليافعي

جهان أرا (أحداث الدنيا)

حبيب السير

خردنامه (كتاب العقل)

روضة الصفا

زبدة التواريخ

نفحات الأنس

زينة القلوب

ظفرنامه

فتح البلاد

تاريخ كزيده (منتخب التاريخ)

مرآة الجنان

مطلع السعيدين

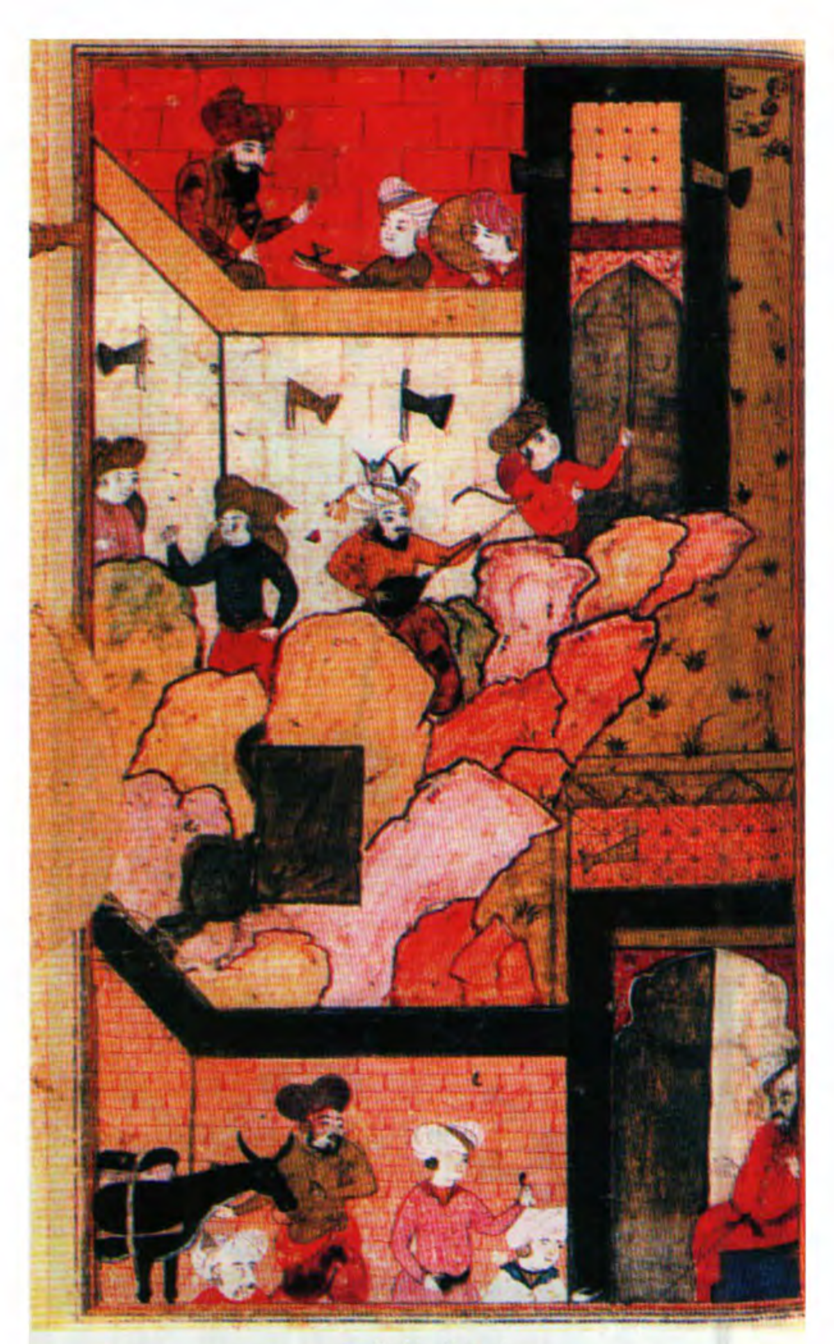
فهرس الموضوعات

لوحات الشرفنامه

هذه اللوحات أيضاً من أعمال الأمير شرف خان البدليسي



الصيد في هكاري



احتلال قلعة دزه



مدرسة الطب والاستشفاء في العمادية



العمادية



مجلس أمير بوطان



جزيرة بوطان و مم و زين



قلعة حصنكيف



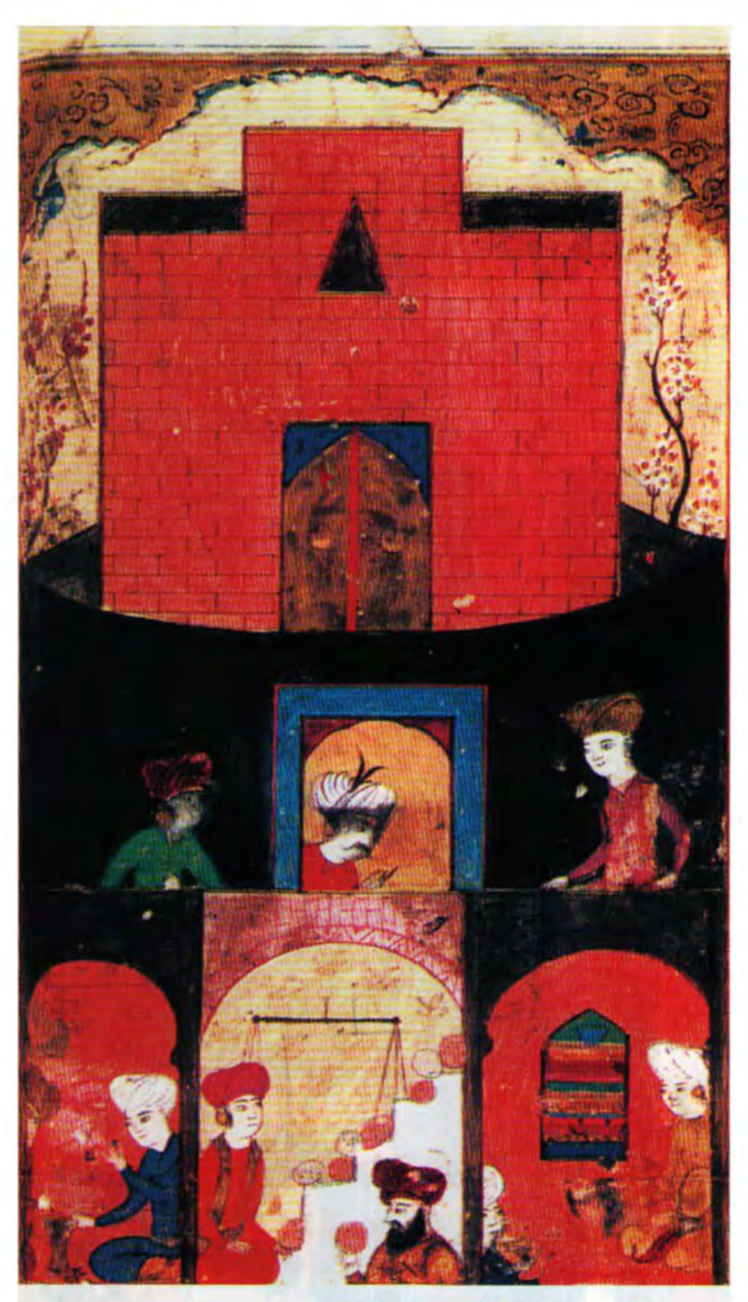
مدينة حصنكيف



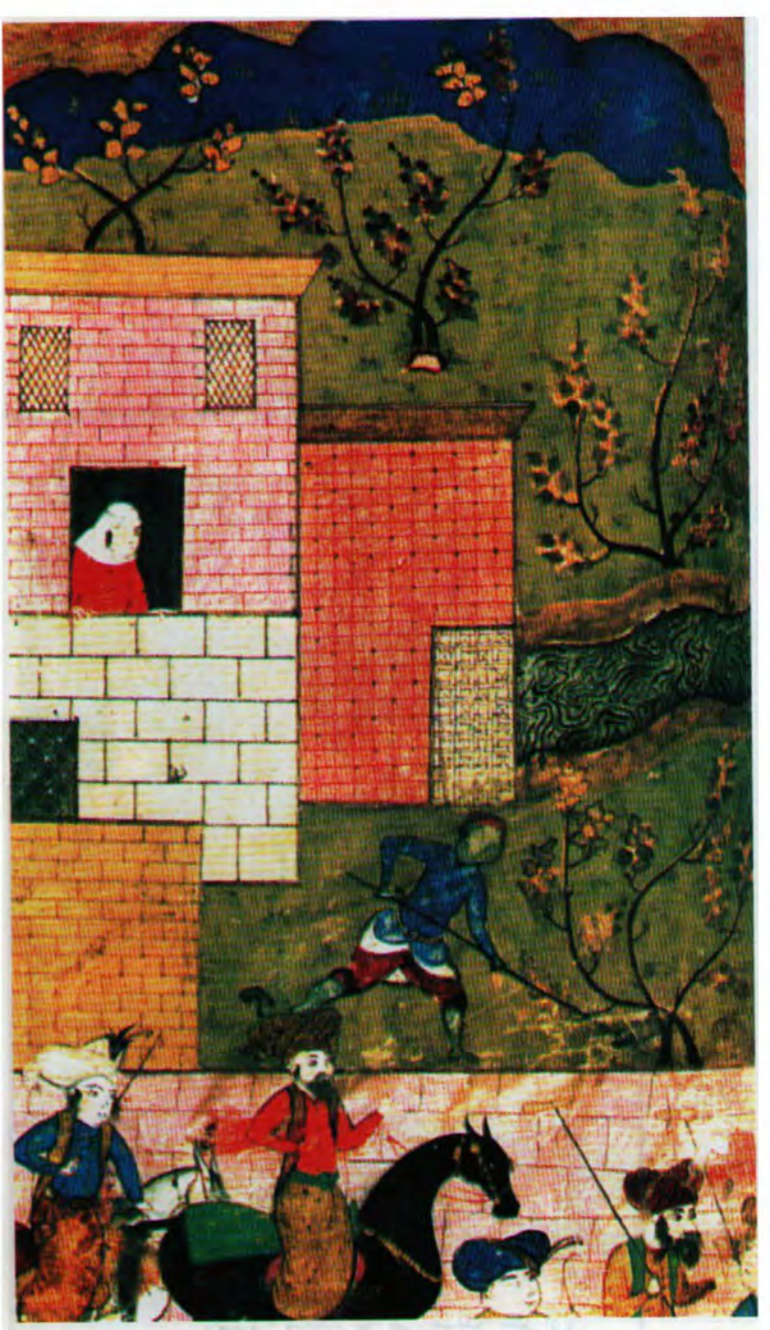
قلعة أكيل



أكيل



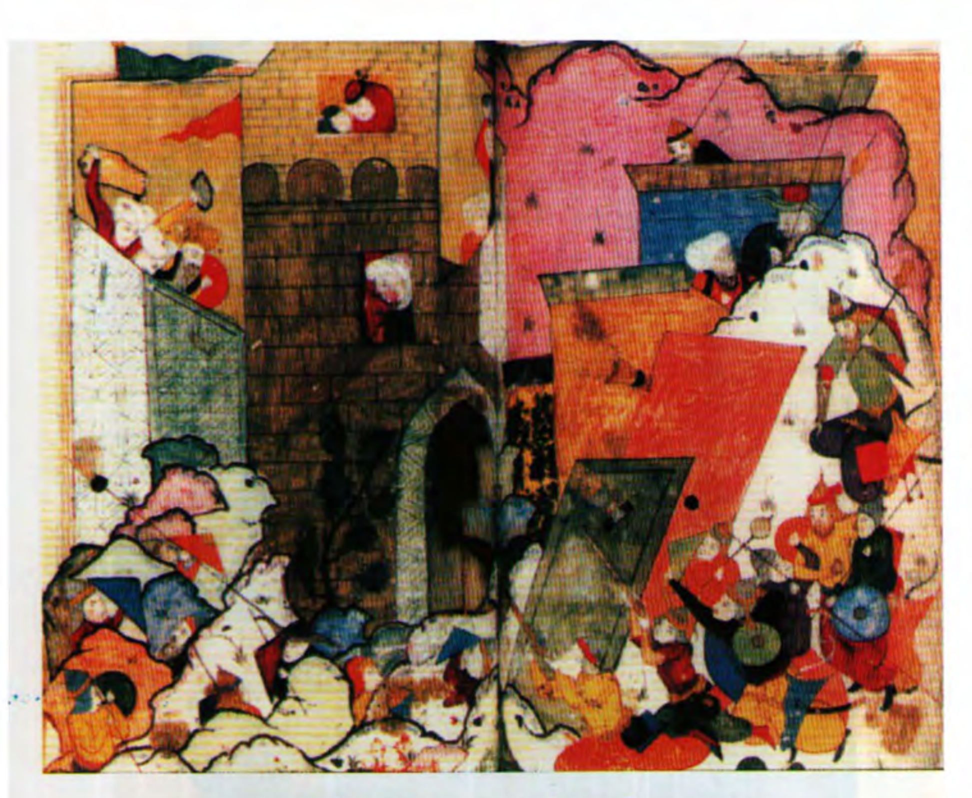
مشكلة معمارية في مدينة هيزان



هیزان



دعاء عند راس مريض بالأعصاب



الهجوم على قلعة بدليس من قبل الآق قوينلو



مجلس شرفخان البدليسي



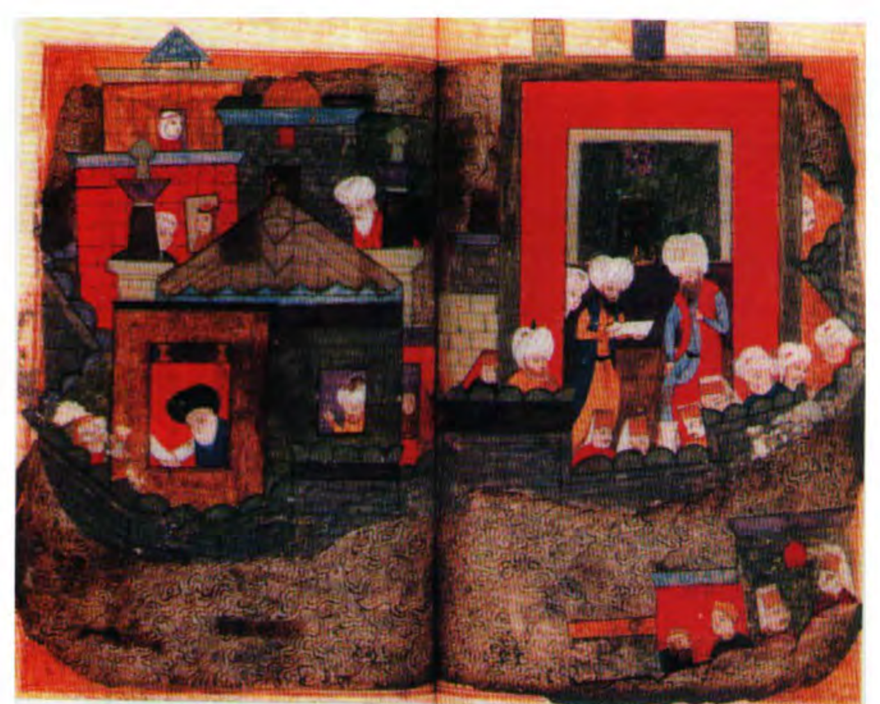
الشاه طهماسب في مدينة خلات



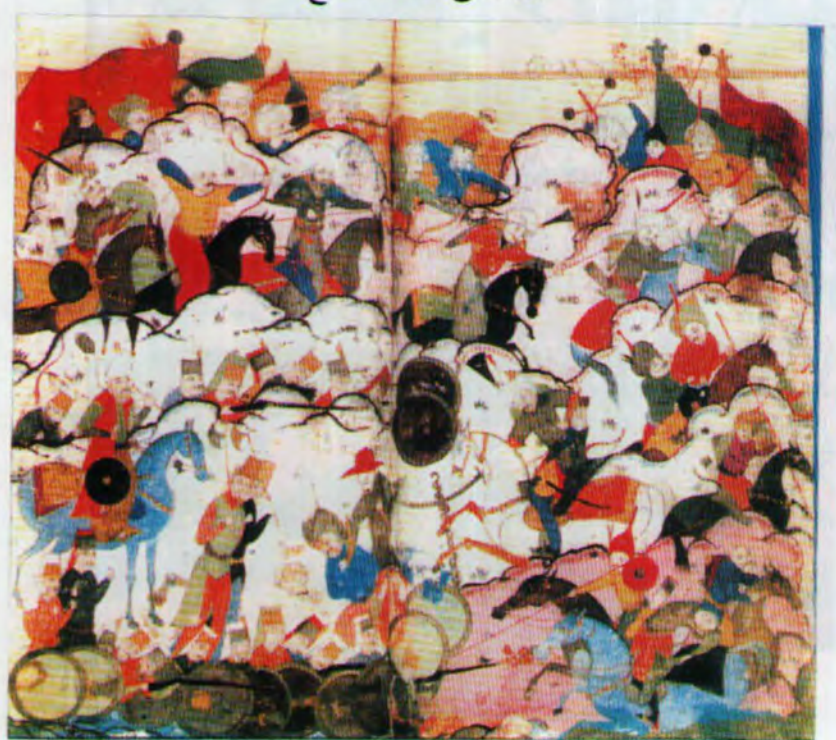
السلطان عثمان   في الديوان



معركة أدرنة



السلطان محمد الفاتح



معركة جالديران



يلقي الأمير شرف خان البدليسي في الجزء الثاني من كتابه شرفنامه - في تاريخ سلاطين آل عثمان ومعاصريهم من حكام إيران وتوران. الضوء على أحداث كثيرة جرت، نتوقف أمام حدثين بارزين كان لنتائجهما تأثيراً بالغا في رسم الملامح المستقبلية للمنطقة.

الأول: لجوء عشيرة قايي سليمان شاه عام ١٢٢٤م إلى الأناضول هرباً من الإغارات الجنكيزية المدمرة على موطنها في خراسان، وبروز نجم حفيده عثمان الغازي كقائد حربي نجح في استغلال الفراغ السياسي والعسكري الذي بدأ يلوح في الأفق نتيجة الضعف والانحلال اللذين أصابا السلاجقة في الشرق (إيران) والجنوب (بلاد الشام)، وأفول نجم الخلافة العباسية في بغداد ثم سقوطها نهائياً عام ١٢٥٨م. على يد هولاكو خان، من جهة، كذلك بسبب الوهن الذي كان يدب في أوصال بيزنطية العجوزة، وفشلها المرة تلو الأخرى في الدفاع عن حدودها الشرقية، مما سمح له ولأبنائه فيما بعد، الذين تخفوا خلف ستار الدين الإسلامي، من إرساء قواعد إمبراطورية مترامية الأطراف هي الإمبراطورية العثمانية، التي أدت سياساتها إلى حصول تراجع حضاري، وعلمي عميق، ما يزال الشعبين الكردي والعربي، بشكل خاص، يعانيان من آثاره المدمرة حتى الآن.

الثاني: اعتماد الشاه إسماعيل الصفوي المذهب الشيعي في بلاده ومحاولة فرضه بالقوة على السكان السنة، والتنكيل بهم، إلى جانب تطلعه نحو توسيع رقعة إمبراطوريته باتجاه الغرب لتشمل كردستان، ما أدى إلى اندلاع صراع دموي عنيف شهدت أكثر فصوله دموية معركة جالدران ١٥١٤م، التي انتهت بهزيمته وانتصار السلطان ياووز سليم، هذا الانتصار الذي ما كان له أن يتم لولا تحالف الأكراد معه بفضل الجهود الحثيثة التي بذلها الشيخ إدريس البدليسي، فأصبحت كامل البلاد الكردية تابعة للخلافة العثمانية وبدأت تفقد شيئاً فشيئاً استقلالها وتطورها ثمناً لهذا التحالف.

الناشر







صفحات للدراسات والنشر

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح